الأب توماس هوبكو

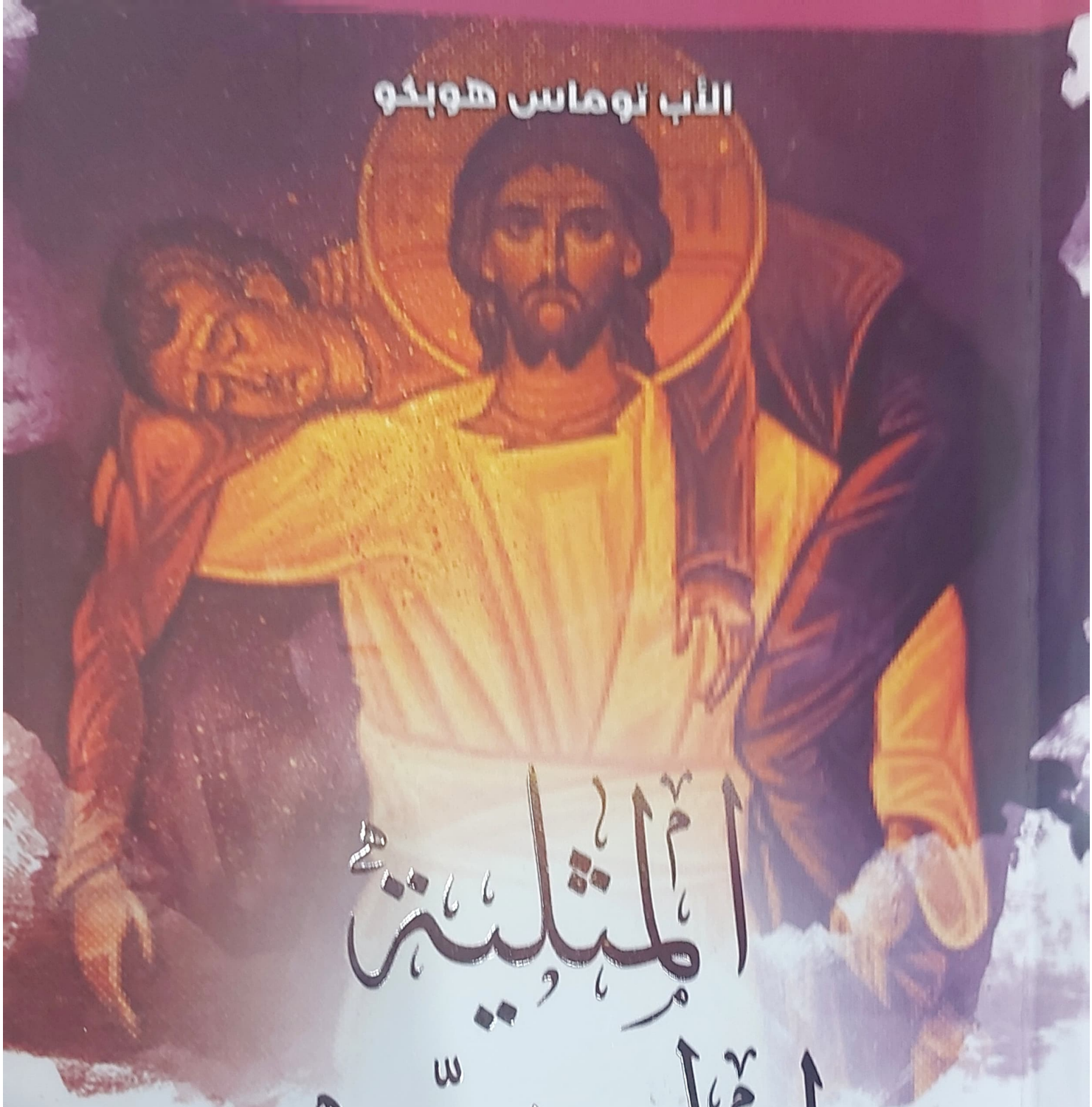

المثلية الجنسية

رؤية أرثوذكسيّة

تعريب
زوسر حنّا

المثليَّة الجنسيَّة

رؤية أرثوذكسيَّة

† المتقدّم في الكهنة الأب توماس هوبكو

تعريب
زوسر حنَّا

مراجعة وتحرير
بيشوي مجدي

صدر هذا الكتاب باللّغة الإنكليزيّة تحت عنوان:

Christian Faith and Same-Sex Attraction

Eastern Orthodox Reflections

Fr. Thomas Hopko

USA 2005

الكتاب: المثليّة الجنسيّة - رؤية أرثوذكسيّة

الكاتب: المتقدِّم في الكهنة الأب توماس هوبكو

تعريب: زوسر حنّا

مراجعة وتحرير: بيشوي مجدي

تصميم الغلاف: فادي فايز

الإشراف الفني والإداري: رامز يسري وموريس وهيب

الناشر: دار رسالتنا للنشر والتوزيع

٠١٢٨٥٤٧٠٢٤٥

Email: resaltnasalampublshing@gmail.com

الطبعة: الأولى، ٢٠٢١

رقم الإيداع بدار الكتب المصريّة: ٢٠٢١/١٤١٣٦

مطبعة: سان مارك للطباعة ت: ٠١٢٢١٨٢٤٢١٤

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر طبعه أو إعادة نشره أو الاقتباس منه إلا بإذن كتابي من الناشر

«يعكس هذا الكتاب حكمة التَّقليد الأرثوذكسيّ على واحدٍ من أكثر المواضيع الملحَّة والمثيرة للجَّدل في عالم اليوم. يتناول الكتاب الموضوع عن قربٍ، يتفحَّص جوانبه، وخصوصًا ما يُغفَل عنه في التَّعرض له علنيًّا. ليس هذا أمرًا جديدًا، وقد تعاطى معه الأبُّ هوبكو مستندًا إلى الإنجيل أوَّلًا، وكنوز الحكمة في تعاليم آباء وقديسي التَّقليد الأُرثوذكسيّ، ليساعدنا على فهم ماهيَّة التَّوجُّه الجنْسيّ المِثليّ، في عالمنا السَّاقط هذا، الذي يُخلِّصه الله، ربُّ المجد غنيُّ النِّعمة. هذا كتابٌ سيتحدَّاك، ولكنَّه أيضًا عظيم الفائدة لكلِّ مَن سيقرأه».

تيموثي جورج

عميد مدرسة بيسون اللَّاهوتيَّة، بجامعة ستانفورد، محررٌ بدوريَّة «المسيحيَّة اليوم» *(Christianity Today)*.

«يواجهُ الأبُّ هوبكو التَّساؤلات الأكثر إثارةً للجَّدل، التي تطرحها علينا ثقافتنا، والتي نقف قبالتها في مجتمعاتنا المسيحيَّة، بالتزام الحكمة الاخلاقيَّة، والغيرة الأبويَّة على المجروحين الحائرين. فهو يأخذ من كنوز الأرثوذكسيَّة، بشكلٍ جذَّابٍ وسهل القبول، ويدعونا كلَّنا لترك التَّنازُع والتَّفكُّر برويَّةٍ، الذين بهما نبلغ إلى الكمال الذي خُلِقنا له».

ريتشارد چون نويهاوس

رئيس تحرير دوريَّة «الأمور الأولى» *(First Things)*.

«بالرَّغم مِن رفضي الكامل لموقف هذا الكتاب مِن المِثليَّة الجنْسيَّة، فقد استمتعت بقراءته؛ الكتاب يقدِّم مقاربةً واعيةً، شاملةً، وغير مُتصلِّفة للتَّوجُّه الجِنْسيِّ المِثليِّ المعاصر مِن منظور التَّقليد الأرثوذكسيِّ. الكاتب على علمٍ ودرايةٍ بلاهوت المِثليِّين، وبالتَّوجُّهات الأُخرى المتعلِّقة بالهويَّة الجِنْسانيَّة. وأوصي بقراءته لكلِّ مَن يدرس المِثليَّة الجنْسيَّة، ولِمَن يتعاملون بشكلٍ شخصيٍّ مع المِثليَّة الجنْسيَّة، مِن مُنطلق التَّقليد الأرثوذكسيِّ، وبالأكثرَ لغير الأرثوذكسيِّين، لما يقدِّمه الكتاب مِن تأطيرٍ أرثوذكسيٍّ تقليديٍّ لاهوتيٍّ غنيٍّ للجَدل حول الموضوع لِمَن يقرأه مِن الطَّوائف الأُخرى. يقارب هذا الكتاب الجَدل المثار حول المِثليَّة الجنْسيَّة بطرحٍ لا يدفع لتقسيم الكنيسة، ولا يشيع الفرقة أو البغضة بين المسيحيِّين. لهذا السَّبب وحده، يستحقُّ الكتاب القراءة والانتباه».

إليزابيث ستيوارت

أُستاذ اللَّاهوت المسيحيِّ بجامعة ونشيستر، مؤلِّفة «لاهوت المِثليَّة الجِنْسيَّة: تكرارٌ باختلافٍ جوهريٍّ» (*Gay & Lesbian Theologies: Repetitions With Critical Difference*)

«يشرح الأبُ هوبكو كيف أنَّ «المِثليَّ» لا يمكن أن يكون «شخصًا» بالمعنى الحقيقيِّ العميق لـ «الشَّخص». خُلقَت الطَّبيعةُ الإنسانيَّة صالحةً؛ قُصِدَ للاتِّحاد الجنْسيِّ أن يخدم التَّكامليَّة، يوحِّد، يخلق الحياة، ويغني الحياة المشتركة. إلَّا إنَّ فساد هذا العالم حاد بطاقاتنا الجنْسيَّة بعيدًا عمَّا قَصَدَ لها الخالق. التَّوجُّه الجِنْسيُّ المِثليُّ ما هو إلَّا صورةَ فسادٍ مِن صورِ تشوُّه إنسانيَّتنا الساقطة».

«يمتلئ هذا الكتاب بنصائح الآباء المعلِّمين للمسيحيِّين المجاهدين ضدَّ المِثليَّة الجِنْسيَّة، موجِّهًا الرِّجال إلى طلب المشورة مِن المرشدين،

والنِّساء مِن المرشدات، وأيضًا -عكس كلِّ ما يروِّجُ له بين العامَّة مِن توجُّهٍ- يحثُّهم على ضبط أنفسهم بما يليق بالقداسة لاقتناء العفَّة».

د. چوزيف نيكولوسي

رئيس الجَمعية الوطنيَّة لأبحاث وعلاج المثليَّة الجنْسيَّة - *NARTH*، بمكتبِ إكسودوس الدولي للمتكلمين - *Exodus International Speakers Bureau*.

«يعدُّ هذا العمل قليل الصَّفحات والمُعدُّ بروِيَّةٍ وشموليَّةٍ قيِّمًا جدًا لكُلِّ المسيحيِّين. هذا، لأنَّ عرض الموضوع مِن حيثُ «الميول التَّوجُّهات الجنْسيَّة المِثليَّ» و«المشاعر المثيرة جنسيًّا» لهو شديد الأهميَّة في عصرٍ غمره التَّشويش بلغةٍ غير محدَّدَة المعاني لدرجة الالتباس. لأني أجد تعاطيَ الأبُ هوبكو مع الخطيَّة الجديَّة، وخطايا الإنسانيَّة المعاصرة تعاطيًّا مميزًا، أوصي بقراءة هذا الكتاب الرَّائع المتبصِّر بأُصول الأمور قراءةً متأنيَّةً».

د. چون هـ. أرمسترونج

رئيس جمعية استعادة التَّقليد المسيحيِّ في الألفيَّة الثَّالثة - *ACT3*، كارول ستريمز، إلينويز.

«قد سبق وعَرَّفَ الأبُ هوبكو النَّشاط الجنْسيَّ الإنسانيَّ بالاهتمام اللَّاهوتي الأبرز في جيلنا. وهنا يقاربُ موضوع التَّوجُّه الجنْسيِّ المِثليِّ بصعوبته وحساسيَّته، بشكلٍ استثنائيٍّ دون انحيازٍ أو فرزٍ. يكوِّنُ ربطُ النَّصِّ والحواشي غنيَّة المحتوى اللَّاهوتيِّ بالخبرة الرِّعائيَّة صورةً -ولا أوضح- للأناسيَّة الأرثوذكسيَّة - *Orthodox Anthropology*. والنَّتيجة عملٌ يقدِّم توجُّهًا واضحًا يلتزم الرِّقَّة والحنوَّ نحو المِثليِّين والذين

يخدمونهم. تستحق هذه الدِّراسة أن يُحتفى بها، وتُقرأ على أوسع نطاقٍ مِن قِبَل الكهنة والمختصِّين مِن الأطباء، ومِمَّن اختبروا الميل المثليَّ بمشاعره وفعله».

الأرشمندريت چون بريك

أُستاذٌ بمعهد ق. سرجيوس اللَّاهوتي، باريس، فرنسا.

«تعاطي الأبُّ هوبكو بحذقٍ مع الأسئلة الشَّائكة حول المِثليَّة الجنْسيَّة. فهو الذي خدم وأرشد ذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة لعشرينَ عامًا، وكتبَ كتابًا حصيفًا رشيقًا واضحًا عن كيفية اجتياز هذا الهوى بالذَّات. والنَّتيجةُ كتابٌ عزيزٌ، قليلًا ما يوجد مِثله، يسدُّ احتياجًا، ويزيح الضَّباب بضوءٍ هادٍ. فهو يساعدنا لنتفكَّر في موقفنا، فيطرح مثالًا لتغير موقفنا صراحةً، مُبقيًا نظرنا موجَّهًا إلى المسيح يسوعَ. لذا، أنا أُوصي بقراءة هذا الكتاب دون أيِّ تحفُّظٍ».

د. ألبرت سـ. روسِّي

أُستاذٌ مُنتدبٌ بمعهد ق. ڤلادمير اللَّاهوتي - أُستاذٌ متقاعدٌ بجامعة بيس، نيويورك، الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة.

جدول المحتويات

مقدِّمة المعرِّب ٩

مقدِّمة المؤلِّف ١٧

١. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والإيمان المسيحيّ ١٩

٢. المسيح والكنيسة ٢٣

٣. الخبرة ثلاثيَّة الأبعاد ٢٧

٤. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة ٣١

٥. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والصَّلاح ٣٧

٦. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والعاطفة ٤١

٧. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والخطيَّة ٥٣

٨. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والإرادة ٦٣

٩. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والمشيئة الإلهيَّة ٦٩

١٠. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والقداسة ٧٧

١١. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة وأعمال والجِهادات النُّسكيَّة ٨٣

١٢. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والكتاب المقدَّس ٨٧

١٣. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والنَّدم المغبوط ٩٣

١٤. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والفرح ٩٧

١٥. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والصَّداقة ١٠١

١٦. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والنَّشاط الجِنْسيُّ ١٠٥

١٧. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والمعرفة الجِنْسيَّة ١١٣

١٨. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والأطفال ١١٧

١٩. المِيول والتَّوجُّهات المِثليَّة والحقوق المدنيَّة ١١٩

٢٠. المِيول والتَّوجُّهات المِثليَّة والموت ١٢٥

٢١. المِيول والتَّوجُّهات المِثليَّه واللَّاهوت ١٢٩

٢٢. الميول التَّوجُّهات المِثليَّة والدِّين ١٣٥

٢٣. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة ومجتمع الكنيسة ١٤٣

٢٤. الميول المِثليَّة وأسرارُ الكنيسةِ ١٤٩

٢٥. الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والرعاية الكهنوتيَّة ١٥٧

٢٦. الميول المِثليَّة وطلب وتقديم المشورة ١٦٣

٢٧. الميول المِثليَّة والشَّهادة للإيمان المسيحيِّ في عالم اليوم ١٦٩

مقدِّمة المعرِّب

أقدِّم لك عزيزي القارئ كتابًا مُملَّحًا بملح الأرثوذكسيَّة ليعيد ذائقة التَّمييز لطبيعة الإنسان وكرامته في المسيح يسوع الحلو. ما الإنسان؟ ومَن الإنسان؟ بل، أوَّلًا مَن الله؟ الله استعلَن لنا ذاته في ابنه المتجسِّد. أعلن نفسه آبًا وابنًا وروحًا، تمايُزًا كاملًا يسمح بعلاقةٍ صحيحةٍ تُميِّز الذَّات وتُميِّز الآخر. ونحن، إذ خُلِقنا على هذه الصُّورة وكصائرين على مثاله في يسوع المسيح، لم يكن مُمكنًا لنا أن نختبر هذا التَّمايُز والتَّكامُل الكيانيَّ الشَّخصيَّ دون أن يكون كياننا أصلًا مهيَّئًا للتَّكامُل. ولا أوضح مِن «ذَكَرًا وأنثَى خلَقَهُ وبارَكَهُ وسَمَّاهُ آدمَ يومَ خلَقَه» (تك ٥: ٢)، لتدلَّ على الكيان المهيَّأ للتَّكامُل، فليس الرَّجل إنسانًا والمرأة فضلةً أو زائدةً، ولا المرأة إنسانًا والرَّجل أقَّل مِن ذلك. ثمَّ كان الجِنْس الوسيلة المتاحة لتجاوز الذَّات مع ونحو آخرٍ. والقول بتجاوز الذَّات ليس جمالًا فلسفيًّا أو رشاقة ألفاظٍ، بل هو معنى «بذل الذَّات» الذي يعني تكميل المشاركة، فما لك أكثر مِن «كلِّ ذاتك» لتشارك به أحدًا لتُكمِّلا كيانكما؟! وككلِّ شيءٍ في الله ومِن الله ومُدبَّرٍ له أن يصير إلى الله، هكذا الجِنْس، أو كما يدعوه الأبُ هوبكو في الكتاب «المحبَّة الزَّواجيَّة» مقدَّسٌ، مقدَّسٌ إلى درجة أن يُقارَن بذبيحة الإفخارستيا -كما سترى عزيزي القارئ- ولدرجة أنَّ مَن يتقدَّم دون استحقاقٍ يكون مجرمًا في المحبَّة، أكان غير مميِّزٍ لجسد الرَّبِّ ودمِّه أم غير مميِّزٍ لشركة المحبَّة الإلهيَّة في كيانه الإنسانيِّ.

إنَّ التَّرجمة، عزيزي القارئ، رحلةٌ مشتركةٌ، أضع نفسي فيها مكان القارئ أوَّلًا، لأكتب له، ثمَّ شريكًا مع الكاتب ثانيًا. وقد حفظت أسلوب

الأبُّ هوبكو كما هو، وأمَّا اللَّفظ فهو النَّقل والتَّعريب والتَّقديم في اللُّغة العربيَّة الذي اجتهدت فيه. وقد ارتأيت أن أضيف تعليقات وحواشٍ، لا للإضافة أو الاطناب؛ الكتاب كافٍ بما فيه. أضفت ما ارتأيته ضروريًّا لفهم المحتوى وتقريب الرُّؤية للقارئ الشَّرقي. وستجد عزيزي القارئ هذه الإضافات واردة وبعدها (المعرِّب) وذلك للتفريق بين ما هو أصليٌّ في الكتاب وما أُضيف إليه. وحفظًا لدقَّة الكتاب، ستجد عزيزي القارئ أقواسًا () لتدل على قصدٍ أو تفسيرٍ كما أراده الكاتب، و« » لتشير إلى كلمةٍ بعينها بحسب ما أوردها الكاتب، أو اقتباس لآيات -سواء بالنصِّ الأصليِّ أو بتبديل ضمير المخاطب بالغائب أو بغيره، وأيضًا «» ليحويا بينهما كلاما هامًا أو ترادف كلمتين أو تعبير مشروحٍ في جملة الإشارة إلى أهميَّة ما وضِع بينهما للقارئ.

استخدَم الأبُّ هوبكو (*same-sex attraction*) بدلًا مِن (*homo-sexuality*) وقد بحثت في المصطلحات المناسبة، فوجدت «ذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة» ليعبِّر عن الطَّيف الواسع المقصود والمتضمَّن في المصطلح الإنجليزيِّ. الميل كاستجابةٍ شعوريَّةٍ والتَّوجُّه كملمحٍ سلوكيٍّ، يجمعا في إضافتهما لـ«المِثليَّة» درجات اعتمال المشاعر والرَّغبات والدَّوافع الجِنسيَّة والقرار السُّلوكيِّ. المصطلح الإنجليزيِّ يصف وصفًا عامًّا، وأرجو أن أكون وفِّقت في اختيار المصطلح العربيِّ في التَّرجمة.

وستلاحظ أيضًا عزيزي القارئ أنَّ الأبَّ هوبكو أورد العديد مِن الأمثلة مِن الأدب النُّسكيِّ المسيحيِّ، ولا تنظر إلى منهجه هذا كمَن أراد أن يقدِّم مشكلةً معاصرةً فرجع إلى عصرٍ وبيئةٍ ثقافيَّةٍ لم تعرفها. بل، انظر

إليه كمَن وعى حكمة المختبَرين، الذين داسوا معترك النَّفس البشريَّة ورأوها تُشفى وتتألَّه. هذا ستميِّزه وأنت تفكِّر بمدى مناسبة الاقتباس للعرض الذي يقدِّمه الأبُّ هوبكو لنقاط بحثه. جاءت الاقتباسات مِن:

Benedicta Ward, "The Sayings of the Desert Fathers: The Alphabetical Collection," Liturgical Press; Revised edition (January 1, 1984), 269 pages.

والمُترجَم في: «أقوال الآباء الشُّيوخ» ترجمة معهد القدِّيس يوحنَّا الدِّمشقيِّ «منشورات النُّور، ١٩٩٠». وقد أورد الكاتب بعض الاقتباسات بنصِّها، والبعض الآخر بالإشارة فقط. وارتأيت أن أضيف نصَّ ما أورده الأبُّ هوبكو بالإشارة لتكتمل الفائدة مِن إضافة الحاشية. وبالإضافة إلى ذلك، أورد الأبُّ هوبكو بعض الأقوال غير المتضمَّنة في التَّرجمة العربية، فقمت بترجمتها ترجمةً مباشرةً وقد أشرت إلى ذلك في موضعه. وتسهيلًا في الاقتباس، اكتفيت باسم الأبِّ المشار إليه في القول، يتبعه رقم القول في ترقيم الكتاب بين قوسين.

وأيضًا كتاب «السُّلَّم إلى الله» ق. يوحنَّا السُّلَّميِّ تعريب: رهبنة دير مار جرجس الحرف.

يبتدئ الأبُّ هوبكو كتابه بالمسيح في الفصل الأوَّل، مقدِّمًا مسيح الإيمان مَن هو للإنسان، رابطًا بين الخرستولوجي والأنثروبولوجي. فلا يمكن للإنسان أن يدرك ذاته أو كيانه أو أصله -وبالتَّبعيَّة- هدفه أو مصيره إلَّا متى استُعلِنَ له المسيح. وأن يُستعلَن المسيح للإنسان هو

أن يُدرك الإنسان أنّه خُلِقَ فيه، وأن ولادة الله الابن مِن الله الآب قد حوت الخليقة أصلًا وهدفًا، (راجع كو ١: ١٣-١٩؛ أف ١: ٤؛ ١ بط ١: ٢٠؛ مت ١٣: ٣٥). ثُمَّ يُكمِل في الفصل الثَّاني عن كيف أنَّ التَّبايُن الجنْسانيَّ الإنسانيَّ بما فيه مِن إمكانيَّة الاتِّحاد هو أيقونة الخروج إلى الـ «آخر» والاتِّحاد به إلى واحدٍ. الخروج والاتِّحاد هذان هما «المسيح» ... الله يتَّحِد مع الإنسان المختلفِ عنه، المختلف عنه اختلافًا تكوَّن أصلًا ليحمل إمكانيَّة الاتِّحاد. والقول بهذا يعني أنَّ الله خرج واستعدَّ للاتِّحاد بالإنسان قبل إنشاء العالم، إذ قد رأى الإنسان في المسيح في أقنوم الابن، والباقي هو أن يخرج الإنسان ويتَّحد بالله في المسيح بالإيمان وبفعل الرُّوح القدس.

وبعد أن عرض لمَن هو المسيح ومَن هو الإنسان في المسيح كما دبَّر له الله ليكون وكما يجب أن يعرف هو نفسه، يضيف الأبُّ هوبكو، في الفصل الثَّالث، مراحل تشكُّل مفهوم الكيان الإنسانيِّ في إطار ثلاثة أُسُسٍ: الخلق بلا فسادٍ، دخول الشَّرِّ والخطيَّة إلى الإنسان، ومِنهما الموت والفساد، ثم الفداء والتَّقديس تكميلًا وتفعيلًا للخلق على غير فسادٍ. وهو هنا يضيف معيارًا جديدًا يحكم بالخطأ على اعتبار المِثليَّة متغيِّر نوعيٍّ في البشر، إذ هي غير متضمَّنه في «الخلق على غير فسادٍ» وبذلك ليس لها مكانٌ -أو قُل كيان أو وجود- في تكميل الخلق في التَّقديس في المسيح. وهذا بدوره يفتح المجال للتَّغيير، ولا عجب هنا؛ الطَّارئ وغير الأصلي يمكن، بل ينبغي، بل يجب ردُّه إلى الأصل الذي يمكن له أن يكتمل إلى الغاية. فإذا لم تكن المِثليَّة طبيعيَّةً، أو غير أصليَّةٍ في الطَّبيعة، فيمكن إذن الحديث عن الشِّفاء؛ يمكنك أن تُشفى مِن مرضٍ، ولكنَّك لن تغيِّر

طبيعتك! وهذا القياس على الخبرة ثلاثيَّة الأبعاد يحكم على العلم، لا في استنكارٍ فارغٍ أو ازدراءٍ، بل لأنَّ العلم يدرس الإنسان السَّاقط، الذي تشوَّش إدراكه لدرجة أن يحسب خطأً ما هو دخيلٌ على طبيعته كأصليٍّ، فيقبل ما يجب عليه أن يهرب منه.

وفي الفصل الرَّابع، يقدِّم الأبُ هوبكو المِثليَّة كعَرَضٍ لمرضٍ، عرضٍ للخطيَّة التي أفسدت وشوَّهت الكيان الإنسانيَّ والحياة الإنسانيَّة. وتجدر هنا الإشارة إلى استخدام الأبِّ هوبكو لـ «الكيان الإنسانيَّ والحياة الإنسانيَّة» فالأمر متَّصلٌ .. لا كيان دون حياةٍ، فما يُرى في الحياة، أو ما تستعلنه الحياة هو ترجمة الكيان .. الكيان يتكلَّم في الحياة. وفي الفصل الخامس، يضيف الأبُّ هوبكو ما يفنِّد به أيَّ ادِّعاءٍ بصلاح المِثليَّة، وهي نقطة بحثٍ يعود إليها الأبُّ هوبكو مرَّةً بعد أُخرى.

العاطفة .. الوجدان .. الحراك النَّفسيُّ .. وأضِف أيُّها القارئ العزيز ما يحلو لك مِن أوصاف المشاعر والعواطف. الكلام في الفصل السَّادس يتدرَّج مِن الحسِّ «الحواس» إلى الانفعال وتطوُّر ذلك إلى سلوكٍ. وقد تجدها العين المدرَّبة طريقةً مبسَّطةً في عرض موضوعٍ علميٍّ بدون حوافِّه الحادَّة. أمَّا للقارئ المقصود أن يصله الكلام، فسيميِّز درجات الانفعال التي يقصدها الأبُّ هوبكو دون عناءٍ.

وفي الفصل السَّابع، يُفردُ الأبُّ هوبكو لـ «الخطيَّة» ويطيل الحديث ويُجمل الاستنتاجات. ولكنَّه يميِّز، وبشكلٍ يثير استياءه، الإدانة أو التَّشهير أو الرَّغبة في إنزال العقاب بالخاطئ .. هذا، أيُّها القارئ، هو عين

الكتاب؛ دِن الخطيَّة، وانقِذ الخاطئ. وإن كنت أنت خاطئًا، فلا تدِن أحدًا على ظروفه، وإن كان مِن شيءٍ، فلتكن أنت سببًا لخلاص هذا الآخر، وأنت بهذا عينه، تخلِّص نفسك.

ثمَّ يجمع الأبُ هوبكو في الفصلين الثَّامن «الإرادة» والتَّاسع «المشيئة الإلهيَّة» قضيَّتين، عادةً ما تؤخذان منفصلتين وتقدَّمان بلا ربطٍ، وهو يربطهما. إرادة الإنسان تعني حريَّته، وحريَّة الإنسان ليست مُطلقةً، ولا حريَّة الله أيضًا. فكما أنَّ الله لا يمكن له أن يصنع الشَّر، لأنَّ الشَّرَّ لا كيان له في الله، هكذا أيضًا الإنسان، متى صنع الشَّرَّ، فَقَدَ حريَّته وصار عبدًا. الحرُّ هو مَن يمارس حريَّته في تحقيق مشيئة الله الصَّالحة له. وبالكلام عن المشيئة الإلهيَّة، ما موقف مَن وجد نفسه في بيئةٍ شوَّهت إنسانيَّته -وبحسب الكتاب- وانتجت فيه ميلًا أو توجُّهًا مِثليًّا، أو كانت مورِّثاته بها عطبٌ أثَّر في هرموناته الجِنْسيَّة، وهذه بدورها في تركيب المخِّ، ومِن ثمَّ السُّلوك؟ هل هذا يقع ضِمن وصف الله بـ «ضابط الكلِّ»؟ هل الله «ضبط» هذا؟ والأبُ هوبكو يجيب أنَّ الله لا يعتدي على قرار الإنسان بالشَّرِّ، ولكنَّه كمحبٍّ للبشر، لا يمكنه أن يصمت وإن لم يعتدِ على قرار الإنسان. لا يصمت، نعم، يُفعِّل الله في الإنسان وعيًا وتمييزًا لحقيقة كيانه الإنسانيِّ، فيرفض هذا الإنسان ما أثَّرت عليه به بيئته أو جسده المجلوب في طبيعةٍ إنسانيَّةٍ ساقطةٍ، إلى أن يحقِّق تألُّهه في الله في المسيح. وبقولٍ آخرٍ، الله يُخرج مِن «الآكل أُكُلًا» الله يحوِّل تبعات خطيَّة الإنسان التي أفسدت جسده إلى صليب خلاصٍ، يجاهد عليه الإنسان بالنِّعمة وينتصر إلى إنسانيَّته الكاملة في المسيح يسوع.

بناءً على هذا المدخل الطَّويل، سترى أيُّها القارئ مرحلة تتابُع بحث المِثليَّة ودحض كلِّ ادِّعاءٍ بكونها طبيعيَّة أو مقبولة أو حتَّى تستحق اسم «لاهوت المِثليَّة» الذي يسعى جاهدًا إلى الكتاب المقدَّس والتَّاريخ الكنسيِّ ليجد له موطئ قدمٍ وناصيةً لحجَّته -حجَّته المزعومة وهي وهمٌ- وتراه يفشل. وتأخذك الفصول الباقية في هذه الرحلة الشَّيِّقة، فاستمتع. استمتع لأنَّه سيعرض لمحبَّة الصَّداقة «التي يمكن أن تصفها لغويًّا بـ المثليَّة مِن جهة اللُّغة وليس مِن جهة الوصمة الاجتماعيَّة» بين الرِّجال بعضهم بعضًا، وبين النِّساء بعضهن بعضًا، بحيث يفرِّقها عن كلِّ محبَّةٍ جنسيَّةٍ؛ الأولى تُمتَدَح وتَشفي، والثَّانية تقتل وتدان. ثمَّ يربط المعرفة الجِنْسيَّة بمعنى الارتباط، ويُفرد لتعريف المعرفة، وما يعرفه الإنسان في عمل المحبَّة بالجَّسد. وينتقل إلى الزَّواج، ومِنه إلى الأسَر المكوَّنة مِن أُناسٍ ذوي ميولٍ مِثليَّةٍ ولكنهم يجاهدون ميولهم، ويعرض لموقفهم مِن تقديم الحبِّ الأسري -الذي لعلَّ حرمانهم مِنه قد تسبَّب في انحراف ميولهم الطَّبيعيَّة- وذلك في مقاربةٍ لموقف السَّماح لهم بتربية الأطفال المتبنَّين.

ومرَّة أُخرى، يرصد الأبُ هوبكو الخطية والموت والمرض واللَّغط المثار حول ربط مشكلة مرض نقص المناعة المكتسبة بالممارسات المِثليَّة.

ويصل بك الأبُّ هوبكو في الخمسة فصول الأخيرة في الكتاب إلى الجَّانب الرَّعائي لذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة. ففي الفصل الثَّاني والعشرين، يقدِّم ما يعنيه الدِّين في الأرثوذكسيَّة، وكيف تلتئم جماعة الجَّسد «الكنيسة» في احتضان المتألِّم. ثمَّ، يُكمِل الحديث، في الفصل الثَّالث والعشرين، عن ما هو مجتمع الكنيسة، الجَّماعة المتألِّهة المشفيَّة،

المجاهدة المنتصرة، التي تُدرك أنّها تحارب بسلامها، وأنَّ ضيقها في العالم هو جهاد انتصارها على العالم. ثمَّ في الفصل الخامس والعشرين والسَّادس والعشرين، يُفرد الأبُّ هوبكو لدور الكاهن والمشير في رعاية ذوي الميول المِثليَّة. ويحذِّر الرُّعاة ألَّا يحرموا أحدًا مِن شركة الكنيسة ولا الأسرار إلَّا الذي يعلِّم تعليمًا ضدَّ الإيمان ومِن شأنه أن يُفسد الصِّغار مِن شعب الكنيسة؛ لا يُحرم إلَّا مَن يقدِّم تعليمًا غريبًا.

ويختتم الأبُّ هوبكو كتابه بالفصل السَّابع والعشرين بموقفٍ حقيقيٍّ لكلِّ متألِّمٍ مِن المِثليَّة ومجاهدٍ ومتعافٍ أمام العالم.. موقف شهادتهم للإيمان الذي يعيشونه والذي يشكِّل لهم هويَّتهم والذي يصحِّح لهم رؤيتهم في إدراك ذواتهم وعيش حياتهم.

المعرِّب

٩ أبريل ٢٠٢١

مقدِّمة المؤلِّف

حملني الأصدقاء على التَّخلي عن كتابة مقدِّمةٍ لهذا الكتاب الصَّغير. كانت حجَّتهم المُقنِعة أنَّ النَّصَّ يجب أن يتحدَّث عن نفسه، ولا يتعرَّض إلى قناعاتي وحدها، بل يتطرَّق أيضًا إلى مقاصدي وآمالي التي حدت بي لكتابته.

وأخصُّ أصدقائي في دار نشر كونسيليار - *Conciliar Press* لطلبهم مِني كتابة هذا العمل، ولتشجيعي عندما خذلتني همَّتي وارتكن عقلي. وأشكر هنا أيضًا الأبَّ مايكل جيليس لتحريره كتابتي الأوَّليَّة الملتويَّة، ولاقتراحاته بتعديل النَّصِّ. وأخصَّ بالشُّكر أيضًا أصدقائي العديدين الذين قرأوا المسوَّدات الأوَّليَّة، ونقدوها، وردوا باقتراحاتٍ. هم يعرفون أنفسهم، ويعرفون عميق امتناني لصبرهم وأمانتهم ومحبَّتهم. وأيضًا، أشكر أولئك، الذين لم يعرفوني عن قربٍ، أو مَن عرفوني معرفةً عابرةً، هؤلاء الذين رافقتني كلماتهم وكتاباتهم عن موضوع الكتاب بطول عملي.

هذا العمل ما هو إلَّا محاولةً متواضعةً، لا نهائيًّا أو كاملًا بأيِّ شكلٍ مِن الأشكالِ. وأصلِّي أن يأتي بثمرٍ لمجد الله وخير الجَّميع.

الأبُّ توماس هوبكو

عيد رفع الصَّليب المقدَّس

١٤ سبتمبر ٢٠٠٥

-١-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والإيمان المسيحيُّ

الإيمان المسيحيُّ للأرثوذكسيَّة الشَّرقيَّة هو ما تكوِّنه القناعات المقبولة عن يسوع النَّاصريِّ. والأساس الأهمُّ والمركزيُّ لهذه القناعات هو الإيمان بأنَّ يسوع هو «المَسيحُ، اِبنُ الله الحيِّ» أُخبِرَ عنه في النَّاموس والمزامير والكتابات النَّبويَّة لبني إسرائيل (راجع مت ١٦: ١٦).[١]

يسوع، في الأرثوذكسيَّة، هو «مسيحُ الرَّبِّ»[٢] وهو هو «الرَّبُّ» ذاته مع الآب والرُّوح القدس.[٣] هو ابن الله الوحيد، الكلمة، وصورة الله، الظَّاهر في الجَّسد الإنسانيِّ.[٤] هو استعلان حقيقة الله، وحقيقة الإنسانيَّة، وحقيقة الخليقة.[٥] هو نور وحياة العالم، حياة كلِّ أحدٍ آتٍ إلى العالم.[٦]

---

(١) تؤكِّد كتابات العهد الجَّديد أنَّ يسوع كرز ببشارته، وأعلن تحقيق النُّبُوات المكتوبة عنه بنفسه، وأنَّه صُلِبَ، ورُفِعَ، كمسيحٍ، وكرَبٍّ، وكإلهٍ. «بحسب الكتب» (*tas kata graphas*) راجع (لو ٢٤: ٢٦-٢٧، ٢٤: ٣٢، ٢٤: ٤٤-٤٧؛ يو ٦: ٤٥-٤٧، ١٢: ١٦، ١٢: ٣٨-٤١؛ أع ١٣: ١٦-٤٠، ١٧: ٢-٣، ١٧: ١١، ١٨: ٢٨؛ ١ كو ١٥: ٣-٤)، وإشارات أخرى.

(٢) راجع (لو ٢: ٢٦؛ أع ٢: ٢٢-٣٦؛ رو ١: ١-٤؛ ٢ كو ٣: ١٧)، وإشارات أخرى.

(٣) راجع (مر ١٢: ٣٥-٣٧؛ مت ٢٢: ٤١-٤٥؛ لو ٢١: ٤١-٤٤؛ يو ٢٠: ٢٨)، وإشارات أخرى.

(٤) راجع (مت ١٦: ١٦؛ يو ١: ١-١٤، ٣: ١٦؛ ٢ كو ٤: ٤؛ كو ١: ١٥؛ عب ١: ٣) ... إلخ.

(٥) راجع (يو ١٤: ٦؛ أف ٤: ٢٠)، وإشارات أخرى.

(٦) راجع (يو ٨: ١٢، ٩: ٥، ١١: ٩-١٠، ١١: ٢٥، ١٢: ٤٦، ١٤: ٦؛ ١ يو ١:

هو «الطَّاو» الأبديُّ، الطَّريق الذي يسير عليه وإليه كلُّ أحدٍ.[٧]

يسوع «يجمع» في شخصه المتجسِّد كلَّ قِصَّة إسرائيل وكتابه المقدَّس، وكلَّ التَّاريخ الإنسانيِّ، وكلَّ الخليقة.[٨] هو «نورٌ مِن نورٍ، إلَهٌ حقٌّ مِن إلَهٍ حَقٍّ». هو المولود مِن الله الآب قبل كلِّ الدُّهور، والمولود بالجَسَد مِن العذراء مريم بالرُّوح القدس.[٩] هو قبل الكلِّ، والكلُّ خُلِقَ به وله، والذي فيه تكوَّن الكلُّ، (راجع عب ١: ١-٤؛ يو ١: ١-١٨). هو «بكرُ كلِّ خَليقَةٍ .. بكرُ مَن قام مِن الأموَاتِ .. لتكونَ له الأوَّلِيَّةُ على الكلِّ» (كو ١: ١٥، ١٨). هو ابن الإنسان الإلهيُّ، آدم الثَّانيُّ الحقيقيُّ، «الإنسانُ الذي مِن السَّماوات».[١٠] هو المعلِّم الحقيقيُّ عن الله، هو النَّبيُّ الحقيقيُّ،

١-٧).

(٧) راجع (يو ١٤: ٦؛ أع ٩: ٢). يتناظر مفهوم «الكلمة» الكتابيُّ مع مفهوم اللُّوغوس الهلِّليني في فكر الطاويَّة الصِّينيَّة.

Hieromonk Damascene, *Christ the Eternal Tao* (Platina, CA: St. Hermans Brotherhood, 1999).

(٨) الإنجماع الكلّيّ (*anakephalaiosis*) هو مصطلحٌ بولُسيٌّ، ومبدأٌ استُخدِم عند آباء الكنيسة، كما عند ق. إيريناوس أسقف ليون، على سبيل المثال. راجع (أف ١، كو ١: ١٥ – أخر الإصحاح؛ لو ٢٤: ٢٦-٢٧، ٢٤: ٣٢، ٢٤: ٤٤-٤٧؛ ١ كو ١٥: ٣-٦؛ ٢ كو ٣: ١٢-١٦).

(٩) راجع قانون الإيمان النِّيقاوي.

John Behr, *The Way to Nicea* (Crestwood: SVS Press, 2001) *The Nicene Faith* (Crestwood: SVS Press, 2004) for the scriptural foundations of Nicene Orthodoxy.

(١٠) «ابن الإنسان» لقبٌ مَسيَّانيٌّ دعا به المسيح نفسه في الإنجيل. وهو -كلقبٍ- يستدعي إلى الانتباه الصُّورة النَّبويَّة في (دا ٧: ٩-١٤)، ضمن معانٍ أخر، فيربط الصُّورة النَّبويَّة بالمزمور، (مز ١١٠: ١). يشير المسيح، في غير موضعٍ، إلى «ابنِ الإنسانِ آتِيًا عَلَى السَّحَابِ» في المقاطع المختصَّة بالحديث عن الملكوت في الأناجيل

هو الكاهن، هو المبَشِّر والكارز، هو الملك والدَّيَّان، الذي تمَّت وكملت إرساليَّته الخلاصيَّة بموته على الصَّليب.[11] الذي إذ صُلِبَ في عارٍ، أقامه الله أبوه مِن الموت، ووضع «كلَّ الأشياءِ تحتَ قدميه» وجعله «رأسَ كلِّ شيءٍ، رأسًا للكنيسةِ التي هي جَسدُه ومَلؤه، وهو الذي يَملأ كلَّ شيءٍ في كلِّ شيء» (أف ١: ١٩-٢٣).[12]

يسوع هو مَن يستعلِن كلَّ حقيقة الله، والإنسانيَّة، والخليقة، ويصل باستعلانه، في موته وقيامته، إلى كماله. فهو يؤلِّه الكلَّ في صليبه ومجده. «كلمة الله» التي يعرفها منطق الأرثوذكسيَّة هي «الصَّليب» (راجع ١ كور ١: ١٨).[13] وهي الكلمة المحسوبة جهالةً في حكمة النَّاس، وعارًا لمَن يطلب القوَّة والسُّلطة. أمَّا عند المؤمنين، فالمسيح المصلوب هو حكمة الله وقوَّته. يسوع المصلوب هو لنا برٌّ، وتقديسٌ، وخلاصٌ، (راجع ١ كور ١: ٢٢ - ٣١). وإجمال القول إنَّ المسيح المصلوب، الذي الله الآب

الإزائيَّة، وبالأخصِّ في الحديث الذي يتواجد فيه الكتبة والفرِّيسيُّون وشيوخ الشَّعب وقت آلامه. راجع (مر ١٢: ٣٥-٣٧، ١٤: ٢٥، ١٤: ٦٢؛ مت ٢٢: ٤٤، ٢٤: ٣٠، ٢٥: ٣١، ٢٦: ٦٣-٦٤؛ لو ٢١: ٢٧، ٢٢: ٦٧-٧١). راجع أيضًا (رو ٥: ١٤؛ ١ كو ١٥: ٤٢-٥٠).

(١١) كلمات المسيح الأخيرة على الصَّليب، الواردة في إنجيل ق. يوحنَّا «قَدْ أُكمِلَ» (*tetelestai*) (يو ٢٠: ٣٠)، لا تعني أنَّ حياته على الأرض قد انتهت، بل بالأكثر، تعني أنَّ في موته كَمُلَت كلُّ أعمال الله على الأرض، وبلغت مداها، وتمَّت إلى كمالها. إذ لم يعد عند الله ما هو أكثر مِن ذلك ليعلنه أو يقوله أو يريه أو يعمله للإنسان؛ إذ مات، كمَّلَ كلَّ شيءٍ.

(١٢) الإشارة هنا إلى المزمور ١١٠، العدد الأوَّل، إذ هو الاقتباس الأكثر ورودًا في كتابات العهد الجَّديد.

(13) T. Hopko, *The Word of the Cross* [Audio CD] (Crestwood, NY St. Vladimir's Seminary Press, 2005).

أقامه مِن الموت وأجلسه عن يمينه، هو كل شيءٍ لكلِّ أحدٍ في الإيمان الأرثوذكسيِّ. هو الله الغالب، السَّيِّد الذي «هو الكلُّ في الكلِّ» (*Tapanta kai enpasin Christos*).[١٤]

(١٤) راجع (١ كو ١٥: ٢٦ – ٢٨؛ كو ٣: ١١؛ يو ٢٠: ٢٨)، وإشارات أخر بطول سفر الرُّؤيا.

-٢-

المسيح والكنيسة

لا تحصر الأرثوذكسيَّة «المسيح الكلِّيَّ» في شخص يسوع وحده.[١٥] المسيح الكلِّيُّ هو يسوع وكنيسته، الرَّأس والجَسد، الملك وشعبه، السَّيِّد وتلاميذه، الكرمة وأغصانها، حَجر الزَّاوية والهيكل المرتكز عليه. ولعلَّ الأمر عظيم الأهميَّة لفهم الجِنْسانيَّة الإنسانيَّة، وبالأخصّ مِن جهة الحبِّ المثليِّ، هو أنَّ «المسيح الكلِّيَّ» هو عُرس لله على الإنسانيَّة، عُرس الله على عروسه التي خلقها وخلَّصها وألَّهها لائقةً له.

أوَّل لقبٍ ليسوع في الإنجيل هو «العريس»[١٦] ولا عجب في ذلك،

---

(١٥) «المسيح الكلِّيُّ، رأسٌ وجسدٌ» هو مِن أشهر تعبيرات ق. أغسطينوس الواردة في شرحه لإنجيل ق. يوحنَّا، الفقرة ٢٨: ١، وغيرها مِن الوارد عنه في كتابات الآباء اللَّاتين (*Patrologia Latina*). راجع أيضًا الوارد عن ق. غريغوريوس النِّيسي: «بولُس يسمِّي الكنيسة بـ «المسيح» في الكثير مِن المواضع» في «عن حياة موسى» الفقرة ١٨٤، مِن الوارد عنه في كتابات الآباء اليونانيِّين (*Patrologia Græca*)؛ وعنه أيضًا: «مَن يرى الكنيسة، يصوِّب عينيه نحو المسيح مباشرةً ... تأسيس الكنيسة عملُ تجديدٍ، لتجديد خِلقة العالم» في العظة الـ ١٣ عن نشيد الأناشيد. وراجع الوارد عن ق. يوحنَّا الذهبيِّ الفمِّ في العظة الـ ٣٠ عن ١ كو: «وبما إنَّ الرَّأس والجَسد جسمٌ واحدٌ، فهو «يقصد بولُس الرسول» قال إنَّ الكنيسة والمسيح واحدٌ. ولذلك السَّبب، يتكلَّم بالمسيح عن الكنيسة، معطيًا ذلك الاسم للجَسد الذي له».

(١٦) راجع (مر ٢: ١٩؛ يو ٣: ٢٩). يبدأ الاحتفال بآلام المسيح في الكنيسة الأرثوذكسيَّة بترتيلتين «ها هوذا الختن يأتي في نصف اللَّيل» و«إنِّني إشاهد خِدرَك مزيَّنًا يا مخلِّصي» وتسمَّى خدمة الأسبوع العظيم بـ «خدمة الختن» ثم في أحد الفصح، يُرتَّل في نهاية خدمة السَّحر، إستيشيرات الفصح معلنين خروج المسيح مِن القبر

فصورة الحبِّ الزِّيجيِّ هي الغالبة بطول الإنجيل في وصف ارتباط يهوه بإسرائيله. ملكوت الله يُصَف في الإنجيل «وليمةَ عُرسٍ» فهو «وَليمَةُ عُرسِ الحَمَل» (رؤ ١٩: ٧-٩). والكنيسة هي «عروس» الحمل و«زوجته» (رؤ ٢١: ٩). فالمسيح الكلِّيُّ -الذي هو الآن للكنيسة، ثُمَّ، وإلى الأبد، لكلِّ مَن في ملكوت الله الآتي- هو يسوع ابن الله متَّحدًا مع كلِّ الرِّجال والنِّساء، الذين مِن قِبَل نعمة الإيمان، قد صاروا «جَسَدًا وَاحِدًا ورُوحًا وَاحِدًا» معه، فيشتركون في بنوَّته لله الآب بالرُّوح القدس[١٧] وبمعنى أنَّ أجساد المؤمنين ذاتها، الذين لهم «فِكرُ المسيح» والنَّائلين روح الله، تتحوَّل لتصير «أعضاء المسيح» بحسب ق. بولُس، (راجع ١ كو ٢: ١٦؛ ٦: ١٥).

تؤمن المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة بأنَّ المسيحيِّين يتَّحدون بالله اتِّحادًا ينمو إلى الأبد في الشَّركة معه، في المسيح وبالرُّوح القدس، لأنَّهم يعرفون إلى أيِّ مدى هم «بائِسونَ، ومَساكينَ وفُقراءَ، وعَرايا وعِميانَ» (راجع رؤ ٣: ١٧).[١٨] وهم إذ يقرُّون بواقع احتياجهم الماسِّ للخلاص والشِّفاء،

«كالبارزِ من الخدرِ».

(١٧) راجع (أف ٥: ٢٣-٣٢؛ ١ كو ٦: ١٥-١٩؛ غل ٣: ٢٣-٤: ٧) تتضمَّن الإشارات السَّابقة ترتيلة التَّقدُّم إلى المعموديَّة «أنتم الَّذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم، هلليلويا»، وهي التي تُرتَّل بدلًا مِن «قدّوس الله» في ليتورجيات الأعياد الممتازة في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، وأيضًا ما يُقرَأ مِن الرِّسالة في ليتورجيا الميلاد (غل ٤: ٤-٧). وراجع أيضًا (رو ٨).

(١٨) يُحكى عن ق. هرمان الذي مِن ألاسكا أنَّه طلب إلى بعض الجُنود الرُّوس أن يأتوا إلى الكنيسة، وأجابوه بأنَّهم لا يقدرون أن يفعلوا كما طلب إليهم إذ هم خطأة. فردَّ ق. هرمان قائلًا إنَّ كون المرء خاطئًا هو المخوِّل الوحيد ليكون المرء مسيحيًّا، وإنَّ الخطأة وحدهم هم المُرَحَّب بهم في الكنيسة.

يدركون تمامًا وبوضوحٍ أنّهم، بلا يسوع، تائهون وموتى. ويدركون أيضًا أنَّ مجيئهم إلى المسيح، متعبين وثقيلي الأحمال، يرزحون تحت نيرٍ قاسٍ، ليتعلَّموا مِنه وهو الـ «وديع والمتواضع القلب» يبلغ بهم إلى «راحة» لأنفسهم فيه؛ لأنَّ «نِيرُه هَيِّنٌ وحِملُه خَفيفٌ» (مت ١١: ٢٨-٣٠).[١٩] عندها، سيُعَبِّرون عن محبَّتهم له بحفظ وصاياه، تلك التي بلا ثقلٍ، إذ ليست بلا معينٍ، (راجع يو ١٤: ١٥، ١٢؛ ١ يو ٥: ٣). وهكذا يحيون معه في شركة موته لأجل هذا العالم، وشركة قيامته إلى «جِدَّةِ الحَياةِ»[٢٠]. هم هكذا ووعيهم مثبَّتٌ على حقيقة أنّهم ليسوا لأنفسهم، بل منتمين إلى مَن اشتراهم بدمِّه، ليجعلهم له جسدًا وعروسًا.[٢١]

---

(١٩) الكلمة «هيِّن» الآتية وصفًا لـ «نير المسيح» بحسب التَّرجمات الإنجليزيَّة المقبولة «الكاتب يتكلَّم بحسب اللُّغة التي يقرأ بها الكتاب المقدَّس» هي «صالح» (*chrestos*) بحسب الأصل اليونانيِّ، وهي نفس الكلمة المستخدمة في المزمور الـ ٣٤: ٨، «ذوقوا وانظروا ما «أطيب – أصلح» الرَّبَّ».

(٢٠) راجع (رو ٦: ٢-١١) وهو الفصل الذي يُقرَأ في خدمة غروب الفصح في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، وهو يقرأ أيضًا في طقس المعموديَّة. راجع أيضًا (غل ٣: ٢٠، ٦: ١٤)، وأيضًا التَّسبحة الواردة في (٢ تي ٢: ١١-١٣).

(٢١) راجع (١ كو ٦: ٢٠، ٧: ٢٣؛ ٢ بط ٢: ١). راجع أيضًا كتابات ق. سلوان الآثوسي، (تنيّح عام ١٩٣٨)، فهي في مجملها وتفصيلها تأمُّلاتٌ عميقةٌ جميلةٌ وبسيطةٌ غير متكلِّفةٍ على النُّقطة الأساسيَّة للفقرة. تجد تلك الكتابات مع مقدِّمة وافيةٍ مِن وضع الأرشمندريت صفروني سخاروف، في الكتاب: «سلوان الآثوسي»

(Essex, England: Monastery of St. John the Baptist, 1999 and Crestwood, NY: SYS Press, 2000).

٣

الخبرة ثلاثيّة الأبعاد

تستند قناعاتنا عن المسيح وعن كلّ الخليقة في المسيح، التي انطلقنا منها وعرضنا لها قبلًا، إلى خبرةٍ ثلاثيّة، عناصرها غير قابلةٍ للانفصال؛ متى فقدت الثلاثة واحدًا، تفكّكت الخبرة فيما تقدمه مِن رؤية لواقعها. فها العنصر الأوّل، بل الأساس الأوّل، ألا وهو أنّ الله خلق كلّ شيءٍ صالحًا، انعكاسًا لصلاح ألوهيّته. والأساس الثّاني، هو أنّ كلّ شيءٍ قد فسد وزاغ عن هدفه نتيجةً لخطيّة الإنسان. والأساس الثّالث، هو أنّ كلّ شيءٍ قد افتُدِيَ، قُدِّسَ، ومُجِّدَ في المسيح المصلوب والقائم مِن بين الأموات.

يقتبل المسيحيّون الأرثوذكس هذه الخبرة ثلاثيّة الأبعاد، بما تقدّمه مِن رؤيةٍ للواقع الذي يعيشونه، في حياة شركة الأسرار التي تحياها الكنيسة الأرثوذكسيّة: أوّلًا يجدونها في الإنجيل، الذي يؤمنون بأنّ غاية كلّ كلمة فيه هي المسيح المصلوب والمُمَجَّد. ويجدونها أيضًا مرتسمةً ومحدَّدةً في نصوص العقائد التي صاغتها مجامع الكنيسة. ويجدونها مشروحةً في كتابات آباء الكنيسة. ويجدونها محفوظةً ومقدَّمةً في قوانين الكنيسة. ويختبرونها مُعاشةً في سيَر قدّيسيّ الكنيسة، وعلى رأسهم أمّ المسيح مريم. ويرونها، بل يشخصون فيها مكتوبةً في الأيقونات. ويحيونها خبرةً حيّةً في كلّ ذبيحة إفخارستيا يشتركون فيها تنفيذًا لوصيّة الرّبّ في العهد الجديد. وهم يجاهدون ويعملون لكي يحقّقوها في حياتهم اليوميّة بكلّ

جهادٍ لضبط النَّفس وبالصَّلاة بلجاجةٍ.

تنير هذه الخبرة ثلاثيَّة الأبعاد -الخلق على غير فساد، فساد الخليقة بخطيَّة الإنسان كمخلوق،[٢٢] والخلاص والتَّقديس في المسيح- إدراك كلِّ شيءٍ لكلِّ مَن يتوب، ويؤمن، ويعتمد في الكنيسة الأرثوذكسيَّة[٢٣] تدفع هذه الخبرة المؤمن الأرثوذكسيَّ إلى الاعتراف بأنَّ البشر ليسوا «لذواتهم» وأنَّ الإنسان ليس ذا سيادةٍ مطلقةٍ على إنسانيَّته. وهي في ذلك تفتح أعين من يقبلها على النَّاموس الـ «آخر» *(heteronomous)* الذي يعتمل في أعضائه. وهذا النَّاموس الآخر فإمَّا هو «نَاموسُ الرُّوح الذي يَهبُنا الحَيَاةَ في المَسيح يَسوعَ» أو «نَاموسُ الخَطيئَةِ التي هي في أَعضائي موتٌ» (رو ٨: ٢؛ ٧: ٢٣).[٢٤] وهكذا، تشكِّل هذه الخبرة ثلاثيَّة الأبعاد

(٢٢) أي أنَّ الإنسان، لا الله، هو مصدر الخطيَّة؛ الله صالح لا شرَّ فيه، ولا يمكن له أن «يخلق» الخطيَّة، بل هي عمل الإنسان المخلوق.(المعرِّب). وللمزيد، راجع تعليم ق. أثناسيوس الرَّسولي عن أنَّ الشَّر لا كيان له، بل هو وَهمٌ مِن إنتاج عقل الإنسان، في الفصل الثَّاني مِن «ضدَّ الوثنيِّين» والفصل الرَّابع مِن «تجسُّد الكلمة».

(٢٣) تعني **التَّوبة** أن يغيِّر الإنسان ذهنه؛ **والإيمان** يعني أن يصدِّق ما يرى ويسمع؛ **والاعتماد** «المعموديَّة» يعني أن يموت الإنسان عن سابق فكره وأعماله مقتبِّلا كيانًا جديدًا. مَن يَتُب، ويؤمن، ويعتمد للمسيح، يقتبل مِن المسيح فكر المسيح، ويعمل بروح المسيح، ويتشكَّل كيانا جديدًا كالمسيح في كلِّ شيء. راجع أيضًا العظة المسيحيَّة الأولى للقدِّيس بطرس الرَّسول يوم الخمسين، (أع ٢: ١٤-٤٢). وأيضًا (رو ٦: ٣-١٤)، الفصل الذي يُقرأ خدمة غروب أحد الفصح؛ وأيضًا ما يُقرأ مِن (أف ٤: ١٧-٣٢؛ كو ٣: ١-١٧) بحسب ترتيب قراءات الكنيسة الأرثوذكسيَّة.

(٢٤) راجع (رو ٧: ٢١-٨: ٣٠). حيث يُشار إلى «نَاموس الرُّوح الذي يَهبُنا الحَيَاةَ في المَسيحِ يَسوعَ» (رو ٨: ٢) بـ «شَريعةِ اللهِ» (رو ٧: ٢٥). يدعو ق. بولُس النَّاموس «الآخر» «شَريعةَ المسيحِ» (غل ٦: ٢)؛ ويدعوه ق. يعقوب «شَريعةَ الحُرِّيَّةِ الكامِلَةِ» (يع ١: ٢٥).

الإطار المرجعيَّ للخبرة الإنسانيَّة، والمعيار الذي تُقاس عليه. فهي تزن المشاعر الشخصية، وتزن المزاعم العلميَّة -وبالأكثر مخرجات العلوم السُّلوكيَّة، تلك التي تدرس الإنسان في حالته السَّاقطة- على قدر ما تقدِّم مِن معنى وهدفٍ للكيان الإنسانيِّ والحياة الإنسانيَّة.

وها نحن الآن، نضع الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والنَّشاط الجِنْسيَّ الإنسانيَّ -عامَّةً- على ميزان الخبرة الكيانيَّة ثلاثيَّة الأبعاد، بما تقدِّمه مِن رؤيةٍ للواقع الإنسانيِّ في المسيح والكنيسة؛ نزن مفاهيم الحبِّ والجِنْس المقبولة والمعاشة، بالأخصِّ في البيئة الثَّقافيَّة الاجتماعيَّة لأمريكا الشَّماليَّة، وأوروبا وأستراليا[٢٥].

(٢٥) يذكر الأبُّ هوبكو هذه المجتمعات بالتَّحديد مشيرًا إلى ثقافة المجتمع «الغربيِّ» المعاصر في تعاطيها مع الحبِّ والجِنْس. (المعرِّب).

-٤-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة

أنا أستخدِم مصطلح «الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة» (*same-sex attraction*) في معالجتي للموضوع، لأنَّني أجد مصطلح «المِثليَّة الجِنْسيَّة» (*homosexuality*) غير مناسب للتحدُّث به، إلا في معناه العام.[٢٦] التَّعبير بـ «الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة» أدقُّ ومناسبٌ بالأكثر للتحدُّث عن أناسٍ ذوي مشاعر انجذابٍ مثليٍّ، وما يعتمل فيهم مِن رغباتٍ على تعدُّد أسبابها، ودرجاتها، والتَّعبير عنها. أتفكَّر كثيرًا في كيفيَّة ربط الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة بالإيمان المسيحيِّ الذي تفهمه وتقدِّمه وتختبره المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة. وأكثرُ ما يشغلني هنا هو محاولة فهم ارتباط هذه المشاعر بالحبِّ، قياسًا على المحبَّة التي أعلنها الله للكنيسة في المسيح والرُّوح القدس.

الأرثوذكسيَّة تُعرِّف الشَّخص الإنساني كائنا روحانيًّا-نفسانيًّا-

---

(٢٦) أتبع في استخدامي لـ «المِثليَّة الجِنْسيَّة» منهج حركة «شجاعة» التَّابعة للكنيسة الرُّومانيَّة الكاثوليكيَّة. راجع أيضًا:

Paul Scalia, "A Label that Sticks," *First Things*, June/July 2005, No. 154, pp. 12-14.

حركة «شجاعة» المعروفة أيضًا بـ «كرازة شجاعة» هي خدمة رسميَّة معتمدة مِن الكنيسة الكاثوليكيَّة لمشورة وإرشاد ورعاية الرِّجال والنِّساء ذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة ليحيوا حياة العفَّة ويبقوا في شركة الكنيسة ويكملوا في سيرة الحقِّ والمحبَّة. وللمزيد، زُر الموقع الإلكترونيَّ للحركة: www.couragerc.org

جسدانيًا، مخلوقًا على صورة الله ومثاله.[٢٧] خُلِقَ هكذا، ذكرًا وأنثى، ليحيا في شركة محبّةٍ مع الله، ومع الآخر الإنسانيّ، والخليقة بكلّيّتها.[٢٨]

---

(٢٧) يكتب ق. بولُس في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي: «وإلَهُ السَّلامِ نفسُه يُقَدِّسكُم في كلِّ شيءٍ ويحفَظُكُم مُنَزَّهِين عن اللَّوم، سالمين رُوحًا (*pneuma*) ونَفْسًا (*psyche*) وجَسَدًا (*soma*)، عِندَ مَجيءِ رَبِّنا يَسوعَ المَسيح. فالذي دعاكُم أمينٌ يَفي بوَعدِه» (١ تس ٥: ٢٤-٢٥). بحسب التَّرجمة الإنجليزيَّة للعهد الجديد، وللأسف، تأتي التَّرجمة المقابلة لكلمة (*spiritual*) روحيَّة/ روحانيَّة بـ ماورائيَّة/ غيبيَّة/ فوق طبيعيَّة (*supernatural*)؛ وأيضًا لكلمة (*psychic*) نفسيَّة/ نفسانيَّة بـ طبيعيَّة (*natural*) أو حتى غير روحيَّة (*unspiritual*). هذا مقابل ما ترد به كلمة (*psychic*) في الكتابات الآبائيَّة بمعني حيويَّة/ حيوانيَّة –بما يشير إلى الحياة، القوَّة الحيويَّة التي تعتمل في كلِّ ذي جسدٍ– وهي مأخوذةٌ مِن ومردودةٌ إلى الكلمة اللَّاتينيَّة (*anima*) التي تعني «نَفْس» (*soul*).

(٢٨) القول بإنَّ «صورة الله» في الإنسان هي روح الإنسان ونفسه وعقله لهو فهمٌ غير دقيقٍ ومضَلِّل. خَلقُ الإنسان «على صُورَةِ اللهِ ومِثالِه» يعني تهيئة واستعداد الإنسان لتقبُّل الصِّفات الإلهيَّة، وليصير، في كمال إنسانيَّته، إلهًا ويعمل كإلهٍ. فلكي يكون الإنسان إلهًا ويعمل كإلهٍ، يلزم الإنسان أوَّلًا أن يكون كيانًا روحيًّا، أي أن يكون «ذا روحٍ» (*pneumatikos*)، وذا ذهنٍ «المكون النَّفسيّ» (*noetikos*)، وذا عقلٍ (*logikos*). هذا الكيان الرُّوحيُّ يحيا في جسدٍ كنفسٍ حيَّةٍ، يحيا في الهيئة كرجلٍ وامرأةٍ. حيث يحكم الرُّوح «الذهن – العقل» نفس وجسد الإنسان بتمييز وضبط المشاعر والرَّغبات، (انظر ما يلي). فلو كان الرُّوح، وحده، هو صورة الله في الخليقة، لكانت القوات غير الجِّسدانيَّة، كالملائكة، وليس الإنسان، هي المخلوقة على «صُورَة الله ومِثالِه» ويجب أن نلاحظ هنا أيضًا أنَّ الله ليس «روحًا» .. الله آخرٌ كلّيٌّ عن الخليقة في كلِّ شيءٍ. الإشارة إلى الله بـ «الرُّوح» هي رؤيةٌ على القياس الإنسانيِّ أو «انعكاسٌ إنسانيٌّ» (*anthropomorphic*)، تمامًا كأن تقول بأنَّ لله يدين أو عينين. يقول يسوع، في إنجيل ق. يوحنَّا إنَّ «اللهَ روحٌ» ليشير إلى أنَّ الله لا يحدُّه مكانٌ، ولا يوجد في مكانٍ بعينه دون آخرٍ، ويُسجَد له، بالمِثل، بـ «الرُّوح والحقِّ» (يو ٤: ٢٤). المسيح، هنا، يستخدم صيغةً تجريديَّةً بما يفوق الطَّبيعة في وصفه لكيان الله، هذا الذي وصفه آباء الكنيسة الأرثوذكسيَّة، وفق تفسيرهم للكتاب المقدَّس، وخبرتهم الرُّوحيَّة الشَّخصيَّة،

مدعوٌّ ومقدَّرٌ له أن يصير بالنِّعمة كلَّ ما هو لله بالطبيعة.[٢٩]

تتعدَّد الأسباب، التي قد لا يمكن حصرها بالدِّقة الكافيَّة بالنِّسبة لشخصٍ بذاته، التي تجعل بعض الرِّجال والنِّساء يطوِّرون مشاعر انجذابٍ ورغبةٍ بالاتِّصال الجِنْسيِّ بشخصٍ مِن نفس الجِنْس - هذا، وإن كانت تلك الأسباب تظهر بوضوحٍ في بعض الأشخاص. يقول بعضهم إنَّ هذه المشاعر لازمتهم طوال حياتهم، حتَّى مُنذ طفولتهم. وآخرون يقولون إنَّهم اختاروا هذه المشاعر في وقتٍ سابقٍ، وقد تبقى معهم في مرحلة عمريَّةٍ معيَّنةٍ، أو تتجدَّد في مواقف بعينها، أو كاستجابةٍ لظروفٍ بعينها.

تُرجِع الأرثوذكسيَّة، وكما أفهمها، ظاهرة تطوُّر الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة أصلًا إلى تمرُّد الإنسان على الله. ذلك، وكتذكرةٍ، هو العنصر الثَّاني في الخبرة ثلاثيَّة الأبعاد التي تؤصِّل لفهم الواقع الإنسانيِّ، التي سبقت

بـ «الفائق الطَّبيعة» (*hyperousios*) وبـ «الفائق الألوهيَّة» (*hypertheos*).

ترد صفة الفائق الألوهيَّة عند ق. غريغوريوس بالاماس في وضعه معيارًا لمدى رفعة الكيان الإلهيِّ عن الوصف البشريِّ، والذي بدوره كان يُعرِّف الآلهة بكيانات ساميَّةٍ غير جسميَّةٍ ... إلخ. هذا بعينه ما يرفضه ق. غريغوريوس، ويتفق مع الوارد في الحاشية، إذ يؤكد أنَّ الله الحقيقيَّ «آخرٌ كلِّيٌّ» حتى بما يتجاوز تعريف الإنسان للألوهيَّة. (المعرِّب).

(٢٩) التَّعليم الآبائيُّ الأرثوذكسيَّ يقدم الإنسانيَّة هكذا: الإنسان، لكي يكون إنسانًا حقًّا، هو مدعوٌّ ليصير، بنعمة الله (*kata charin theou*)، ومشيئته (*kat' evdoki-an*)، وأعماله (*kat' energeian*)، وقوّته (*kata dynamin*)، كلَّ ما لله بالطَّبيعة (*kat' ousian*) إنَّ خلقة كيان الإنسان في روحٍ ونفسٍ وجسدٍ هي ما يجعل تأليه الإنسان ممكنًا.

الإشارة إليها في الفصل السَّابق: أي كتداعٍ للفساد الذي لحق بالعالم جرَّاء خطيَّة الإنسان. سنعود في مبحثنا هذا، مرَّةً بعد مرَّةٍ، إلى هذا البُعد، ربطًا بالبُعدين الأساسيَّين الآخرين للإيمان الأرثوذكسيِّ، وهما: الخليقة الصَّالحة والإنسان، الرَّجل والمرأة، يتسلَّط عليها بالصَّلاح مِن قِبَل خلقته على صورة الله ومثاله. والآخر: خلاص الله الذي صنعه تقديسًا للخليقة كلِّها، مبتدئاً بالإنسان، في المسيح المصلوب والمُمَجَّد.

وإذ نستند إلى هذه القناعات المؤسسة، نؤصِّل فهمنا لخلقة الله للإنسان على الغيريَّة الجِنْسيَّة؛ الله لم يخلق الإنسان «مثليَّ الجِنْس». الله يخلق الرِّجال والنِّساء ليعيشوا بتكامليَّتهم شركة حياة المحبَّة الإنسانيَّة، على كلِّ مستويات الكيان الإنسانيِّ والحياة الإنسانيَّة جسمانيًّا، عاطفيًّا، روحيًّا وجنسيًّا. وفي ضوء هذه الرُّؤية للكيان الإنسانيِّ، لا تتطوَّر الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة التي تبتغي الاتِّصال الجِنْسيَّ -وأعني هنا، وبالتَّحديد، الرَّغبة في الإشباع الجِنْسيِّ عن طريق اتِّصالٍ جنسيٍّ كامل الفعل بالأعضاء التَّناسليَّة- إلا كنتيجةٍ لحالة الإنسانيَّة السَّاقطة، حالة الفساد التي يولد الإنسان عليها، ويحيا فيها. إذن، الإنسان ليس «مثليَّ الجِنْس» على المستوى الكياني ذاته الذي به الإنسان ذكرٌ أو أنثى، أبيض البشرة أو داكنها، أسيويٌّ أو أفريقيٌّ، أو مِن سلالة أو إثنيَّةٍ بعينها.

وبقدر ما تُعَدُّ الجِنْسانيَّة الغيريَّة، المُعَبَّر عنها بمشاعر منضبطةٍ في التَّوجُّه الغيريِّ، عنصرًا أساسيًّا في الكيان الإنسانيِّ والحياة الإنسانيَّة، يبتعد التَّوجُّه الجِنْسيُّ المِثليُّ، الذي يسعى إلى اتِّصالٍ جنسيٍّ بشخصٍ مِن نفس الجِنْس، عن كونه عنصرًا مكوِّنًا أو أساسيًّا في الهويَّة الجِنْسيَّة

للإنسان. الرَّجل الذي يفكِّر برجالٍ آخرين ويكنُّ لهم مشاعر انجذابٍ يظلُّ رجلًا ذكرًا «إنسانًا». والمرأة المنجذبة جنسيًّا لنساءٍ أخريات تظلّ امرأةً. الرِّجال والنِّساء، على اختلاف ميولهم الجِنْسيَّة، أكانت غيريَّة أم مثليَّة، هم بشرٌ ويبقون بشرًا، ولا يُحكَم عليهم في كيانهم الإنسانيِّ، أي إنسانيَّتهم المعطاة لهم مِن الله، وفق المشاعر والرَّغبات -تلك التي تعتمل فيهم نتيجةً لعوامل جسمانيَّةٍ أو نفسيَّةٍ أو إرثٍ ثقافيٍّ، أو كردِّ فعلٍ على معاملة الآخرين لهم، وبالأخص أفراد الأسرة- التي تخضع لفساد العالم السَّاقط.[٣٠]

(٣٠) للمزيد عن تأثير العوامل الوراثيَّة والتَّأثير المكتسب، راجع:

Dean Hamer and Peter Copeland, *Living with Our Genes, Why They Matter More Than You Thinк* (New York: Doubleday, 1998), especially pp. 158-200.

اكتشف معمل «هامر» في العام ١٩٩٣ ما زُعِمَ أنَّه «مورِّث المِثليَّة» (*gay gene*) وهو ما يرد الحديث عنه في الصَّفحات: ١٨٢ – ١٨٣ من الكتاب المذكور. وراجع أيضًا:

V. S. Ramachandran and Sandra Blakeslee, *Phantoms in the Brain, Probing the Mysteries of the Human Mind* (New York: HarperCollins, 1999).

T. Hopko, *Sin: Primordial, Generational, Personal* [Audio recording] (Crestwood, NY: SVS Press, 1990).

-٥-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والصَّلاح

يعترف المفهوم الأرثوذكسيُّ للمسيحيَّة بأنَّ كلَّ الخليقة -بما فيها الشَّياطين- ومَن فيها مِن الإنسان، صالحةٌ بطبيعتها.[٣١] لا أحد ولا شيء شِرِّيرٌ بطبيعته. الشَّرُّ دخيلٌ يتطفَّل «دومًا» على الصَّالح. الشَّرُّ في أعمال أحد ما ليس إلا خطأ أو إساءة استخدام -عن معرفةٍ أو عن جهلٍ، بالإرادة أو بغير الإرادة- ما هو صالحٌ بالطَّبيعة. والأشرار هكذا أيضًا،

(٣١) هذا يتَّفق مع ما يقول به سي. إس. لويس في (*Men Without Chests*) عم مَن فقد (*the Tao*) إشارة إلى فقد المسؤوليَّة الأخلاقيَّة، لم يعد «إنسانًا» بعد، ومِن ثمَّ، لا يمكن وصفه بـ «الصَّلاح» أو بـ «الشَّر»

The Abolition of Man (San Francisco: Harper, 2001, originally 1944), p. 163.

ويجدر بكلِّ مَن يهتم بدراسة الإنسانيَّة أن يقرأ هذا الكتاب الصَّغير، وبالأخصِّ مَن يدرسون الجِنْسانيَّة الإنسانيَّة في العالم الغربيِّ المعاصر. راجع أيضًا:

Karl Stern, *The Pillar of Fire* (Garden City, NY: Image Books, 1959, first published by Harcourt, Brace and Co., 1951).

في هذا الكتاب، يتنبَّأ المؤلِّف، عن الواقع الإنسانيِّ المعاصر هكذا: «بمجرَّد سقوط الماركسيَّة» ستدخل الإنسانيَّة «تجربةً عالميَّةً» وهو يصف هذه التَّجربة بـ «الواقعية - عقلنة» أو بـ «النَّزعة العلميَّة» والتي يقول عنها إنَّها «النَّمط الاجتماعيُّ الوحيد الأسوء مِن الماركسيَّة أو الفاشيَّة». ويكمل عالم النَّفس الجليل هكذا: «بمقارنة هذا المجتمع «مجتمع النَّزعة العلميَّة» بالنَّازيَّة «ألمانيا»، والاشتراكيَّة «روسيا - الاتِّحاد السُّوفيتيِّ»، ستبدو هذه كلُّها أمامه كلعب الأطفال؛ حياة الإنسان على هذه الأرض تصير أقرب لتصوُّر الجَّحيم مِنها إلى أيِّ شيءٍ آخرٍ. ذلك، وليس الدَّمار الماديُّ، هو ما سيعني نهاية الإنسانيَّة». الاقتباس الأصلي مِن صـ ٢٦٢.

ليسوا استثناءً، هم بشرٌ، وباقون بشرًا، خلقوا بلا شرٍّ، بل بالصَّلاح وفي طبيعةٍ صالحة، لأنَّهم خليقة الله.[٣٢]

ومهما أفسد البشر إنسانيَّتهم، لا يفسدونها بالكلِّيَّة، «إذ بحسب الإيمان الأرثوذكسيِّ، هذا مستحيلٌ، بما إنَّ إمكانيَّة التَّوبة لا تُفقَد تمامًا»، فهُم، في حقيقة الأمر، إن أدركوا أو لم يدركوا، يجوعون ويعطشون لكلِّ ما هو صالحٌ، وحقيقيٌّ، وجميلٌ، في كلِّ ما يفعلونه ويسعون إليه، بما في ذلك الأفعال الجِنْسيَّة.[٣٣] هذا الصَّلاح يُشبع احتياجاتهم، ويريح تعبهم ويُفرحُهم. وإذ نضع هذا في قالبٍ مسيحيٍّ، نجد أنَّ الإنسان يسعى إلى القداسة والاتِّحاد بالله، وبكلِّ الخليقة في الله.

---

(٣٢) يكتب ق. مكسيموس المعترف عن طبيعة الإنسان: «يُنتِج الاستخدام اللَّائق لهذه القُوى»يعني هنا القوى النَّفسيَّة والرُّوحيَّة للإنسان» معرفةً روحيَّةً، وتميزًا للخير والشَّر، ومحبَّة، وضبطًا للنَّفس. لأنَّ لا شيء أُعطِيَ وجودا مِن قِبَل الله شرِّيرٌ ... وعلى ذلك، فإنَّ الشَّر هو في إساءة استخدام الأشياء، إذ إنَّ هذه الإساءة تحدث عندما يسيء الذِّهن توجيه قِواه الطَّبيعيَّة». وراجع أيضًا:
T. Hopko, "On God and Evil," in *Abba – The Tradition of Orthodoxy in the West,* Festschrift for Bishop Kallistos Ware (Crestwood, NY: SVS Press, 2003), pp. 179 – 192.

(٣٣) تقول النُّصوص الآتية في (مت ١٢: ٣١)، والمقابل لها في (مر ٣: ٢٨-٢٩؛ لو ١٢: ١٠؛ مر ١٤: ٢١؛ ٢ بط ٢: ٤-٢٢؛ يه ١: ٦-١٣) إنَّ البشر يمكنهم أن يفسدوا إنسانيَّتهم بل يفقدوها. الكتاب المقدَّس، في معناه الكلِّيِّ، يقول بإنَّ الإنسان يمكن أن يتجرَّد مِن إنسانيَّته تجرُّدًا متزايدًا، ولكنَّه مهما فقد مِن إنسانيَّته، لا يفقد أصله الإنسانيَّ، وبقاء هذا الأصل للإنسان هو ما يمكِّن الإنسان مِن التَّمادي في الشَّر وعدم التَّقوى. ومِن ثمَّ، ينحدر الإنسان أعمق وأعمق إلى درك اللَّاإنسانيَّة، هذا هو الشَّرَّ بعينه وهو يعتمل ضد مسيرة التَّقديس «تكميل الإنسانيَّة» المقصود لها أن تكون دائمةً بلا نهاية. راجع أيضًا: T. Hopko, "On God and Evil"

وهكذا، استنادًا إلى هذا المفهوم، نجد أنَّ الإنسان مخلوقٌ لله، موَجَّهًا إلى الله، ولن يجد راحةً ولا سلامًا إلا عندما يستريح في الله.[٣٤] لا فرق في هذا بين رجلٍ وامرأةٍ، أيًّا كانت ميولهم وتوجُّهاتهم الجِنْسيَّة. فعندما ينخرط الإنسان في نشاط جنسيٍّ -أكان غيريًّا أم مِثليًّا، مع شريك واحدٍ أم في علاقاتٍ متعدِّدةٍ، بما يليق أو بما لا يليق- يسعى الإنسان في حقيقة الأمر، حتى وإن رفض الإقرار بذلك، إلى كمال الحياة الإلهيَّة غير المنتهيَّة، والسَّلام الفائق، والرَّاحة، والبهجة في الله. وجملة القول أنَّ الإنسان في كلِّ ما يعمل، وإن أساء بما يؤول به إلى الفشل في تحقيق الهدف، هو يستخدم عطيَّة الله له «إنسانيَّته وانجذابه إلى الصَّلاح» المقصود مِنها أن تكون تعبيرًا عن شركة الإنسان مع الله، وأن تصير ممارستها وتفعيلها اشتراكًا حقيقيًّا في الله .. الله الذي هو محبَّةٌ.

(٣٤) يكتب أغسطينوس في افتتاحيَّة «اعترافاته» ١ : ١، «لقد خلقتنا لذاتِك، لذلك لن تعرف قلوبُنا راحةً إلا عندما تستريح فيك». تعليقٌ: التَّرجمة إلى العربيَّة الواردة لهذا النَّصِّ مِن عمل المعرِّب ولم تُقتبَس عن أيٍّ مِن التَّرجمات المتاحة.

-٦-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والعاطفة

تؤمن المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة بصلاح دوافع ورغبات الإنسان وعواطفه بطبيعتها.[٣٥] لأنَّها هي في مجموعها عنصر أساسيٌّ في الطَّبيعة الإنسانيَّة المخلوقة على صورة الله ومِثاله. وهي أساسيَّةٌ لا غنى عنها

---

(٣٥) تُستخدَم كلمة (*Passion*) في الكتابات المسيحيَّة بمعانٍ مختلفة تُفهَم في سياقها. تستخدم بمعنى الدَّوافع التي خلقها الله للكيان الإنساني: دوافع روحيَّة، ونفسيَّة «الانفعالات النَّفسيَّة – العاطفيَّة» والغرائز الجُسدانيَّة، وهي توجَّه إمَّا إلى الخير والصَّلاح أو إلى الشَّرِّ، فالرَّغبة، والحَميَّة «الغيرة»، الغضب، والحزن كلُّها تخضع للتَّوجيه. ولكن، درج الاعتبار الأدبيُّ لكلمة (*Passion*) بالاستخدام بمعنى مشينٍ للشَّهوات الجُسدانيَّة المنحطَّة، وللمشاعر غير النَّقيَّة، وتحرُّك الرُّوح بالشَّرِّ، وحصر استخدامها وصفا للعيب، إذ اقترنت بصفات كـ «شرِّيرة» – «آثمة» – «مخالفة الطَّبيعة» – «موبقات» – «شائنة» وبالمثل أيضًا تُستخدَم الكلمات: رغبة (*epithy-mia*) والعالم (*cosmos*) وجسد «اللَّحم والدَّم – الجَّسد الماديُّ» (*sarx*) بمعانٍ مختلفة تفهم في سياقها: (مثلًا، قارن النُّصوص الواردة في يو ٣: ١١٥-١٦؛ ١ يو ٢: ١٥-١٦). راجع أيضًا كتابات ق. مكسيموس المعترف في الفيلوكاليا:

The Philokalia, Volume II, edited by Palmer, Sherrard and Ware (London: Faber and Faber, 1981), with the note on "passion" in the glossary, pp. 385-6.

حيث يقول ق. مكسيموس: «إنَّ الشَّهوة الآثمة التي تدين مَن يتَّصِف بها «يدين – إدانة» (*culpable*) في الإنجليزيَّة والمترجمة بـ (*blameworthy*)، بحسب ترجمة (*Sherwood*) هي كلُّ انفعالٍ نفسيٍّ لا يتَّفق مع الطَّبيعة». راجع أيضًا:

Bishop Ignatius Brianchaninov (a.k.a. St. Ignatius, or Ignatii, Brianchaninoff), *The Arena: An Offering to Contemporary Monasticism* (Jordanville, NY: Holy Trinity Monastery, 1997, originally published in 1867), chapter 41, "The Meaning of the Term 'World,'" pp. 166-177.

للحياة الإنسانيّة. وهي لا تتحوّل إلى الشّرّ إلّا عندما يُساء توجيهها واستخدامها.

رغبة الإنسان بما هو صالحٌ وخيّرٌ وحقٌّ وجميلٌ: رغبة الصّلاح (*epi-thymia*) رغبةٌ طبيعيّةٌ متأصّلةٌ في الطّبيعة الإنسانيّة، وجديرةٌ بالمديح والثّناء، عندما تُستخدَم استخدامًا لائقًا بوعيٍ (*heguomenikon*) أو (*logistikon*) بإرادة حرّةٍ (*eleutheria*) وبانضباطٍ (*enkrateia*) بلا هوى (*apatheia*).[٣٦] ومثلها أيضًا، صالحةٌ وممدوحةٌ كلُّ رغبةٍ للاتّحاد مع آخر

(٣٦) بحسب التّعليم الرّوحيّ الأرثوذكسيّ، كلمة «ضبط الانفعال» (*apatheia*) لا تعني اللّامبالاة، أو عدم إدراك المشاعر، أو التّبلّد، أو قصور التّعاطف، أو غياب التّأثّر، ولا تُفهَم بالتّصلّب أو الازدراء بالآخر، بل بالأولى تُفهَم بالحريّة التي لا تجعل الشخص يقع ضحيّةً للتّلاعب ضدّ طبيعته أو دون إرادته. لا يقدر أحدٌ أن يتعاطف تعاطفًا صادقًا وأمينًا إلّا مَن «يضبط انفعاله» إذ بضبط انفعاله يمكنه أن يتواصل وجدانيًّا، لأنّه يدرك قدرته على التّواصل مع الآخر دون أن يُبتَلَع إلى تعاطفٍ وجدانيٍّ يلصقه بحياة الآخر وبمجرياتها، بل يحتفظ بحريّته دون الانغلاق في سلبيّة اللّامبالاة أو التّحامل بازدراء الآخر* ولذلك، إذ يؤخذ التّعبير الذي يتكلّم به الكتاب المقدس عن المسيح الذي بغير خطية إنّه «جَعَلَه اللهُ خَطِيئَةً» (٢ كو ٥: ٢١)، مع التّعبير المستخدم في الليتورجيا الأرثوذكسيّة إنّه «قَبِلَ الآلام بإرادته» بالإضافة إلى صيغة أخرى بـ«قبول الآلام بغير ألمٍ» تفهم جميعها في ضوء ما يتكلّم به القدّيسون عن قبول المسيح الآلام بغير استهلاكٍ عاطفيٍّ أو قسرٍ وجدانيٍّ، وأيضًا شفقته بغير مبالغةٍ في التّعاطف السّلبيّ، وأيضًا ما يقولونه عن اتّقاد انضباط انفعالاته، وغيرته «توجُّهه الكامل الواعي بحسب تدبير الخلاص» ليقدّس – للتّقديس. وهم في أقوالهم هذه يتكلّمون عن الانتصار على التّعاطف السّلبيّ الاستهلاكيّ بالتّعاطف الواعيّ الذي يصنع خلاصًا .. والانتصار على شهوة الجسد بشوهة الجسد: الانتصار على شهوة الجسد الرّديئة بتقديس المحبّة في الجسد، والانتصار على الرّغبة «الرديئة» بالرّغبة «الصّالحة»** وللمزيد راجع:

St. John Climakos, *The Ladder of Divine Ascent*, and the multi-

بالجَسد (*eros*) في محبَّةٍ (*agape*)، أو في صداقةٍ (*philia*)، أو في تعاطفٍ قلبيٍّ (*storge*). وكذلك أيضًا الحميَّة أو اتِّقاد الحماس (*thymos*)، لأنَّ هذه كلَّها هي مِن الله. والإنجيل يشهد بأنَّ اختبار المسيح، والله الآب حتَّى، قد اختبرا المشاعر وحموَّها في علاقتيهما مع الخليقة.

عندما يسيء الإنسان توجيه واستخدام طاقاته الوجدانيَّة التي أعطاه الله إياها، تنحرف به، وتتشوَّه إلى ما تؤول إليه مِن سلوكٍ شائنٍ لشهواتٍ رديئةٍ، والتي في بُعدها الجِنْسيِّ تسمى «زِنى» (*porneia*) بحسب تسمية الكتاب المقدَّس وكتابات وتعاليم القدِّيسين.[٣٧] وعندما يسلك الإنسان

---

volume collection of writings called the *Philokalia* (for example, those of St. Maximus the Confessor and St. Diodokhos of Photike). For a succinct summary of the patristic teaching on passion and dispassion, see in the *Philokalia*, Kallistos and Ignatios of Xanthopoulos, "Directions to Hesychasts," pp. 86-89.

* الكاتب هنا يفرِّق بلغة سهلة بين التَّعاطف الوجدانيِّ «الذي يُستهلَك فيه الشَّخص مِن قِبَل مَن يتعاطف معهم أو يستهلِك هو نفسه وجدانيًّا بالانفعال غير المنضبط مع موقف الآخر أو حالته النَّفسيَّة»، والتَّعاطف الواعيِّ «الذي يمنع الاستهلاك أو المبالغة، بل يُعَدُّ دعمًا صحيًّا لأنَّه يحتفظ للشَّخص ولِمَن يتعاطف معه بقدرٍ مناسبٍ مِن الاستقلاليَّة الوجدانيَّة» الذي يسمح باتِّخاذ قراراتٍ مناسِبةٍ. (المعرِّب).

** الكاتب هنا لم يُفَصِّل المصطلحات، ولكن بحسب الكتابات الآبائيَّة، تسمَّى الانفعالات النَّفسيَّة غير المضبوطة بـ «الآلام أوالأهواء» ومِن ثمَّ تُرجِمَ المقطع بما يناسب الفرق بين المنضبط وغير المنضبط مِن المشاعر بحسب وصفها. وها النَّص كما ورد في الحاشية الأصليَّة باللُّغة الإنجليزيَّة:

They also speak of overcoming passion by passion, eros by eros, desire by desire, and fire by fire.

(٣٧) راجع: (مت ١٩: ٩؛ ١ كو ٦: ١٣، ١٨)، وغيرها مِن المواضع التي وردت فيها كلمة زِنى (*porneia*) لتعني: الانفلات الجِنْسيَّ (*immorality sexual*)، عدم حفظ العفَّة (*unchastity*) خصوصا مِن جهة الخيانة الزَّوجيَّة، أو الممارسة الجِنْسيَّة خارج

وفق هذه الرغبات في حالتها الفاسدة سلوكًا متكرِّرًا، على تعدُّد أشكالها ودرجاتها، تستعبده تحت نير الإدمان الثَّقيل. وبالمِثل، نلاحظ أنَّ الإنسان عندما يسيء توجيه واستخدام استعداده الطبيعيَّ بدوافعه «الغريزية»، تنحرف به تلك إلى الهياج والثَّورة، وهذه بدورها، عندما لا تُلجَم، بل تُطلَق بلا ضبطٍ، تستعبده للتَّمادي في سلوكٍ قهريٍّ. لذلك كانت الوصيَّة الإنجيليَّة، بل الإنذار بأنْ «اهتزُّوا غضبًا ولا تخطَأوا» (مز ٤: ٥)، «وإذَا غَضِبتُم، لا تُخطِئوا وَلا تَغرُبُ الشَّمسُ عَلىَ غَضَبِكُم» (أف ٤: ٢٦).

يميِّز التَّقليد الأرثوذكسيُّ أنَّ الدَّافع النَّفسيَّ [العاطفيَّ] الجِنْسانيَّ

الزَّواج (fornication).* ومن جهة الزِّنى، فقد عولِج الأمر في الكتابات الآبائيَّة في:

St. John Cassian, "On the Eight Vices" in the *Philokalia*, and "On the Spirit of Porneia," *Institutes*, Bk 6.
St. John Climakos, *The Ladder of Divine Ascent*, Step 15.
St. Isaac of Syria, *The Ascetical Homilies*, 41.
St. Nilus of the Sora (Nil' Sorskii), "The Eight Principal Vices of the Soul" in *The Monastic Rule*.
St. Ignatius Brianchaninoff, *The Arena*, chapter 42.

وأيضًا في تعليم آباء الصحراء، كما جاء بكلمات ق. أنطونيوس، إذ يقول: إنَّ الزِّنى (*porneia*) [بمعنى عام] هو الشَّهوة (*passion*) [بما يشمل الفكر أيضًا] الوحيدة التي يداوم الرَّاهب الجِّهاد ضدَّها، وهو بعد في عزلة الصحراء. تابع المزيد عن النَّظرة الرَّهبانيَّة في الفصل الـ ١١.

*كلمة (*Fornication*) مِن أصلٍ لاتينيٍّ يعني قوسًا أو قُبَّةً (*fornix*)، ووردت في الفولجاتا، وهي وصفٌ لما كانت العاهرات يعملنه مِن الوقوف تحت الأقواس انتظارًا لمَن يطلبونهن. الكلمة هي المقابل اللَّاتيني لكلمة (*porneia*) اليونانيَّة والتي تعني الدَّعارة تحديدًا، ثم تطوَّر استخدامها في زمن كتابات العهد الجَّديد المبَّكرة، مِثل رسائل ق. بولُس، لتشمل تنوُّع الممارسات الجِّنسيَّة خارج الزواج -بلا زواجٍ، التي للعبادات الوثنيَّة. (المُعرِّب)

الخالص -غير المرتبط بالحبِّ بأيِّ نحوٍ كان، بل المتمحور حول الذَّات، والمدفوع برغبةٍ مجرَّدةٍ للاتِّصال الجنْسيِّ والإشباع العاطفيِّ كهدفٍ بحدِّ ذاته- هو خطيَّةٌ دومًا، وبغضِّ النَّظر عما إذا كان غيريَّ التَّوجُّه أم مِثليَّ التَّوجُّه. لأنَّه هكذا يحيد عن هدفه الذي الله خلقه لأجله. هذا السُّلوك خطأٌ لأنَّه ينشأ كردِّ فعلٍ، مِثله مِثل بقيَّة الانفعالات الجُسمانيَّة والنَّفسيَّة الرُّوحيَّة الخاطئة، حرَّكته العوامل الوراثيَّة والتَّأثير البيئيِّ اللاإلهيَّة* الواقعة تحت سيادة الفساد، وإساءات الآخرين. وعندما يسلك الإنسان وفق هذه العواطف الجِنْسيَّة، أكان سلوكًا إراديًّا أو قسريًّا، تؤدي به للسُّقوط في الخطيَّة -خطيَّةً شخصيَّةً لفاعلها، وتدين فاعلها، ولكن خطأ فاعلها يُحسب عليه بقدر ما «رغب - تجاوب» ووعى وقبِلَ النيَّة لارتكاب الفعل الجِنْسيِّ.[٣٨]

---

(٣٨) يجب علينا الانتباه إلى انَّ التَّقليد الأرثوذكسيَّ يعتبر كلا الحالتين (إراديًّا أو قسريًّا) **خطيَّةً**، دون أن **يُدين** الإنسان فيهما بالضَّرورة. وكمثالٍ، قد يصدف أن يقول طفلٌ شيئًا خاطئًا، أو أن يعمل خطيَّةٍ ما، وهو يقلِّد البالغين، والحكم على القول والعمل في حدِّ ذاتهما بأنَّهما خطيَّةً هو حكمٌ موضوعيٌّ، ولكنَّ الطِّفل يصعُب الحكم عليه بأنَّه أخطأ؛ لا يُدَن. أمَّا مِن جهة الحكم على الحكم على أحدٍ ما، بوجود خطأٍ فيه وبدرجة هذا الخطأ، فالله وحده مَن يدين ويبرِّئ. ووفقًا للمسيح في الأناجيل، فإن مَن يعرف أكثرَ وأفضلَ، يُدَن دينونةً أشدَّ مِمَّن لا يعرف أقلَّ مِنه أو مِمَّن يجهل الأمر تمامًا، (راجع لو ١٢: ٤١-٤٨؛ يو١٧: ١٣). وهذا أيضًا هو التَّعليم الرَّسوليُّ، وكمثالٍ (راجع رو ٢؛ يع ٤: ١٧). واعتمادًا على هذه الرُّؤية، الله سيدين المسيحيِّين الأرثوذكس دينونةً أشدَّ مِن جميع النَّاس. وتجدر الإشارة في هذا الصَّدد، ووفقًا للتَّعليم الأرثوذكسيِّ، إلى أنَّ الله لا يدين أحدًا بالـ «مقارنة» بآخرٍ؛ لا يمكن القول بأنَّ (أ) «أكثر خطيئة» مِن (ب)، بل الله يدين كلَّ واحدٍ على قدر ما يعرف ويعمل، ودينونته هذه لا تحدث بمعزلٍ عن رعايته لهذا الإنسان بالتَّحديد، اهتمامه الشَّخصيَّ بخلاص هذا الإنسان بالتَّحديد. وبسبب هذا التَّحديد في المعاملة بين الله وكلِّ إنسانٍ

وإن كانت الرَّغبات والمشاعر خاطئةً، فلننتبه إلى أنَّ يسوع لم يقل في الأناجيل إنَّ مَن «يتفكَّر» بها أو تعتمل فيه، خاطئٌ؛ الفكر وحده لا يدين أحدًا بخطيَّةٍ جنسيَّةٍ. وأيضًا، نميِّز الأمر ذاته عند القدِّيسين، الذين لم يدخروا جهدًا في شرح أنَّ مِن المستحيل ألَّا تأتي مِثل هذه الأفكار والمشاعر التي معها أو تسبقها أو تنتج عنها على الإنسان في هذا العالم وهو في حالته الفاسدة. ولكن، ما يؤكِّده يسوع أنَّ مَن يخطأ، هو مَن «يقصد» أن ينظر ليشتهي شهوةً شرِّيرةٍ، وبأنانيَّةٍ، وبقصدٍ منحصرٍ في لذَّة الجَسد، أيَ إنَّ مَن يخطأ، هو مَن يبتغ جنسًا صِرفًا، جنسًا بلا محبَّةٍ حقيقيَّةٍ -وبالطَّبع أيضًا، يخطأ ويُدَن، مَن «يُعمل وينفِّذ» هذه الشَّهوات الشِّريرة إلى «فعل» الخطيَّة.[٣٩]

كحالةٍ فريدةٍ، ينبغي لكلِّ إنسانٍ -بل يجب عليه- أن يُعلِن أمام الله أنَّه «أوَّل» الخطاة. وللمزيد حول هذا الأمر، راجع ق. إسحق السُّريانيَّ، العظات النُّسكيَّة. وها شيءٌ مِنه على سبيل المثال: «الإنسان قد يرتكب بعض الخطايا عن ضعفٍ، وينجذب إليها ضدَّ إرادته. وقد يرتكب خطايا بالإرادة، وأخرى عن جهلٍ. وقد يصدف أن يخطأ الإنسان عرضًا، أو مرَّةً أخرى، بسبب استمراره الطَّويل في الشَّرِّ، أو بسبب العادة. وإن استحقَّت كلُّ صنوف وأنواع الخطايا هذه الإدانة، فإن العقوبة على الواحدة مِنها بعينها قد تكون أكبر أو أقلَّ مِن الأُخرى. فقد تكون دينونة الإنسان في واحدة مِنها شديدةً جدًا وتوبتها تُقبَل بعد جهادٍ صعبٍ، والأُخرى تُغفر بسهولةٍ». عظة ٩، صـ٧١. راجع:

St. Isaac of Syria, *The Ascetical Homilies*, Boston: Holy Transfiguration Monastery, 1984.

(٣٩) راجع (مت ٥: ٢٧-٣٠). وأيضًا: «سأل الأبُّ أنوف الأبَّ بيمن عن الأفكار الدَّنسة التي يلدها قلب الإنسان، وأيضًا عن الرَّغبات الباطلة، فقال له الأبُّ بيمن: «هل تفتخر الفأس، بدون مَن يقطع بها؟ (أش ١٠: ١٥). وأنت أيضًا، لا تُعطِها مجالًا، لئلَّا تبقى» الأبُّ بيمن (١٥). وأيضًا «سأل الأبُّ أشعياء الأبَّ بيمن عن الأفكار النَّجِسة، فقال الأبُّ بيمن: «كما أنَّ الثِّياب الكثيرة الموضوعة في خزانةٍ، لمُدَّةٍ

يشهد الكتاب المقدس والقدِّيسون معه، وبلا استثناءٍ، أنَّ متى حدث انجذابٌ صالحٌ مغبوطٌ مِن الله بين اثنين مِن نفس الجنْس، فلن يتَّصلا ببعضهما جنسيًّا، لأنَّ المحبَّة التي جمعتهما هي محبَّةٌ إلهيَّةٌ، ولا يُعَبَّر عنها باتِّصالٍ جنسيٍّ مِثليٍّ. وذلك لأنَّ الاتِّصال الجِنْسيَّ المِثليَّ لا ولن يمكن له -بأيِّ درجةٍ كانت، ومهما تضمَّن مِن ممارساتٍ، على اختلافها، بين المشتركين فيه، وبغضِّ النَّظر عن الالتزام بوحدة الشَّريك، وبغضِّ النَّظر أيضًا عن ظنِّهما أنَّ الحبَّ الذي بينهما هو «مِن الله»- أن يخدم التَّكامل، ولن يصل بممارسيه إلى الاتِّحاد، ولن يشتركا به في خلق الحياة بنسلٍ، ولن يُثري حياة ممارسيه بنفس الطُّرق التي أراد بها الله للاتِّصال الجِنْسيَّ بين الرِّجال والنِّساء أن يكون.

الاتِّصال الجِنْسيُّ المِثليُّ ليس في مقدوره تكميل ولا تأليه حياة وكيان المشتركين فيه.. لا جسديًّا ولا وجدانيًّا ولا روحيًّا. ولن يمكن أن يكون التَّعبير عن العلاقة الإنسانيَّة، أو أن يصير «نموذجًا» يمثِّلها بما يليق بما أراده لها الله مُنذ البدء، ولن يعبِّر عمَّا صنعه الله فيها مِن خلاصٍ وتقديسٍ في المسيح والرُّوح القدس. والكتاب المقدَّس يشهد عمَّن يسلِّم جسده للمهانة في الممارسات الجِنْسيَّة المِثليَّة إنَّه يتَّخذ -بمعرفةٍ أو بغير معرفةٍ- «الباطِلَ بَدَلاً مِنَ الحقِّ الإلَهيِّ وعَبَدوا المَخلوقَ وخَدَموهُ مِنْ دُونِ الخالِقِ،

طويلةٍ، تهترئُ، هكذا الأفكار، إذا لم نُنَفِّذها جسديًّا، تتلاشى مع الوقت، أي تهترئُ» الأبُّ بيمن (٢٠) وأيضًا «جاء أخٌ إلى الأبِّ بيمن وقال له: «يا أبت، عندي أفكارٌ كثيرةٌ تعرِّضُني إلى الخطر». فاقتاده الأبُّ إلى الهواء الطَّلِق، وقال له: «امدُد صدرك وامسك الرِّياح». فقال: «يستحيل عليَّ القيام بهذا يا أبت». فقال له الشَّيخ: «إذا كنت عاجزًا عن هذا، فأنت لا تقدر أن تمنع الأفكار عنك، ولكن بمقدورك أن تقاومها». الأبُّ بيمن (٢٨).

تَبارَكَ إلى الأبدِ آمين» (رو ١: ٢٤-٢٥).

تؤمِن الأرثوذكسيَّة أنَّ المحبَّة لا يُعبَّر عنها ولا تُشبَع في الاتِّصال الجِنْسيِّ إلَّا في شركة تكامُليَّةٍ مع شريكٍ واحدٍ، رجلٍ واحدٍ بامرأةٍ واحدةٍ، في شركةٍ غير مشروطةٍ، شركةٍ تبتغي وتبلغ إلى خلق حياةٍ جديدةٍ بنسلٍ، بما يُقاس على مثال المسيح في اتِّحاده في المحبَّة بكنيسته، التي معها يصبح «جَسَدًا وَاحِدًا» (راجع أف ٥: ٢١-٣٣). لذا، فإنَّ أيَّ مشاعر أو ميولٍ تكتمل إلى اتِّصالٍ جنسيٍّ مِثليٍّ- ولا يختلف عنه أيُّ فعلٍ جنسيٍّ بين رجلٍ وامرأةٍ بدون زواجٍ، أو كخيانة أحد الزَّوجين للآخر- ما هي إلَّا خيانةٌ للمحبَّة، المحبَّة التي هي الله. وكخيانة لله والشَّريك، يطال هذا السُّلوك كلَّ مَن ينخرط فيه في نهاية الأمر، بدءًا بطرفيِّ الفعل الجِنْسيِّ. وذلك لأنَّ هذه المشاعر والميول تمنع مَن يمارسها أو يدافع عنها مِن اقتناء حياة الفضيلة، ومِن إدراك «الاتِّحاد «في و بـ» المحبَّة» (*henosis agapes*) بالله، في المسيح، وبفعل الرُّوح القدس، هذا الذي يبتدئ على الأرض في أسرار الكنيسة والحياة الرُّوحيَّة، ويكمل وإلى الأبد في الدَّهر الآتي.[٤٠]

---

(٤٠) تعلِّم الفلسفات الهللِّينيَّة والأديان الإبراهيميَّة -كلُّها تقريبًا- وكذلك الهندوسيَّة والبوذيَّة، بأنَّ النَّشاط الجِنْسيَّ يعوق حياة الفضيلة والتأمُّل الرُّوحيَّ، ويمنعها تمامًا، متى خَلِيَ مِن «المحبَّة الحقيقيَّة»، هذا مفهومٌ على أيِّ حالٍ.

تختلف المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة مع كل مَن يقول بأنَّ الجِنْس شرٌّ أو أنَّ الجَسد أدنى مِن الرُّوح وهو مصدر الخطايا؛ هذا فكرٌ غنوسيٌّ هاجمته المسيحيَّة وفنَّدته: «لِيَكُنِ الزَّوَاجُ مُكَرَّمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمَضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ. وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللهُ» (عب ١٣: ٤). وبحسب الفقرة كلِّها، الكاتب يؤكِّد على أنَّ الأنانيَّة «الخيانات الزَّوجيَّة - الجِنْس خارج الزَّواج» وعدم الخروج مِن الذَّات «المِثليَّة» هما انغلاقٌ واستهلاكٌ، وهو بهذا لا يمكن لهما أن يعبِّرا عن المحبَّة الإلهيَّة التي دعانا الله للاشتراك

ولا يعني هذا أنَّ النَّشاط الجنسيَّ المِثليَّ- ومِثله: ممارسة الجِنْس خارج الزَّواج، أو حتى بين العديدين مِن المتزوِّجين الذين لا تربطهم بالله علاقةٌ قويَّةٌ، أو قل إن وجِدَت!- خالٍ تمامًا مِن ملامح أو أفعال المحبَّة الإلهيَّة،[٤١] وإلَّا لصارت كلُّ ممارساته شيطانيَّةً ومدمِّرةً بلا تمييزٍ، لولا رحمة الله وفعل نعمته. ولكن القصد هو هذا: بينما يحقِّق النَّشاط الجِنْسيُّ الغيريُّ بين الرَّجل والمرأة، متى كان نقيًّا وبلياقةٍ، المحبَّة الإلهيَّة في ممارسته بذهنٍ منفتح على القصد الإلهيِّ مِنه، لا يحقِّق النَّشاط الجنسيُّ المِثليُّ شيئًا مِن المحبَّة الإلهيَّة.

ينكر الكثيرون في عالم اليوم هذه القناعة الأرثوذكسيَّة. يدَّعون أنَّ النَّشاط الجَنسيَّ بين المِثليِّين طبيعيٌّ. طبيعيٌّ ومعبِّرٌ عن المحبَّة الإلهيَّة، ومُقدَّسًا لطرفيه، مِثله مِثل الاتِّصال الجِنْسيِّ الغيريِّ بين الرِّجال والنِّساء في الزَّواج. ومِن أولئك أيضًا مَن يَعُدُّون أنفسهم مسيحيِّين، ومِنهم مَن هم مؤتمنون على درجةٍ مِن درجات الكهنوت أو الرِّعاية في كنائس مسيحيَّة، وهم في زعمهم هذا يجدون مَن يقبلهم قبولًا واسعًا. ليس الأمر هكذا في الأرثوذكسيَّة، إذ بحسب التَّقليد الذي تسلَّمناه، وكما سبق وأكدنا، نرفض أن يكون الله سببًا وهدفًا للاتِّصال الجِنْسيِّ المِثليِّ، ولا الغيريِّ بدون زواجٍ؛ هذا يخالف كلَّ سمات وأهداف المحبَّة الإلهيَّة[٤٢]

فيها على مثال الثَّالوث. (المعرِّب).

(٤١) عدم انتفاء المحبَّة الإلهيَّة مِن أفعال وممارسات الجِنْس الخاطئة يعني -وبالأولى- أن الغريزة الجِنْسيَّة والتَّعبير بالجِنْس عن المحبَّة هو فعلٌ إلهيٌّ أصيلٌ في الطبيعة البشريَّة، ولكنَّ المشكلة هي في إساءة توجيه هذا كلَّه. (المعرِّب).

(٤٢) لا نعدم الأدلَّة التي تبيِّن أنَّ العواطف والأفعال الجِنْسيَّة الخاطئة بين الأشخاص، أكانوا غيريِّين أم مِثليِّين، تتضاءل، تتضاءل إلى أن تضمحلَّ تمامًا في

وبقولٍ آخرٍ، وبتحرٍّ لمزيدٍ مِن الدِّقَّة، تشهد الكتابات الأرثوذكسيَّة، وأسرار الكنيسة، والقدِّيسون أنَّ كلَّ محبَّةٍ نقيَّةٍ لائقةٍ مستوجبةٍ المدح بين الرِّجال بعضهم بعضًا أو النِّساء بعضهن بعضًا تقوِّضها وتهدمها الخيانة التي بالاتِّصال الجِنْسيِّ المِثليِّ. وبالمِثل، كلُّ محبَّةٍ نقيَّةٍ لائقةٍ مستوجبة المدح بين الرِّجال والنِّساء تقوِّضها وتهدمها الخيانة التي بالاتِّصال الجِنْسيِّ بغير شريك الزِّواج.[٤٣] **سوف نفرد للمزيد عن هذا الأمر لاحقًا.**

كثيرٍ مِن الأحيان بينما تنمو المحبَّة الإلهيَّة وتتعمَّق في علاقتهم. وقد يرجع ذلك إلى الضَّرر –لا الإثراء– النِّهائي المتحصِّل مِن وعن الممارسات الجِنْسيَّة بين غير المتزوِّجين، في محبَّتهم واحدُهم للآخر، وضعف –لا توطيد– صداقتهم، وبرود –لا انتعاش– المودَّة المتبادلة بينهما. يبدو أيضًا أنَّ الاتِّصال الجِنْسيَّ التَّناسُليَّ يتضاءل، يتضاءل إلى أن يختفي في كثيرٍ مِن الأحيان بين الرِّجال المثليِّين الذين يظلون معًا في مساكنةٍ منزليَّةٍ طويلة الأمد، بينما يستمرُّون في ممارسة الجِنْس مع رجالٍ وفتيانٍ بخلاف شركائهم الذين يُساكنُهم. أخبرني بعض الرجال المثليِّين أنَّ الأمر كذلك. ليس لديَّ معلومات عن هذا الموضوع مِن مثليَّات. وأرى أنَّ سيرة دانييل مندلسون تقدِّم هذه الحقيقة بوضوح. راجع:

Daniel Mendelsohn, *The Elusive Embrace, Desire and the Riddle of Identity*, (New York: Vintage Books, 2000).

وفي أوصاف همفري كاربنتر للسُّلوك الجِنْسيِّ لبعض الرِّجال المِثليِّين جنسيًّا في:

Humphrey Carpenter, *'W. H. Auden, A Biography,'* (Boston: Houghton Mifflin Co, 1981).

(٤٣) قد نلاحظ هنا تشابهًا بين معضلة الحبِّ المِثليِّ الذي يتطوَّر إلى ممارسةٍ جنسيَّة، ومعضلة سيامة المرأة في رتب الكهنوت. الكنيسة لم تقر أو تعترف بأيِّ نشاطٍ جنسيٍّ مِثليٍّ (فما بالك بالحديث عن «زواج» المثليِّين؟!)، ولا سيامة المرأة في رتب الكهنوت، بطول تاريخ الكنيسة الأرثوذكسيَّة «لا في أيِّ كنيسةٍ مسيحيَّة «رئيسيَّةٍ» حتَّى القرن العشرين. يدَّعي المؤيِّدون لسيامة المرأة في رتب الكهنوت، ومعهم المنادون بقبول المِثليَّة الجِنْسيَّة «والزَّواج المِثليِّ» وجود سببين يمكنهما تفسير غياب هاتين الممارستين عن القبول الكنسيِّ بطول تاريخ الكنيسة الأرثوذكسيَّة «وفي المسيحيَّة عمومًا حتى

وأيضًا، بسبب أنَّ مفهوم المحبَّة والانجذاب الغيريِّ قد تشوَّه وانحرف بفعل حالة الإنسانيَّة الرَّاهنة، حالة الفساد، الحالة غير الطبيعيَّة للإنسانيَّة، حالة تختلف عمَّا قصده الله للإنسانيَّة تمامًا في كلِّ شيءٍ «نعم، في كلِّ شيءٍ، ليس حتَّى في أغلبها أو معظمها، بل انحرافًا في كلِّ شيءٍ»، أؤكِّد مرارًا وتكرارًا على قناعة التَّقليد الأرثوذكسيِّ بأنَّ لا محبَّة إلهيَّةٌ بين الرِّجال والنِّساء إلَّا التي تكون وتظلَّ كما قصد الله لها «مُنذُ البَدْءِ» لتنشئ ارتباطًا صحيًّا مقدَّسًا.[٤٤] إتمام زيجة كنسيَّةٍ سرائريَّةٍ لا يضمن وحده تحقيق نموٍّ

القرن العشرين». أحدهما هو الادِّعاء بأنَّ المسيحيِّين «والمسيح بالتَّأكيد» قبلوا كلا الأمرين، إلَّا أنَّهما قُمِعا لاحقًا مِن قِبَل الرِّجال الغيريِّين. والسَّبب الآخر هو أنَّ الأمرين رُفِضا لأسباب اجتماعيَّة أو ثقافيَّة واضحةٍ وإن كانت غير مقبولةٍ. وإذا كان الأمر كما يدَّعون أو غير ذلك، فإنَّ مؤيدي قبول المِثليَّة الجِنْسيَّة وسيامة المرأة في رتب الكهنوت يصرُّون على أن يقبل المسيحيِّين، في وقتنا هذا، كلا الأمرين. إلَّا أنَّ بعض الأصوات مِنهم تنادي بقبول سيامة المرأة في رتب الكهنوت، على رتبة القسوسيَّة والأسقفيَّة، ولكنَّها ترفض التَّعبير عن الحبِّ المِثليِّ بالممارسة الجِنْسيَّة. راجع أيضًا:

T. Hopko, Ed., *Women and the Priesthood*, New and Revised Edition (Crestwood: SVS Press, 1999).

هذا وتجدر الإشارة في هذا الشَّأن إلى أنَّ اليهوديَّة التَّقليديَّة والإسلام والهندوسيَّة والبوذيَّة لم تقبل النَّشاط الجِنْسيَّ المِثليَّ، وأيضًا إلى أنَّ الأديان والجماعات الرُّبوبيَّة، التَّوحيدية مِنها والمناديَّة بتعدُّد الآلهة وبالإضافة إلى الإلحاديَّة والجَّماعات غير المتأثِّرة لا باليهوديَّة ولا المسيحيَّة ولا الإسلام، لا تتخذ موقفًا أقلَّ «شوفينيَّة ذكوريَّة» في المبالغة والتَّعصُّب السُّلطويِّ الذُّكوريِّ أو أقلَّ «تمييزًا جنسيًّا غيريًّا» (*heterosexist*) مِن الذي تتَّخذه الثَّقافات الدِّينيَّة ذات «التَّقاليد الإبراهيميَّة».

(٤٤) أرى أنَّ المسيح لم يستخدم «مُنْذُ البَدْءِ» في تعليمه عن الزَّواج والنَّشاط الجِنْسيِّ، (راجع متي ١٩: ١-١٢)، ليشير إلى التَّرتيب الزَّمنيِّ، بل إلى القصد الإلهيِّ للكيان الإنسانيِّ، فتُفهَم «مُنْذُ البَدْءِ» بـ «القصد الأوَّل - الأصليِّ» الذي رفضه الإنسان وكسر وصيَّته.

المحبَّة لتصير بحسب قصد الله لها. الكثير مِمَّن يتزوَّجون في الكنائس الأرثوذكسيَّة لا يؤمنون بما يُصَلَّى في إتمام السِّرِّ ولا ما يمَثِّله السِّرُّ، ومِن ثمَّ لا يجاهدون لتفعيل سرِّ الزِّيجة في حياتهم اليوميَّة. وبالمقابل، قد يعيش العديد مِن الرِّجال والنِّساء الذين لم يتمُّوا زيجتهم كنسيًّا، أو حتى ليسوا مرتبطين ارتباطًا قانونيًّ شرعيًّا، حياةً يخدم الاتِّصال الجِنْسيَّ فيها القصد الإلهيَّ للمحبَّة والشَّهيَّة الجِنْسيَّة (*eros*) والصَّداقة وحميميَّة الاتِّحاد. عندما يكون هذا هو الحال، وبحسب شهادة تعليم الكنيسة والقدِّيسين، يصر اتِّحادهم اتحادًا مِن قِبَل الله، لأنَّه هكذا هو شهادةٌ وتعبيرٌ عن المحبَّة التي تتفق مع قصد الله كناموسٍ «مَكتوبٍ في قُلوبِهم وَتَشهَدُ لَهم ضَمائِرُهم وَأفكارُهم» (راجع رو ٢: ١٢-١٦؛ ١ يو ٤: ٧-٢١). **سوف نفرد للمزيد عن هذا الأمر لاحقًا.**

-٧-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والخطيَّة

تؤمن المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة، وفقًا لرؤية الكتاب المقدَّس (*skopos*) وشهادة كلِّ تقليد الكنيسة «بلا اقتصارٍ على النُّصوص المختارة حول الموضوعات الجنْسيَّة»، أنَّ جميع البشر خطاةٌ، لأنَّ كيانهم الإنسانيَّ المشترك «طبيعتهم» ضلَّت «عَن المسار» وفقدت «الهدف» الذي كان ينبغي لها أن تصله.[٤٥] وُلِدَ جميع أبناء آدم وحواء خارج الفردوس الأوَّل، و«على شبه «آدم السَّاقط»، على صورته «المشوَّهة» (تك ٥: ١-٣). ويجب على كلِّ واحدٍ أن يأخذ كلمات المرتل: «وأنا في الإثْم وُلِدْتُ، وفي الخطيئةِ حبلَت بي أُمِّي» (مز ٥١: ٥)، على نفسه.[٤٦]

---

(٤٥) المعنى الحرفيُّ لكلمة خطيَّة (*hamartia*) في اليونانيَّة هو «إخطاء الهدف» (*mark the missing*) كلُّ الكلمات والرُّموز الدَّالة على الشَّرِّ تشهد على الصَّلاح الأساسيِّ والأصليِّ للخليقة؛ إخطاء الهدف، يعني بالضَّرورة وجود «هدفٍ» والانحراف يفترض طريقًا مستقيمًا. والسُّقوط يفترض حالً أسمي يُسقَط مِنه. والنَّجاسة والدَّنس يشهدان على الطُّهر والنَّقاء. الاغتراب والغربة يشهدان على الوطن أو البيت المتروك والمهجور. والتَّعدِّي يتضمَّن في معناه وجود قاعدة كُسِرَت أو قانون انتهِك. التمرَّد يشهد على وجود ما يُتَمَرَّد عليه. الفساد يشير إلى انحلال وتفكُّك ما كان في السابق سليمًا وصحيحًا.

(٤٦) لا يقول هذا العدد إنَّ السَّبب في أنَّ البشر حُبِلَ بهم في الخطايا وولدوا في الآثام «الاتِّصال الجنسيّ في التَّرجمة السَّبعينيَّة» هو الجِماع. بل يقول إنَّ الحمل والولادة في عالمٍ ساقط، ومِن قِبَل أناسٍ خاطئين، هو سبب تأثُّر جميع البشر بخطايا أسلافهم وإصابتهم بها كالعدوى، التي لا سيطرة لهم عليها، والتي هم أنفسهم «الأبناء» لم يقترفوها شخصيًا. راجع:

T. Hopko, *Sin: Primordial, Generational and Personal* [Audio

طبيعة إنسانيَّة الإنسان صارت خاطئةً ومائتة بسبب الفساد الذي جلبه البشر على الخليقة بالخطيَّة منذ بدايتهم وعبر الأجيال. وهذا الفساد يشمل حتى أولئك الذين، بفعل النِّعمة الإلهيَّة والعنايَّة الإلهية والبيئة الصِّحيَّة المقدَّسة، قد يخطئون قليلًا جدًا (أو ربما لا يخطئون مطلقًا، كما يعتقد بعض المسيحيِّين أنَّ هذا هو حال مريم أمِّ المسيح). عمليَّة سقوط الإنسان في الخطيَّة تعتمد على كيفيَّة تعاطيه مع درجة ونوع الخطيَّة البشريَّة التي ورثها، ودرجة ونوع الخطيَّة التي قد يعتدى بها الآخرون عليه، دون أيِّ خطأٍ خاصٍّ مِن جانبه.(٤٧)

ترى الأرثوذكسيَّة أنَّ اعتمال الشَّهوات الرديئة في الإنسان، دون إرادته، وتحرُّقها فيه لفعلٍ جنسيٍّ لا يسعى إليه، بما في ذلك شهوات ومشاعر الاتِّصال الجِنْسيِّ المِثليِّ، لا تدينه، وليست سوى تداعٍ مِن التَّداعيات التي لا حصر لها التي يختبر بها الإنسان نتائج الخطيَّة في إنسانيَّةٍ مشوَّهةٍ. وإنفاذ هذه المشاعر إلى سلوكٍ وأفعالٍ، ما هو إلَّا دربًا مِن الدُّروب التي يسقط بها الإنسان في خطيَّةٍ شخصيَّةٍ، والله وحده هو مَن يدينه. إن مقاومة هذه المشاعر بنعمة الله، أو بالأدقِّ مقاومتها بتمييز مصدرها، ورفض إنفاذها إلى سلوكٍ أو أفعالٍ جنسيَّةٍ، وإعادة توجيه الخير والصَّلاح الذي فيها إلى غايةٍ لائقةٍ -أي نحو المحبَّة الإلهيَّة، وسعيًا نحو الله- هي سبيل الإنسان

Cassette] (Crestwood, NY: SVS Press, 1992).

(٤٧) كثيرًا ما قال الأبُ ألكسندر شميمان إنَّ الحياة البشريَّة و«الرُّوحانيَّة المسيحيَّة» تتعلق بـ «كيفيَّة تعاملك مع ما عُمِلَ معك». وأكَّد أيضًا، مُتَّبعًا التَّعليم المسيحيَّ التَّقليديَّ، على أنَّ هذا «التَّعامُل مع ما عُمِلَ» يختلف مِن شخصٍ لآخرٍ، وإن هذا هو ما يهتمُّ به الرَّبُّ، عندما يدين سلوكنا.

الوحيد ليتقدَّس ويماثل الله.

الأمر الصَّعب والحسَّاس، والذي يجب الانتباه إليه في التَّعاطي مع الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والخطيَّة، هو أنَّ «الخاطئ» النُّموذجيَّ في التَّقليد المسيحيَّ الأرثوذكسيَّ، بعد الكتاب المقدَّس، ليس هو «زير النساء» أو «المِثليَّ المنحرف».. بل إنَّها «المرأة السَّاقطة» يبدو الأمر كذلك لسببين على الأقلّ. أوَّلهما هو أنَّ الكتاب المقدس يصوِّر علاقة الله بالخليقة بالعلاقة الزَّواجيَّة، كما وصف علاقة يهوه بإسرائيله، وعلاقة المسيح بكنيسته. ونجد أنَّ الكتابات النَّبويَّة والرُّؤيويَّة تشبِّه خائني إيمانهم المعدودين ضمن شعب الله بـ «الزَّوجات الزَّانيات» - «العاهرات» اللواتي «يزنين» بآلهةٍ كاذبةٍ «كشهوةِ فحول الحميرِ والخَيل» على كلِّ مُرتَفَع وتحتَ كلِّ شجرةٍ خضراء، بينما يذبحون أبناء الله وبناته للآلهة الغريبة.[٤٨] وبالمقابل، 'العذارى' هُنَّ الصُّورة الشِّعريَّة التي يتحدَّث بها الكتاب المقدَّس عن المخلصين الأُمناء للربِّ، الذين «لا يتَّخذون» آلهةً غريبة أمامه. وهُنَّ مَن يدخلن ملكوت الله ويشتركن في «عَشَاءِ عُرس الحَمَل» ولم يُدعَ أحدٌ غيرهن بـ «عَروس الحَمَل» المزيَّنة بالجَمال الإلهيِّ إلى الأبد، (راجع رؤيا ١٤: ٤-٥، ومقاطع أخرى).

---

(٤٨) راجع (إش ١-٢؛ إر ٢-٣؛ حز ١٦؛ هو؛ رؤ ١٧؛ ...). لا يقول الكتاب المقدَّس إنَّ خطيَّة الإنسان الأساسيَّة هي عدم الإيمان - الإلحاد، بل الوثنيَّة. وبهذا يكون لكلِّ شعبٍ إلهٌ، أكانوا هُم مَن «صنعوه» أم فرضه عليهم مَن تولَّى عليهم أو حكمهم، أو هو الله الذي جلبهم، الذي أُوصوا أن يعبدوه ويطيعوه لأجل خيرهم وصالحهم. ومِن ثمَّ، في هذا المنظور، ليس مِن ملحدين، بل وثنيِّين. وقد كان هذا المفهوم هدفًا للشُّروحات الآبائيَّة المتواترة، ونال حظًّا وافرا مِن فكر آباء الكنيسة.

السِّمة الأساسيَّة هنا هي تشبيه الكتاب المقدَّس لخيانة شعب الله بخيانة الزَّوجة لزوجها. وهكذا، نجد أنَّ الوصف بـ «الزَّانية» أو «العاهرة» هو الرَّمز الأساسيُّ في الكتاب المقدَّس والتَّقليد للتَّعبير عن الخطيَّة الإنسانيَّة العامَّة تجاه الله، الله المشار إليه بـ «زوج» الإنسانيَّة و«إلهها».

ولعلَّ مِن سببٍ آخرٍ لسيادة استخدام صورة «المرأة السَّاقطة في الخطيَّة» للإشارة إلى الخطيَّة الإنسانيَّة العامة في التَّقليد المسيحيّ، ألا وهو دور المرأة الأساسيّ الذي لا غنى عنه في «القداسة الإنسانيَّة» .. الدُّور الحصريّ، الذي النِّساء وحدهن يضطلعن به في الكيان الإنسانيّ -بدءًا مِن أزواجهن وأطفالهن إذا كانوا متزوِّجين، أو لأجل البشريَّة عامةً، سواء كانوا متزوجين أم لا. ويبدو أن سفر التَّكوين يدعم هذا التَّعليل، وخصوصًا كما يقدِّمه ويفسِّره كُتَّاب العهد الجَّديد وأُدباء المسيحيَّة المبكِّرة الآتين بعدهم.

فنجد أنَّ قصَّة الخلق تشهد بأنَّ «آدم» وحده دون حوَّاء ليس إنسانًا (*anthropos*). «الإنسان» -أو كما نقول اليوم- «البشريّة» هو كيان الـ «رجل والمرأة» معًا: «ذَكَرًا وأُنثَى خَلَقَهُمَا» (تكوين ١: ٢٧). يتطلَّب الكيان الإنسانيّ هذه الـ «معًا» شركةً تكامليَّةً بين الذَّكر والأنثى، والتي، وفقًا لقصَّة الخلق الثَّانية في سفر التَّكوين، تضطلع فيها المرأة «كامرأة» بدور الـ «مُعينَ النَّظير» للرجل، الذي [«ليس حَسَنًا «أن يكون» وَحدَه»] (تك ١٨:٢). لذا، عندما ترفض النِّساء دورهن الأنثويَّ «الأُنثويَّ بالتَّحديد» في شركة الكيان الإنسانيّ، أو عندما تتعطَّل قدرتهن أو تخمد رغبتهن في بذل كنوز أنوثتهن، خاصَّةً بسبب الجُّروح أو الإساءات

التي لحقتهن من قِبَل الرِّجال الخاطئين - أو خطاياهم «الذين تخلَّوا عن «رئاستهم» الذُّكوريَّة، أو أفسدوها، قياسًا على صورتها الكاملة في محبَّة الله لإسرائيل، ومحبَّة المسيح للكنيسة»، يُنظر إليهن على أنَّهن رمز الخطيَّة الإنسانيَّة الأوَّل والأقوى. وهكذا، فإنَّ «المرأة السَّاقطة في الخطيَّة» تنتصب مثالًا ونموذجًا لـ «السُّقوط» الفعلي للإنسانيَّة «ذكرًا وأُنثى» (*anthropos*) ككلٍّ.

يقدِّم التَّقليد الأرثوذكسيُّ هذه المقاربة بالعكس، وبمعنى أنَّ التَّقليد الأرثوذكسيَّ في يقدِّم الإنسان الأكثر كمالًا، الذي يصوِّر ويرمز إلى قداسة الإنسانيَّة ككلٍّ في علاقتها بالله والمسيح، بالمرأة، لا الرَّجل. مريم، بالطَّبع مريم العذراء أمُّ المسيح، القدِّيسة والدة الإله، التي تألَّهت بالكامل بالإيمان وبالنِّعمة بحفظ وصايا الله.(٤٩)

هذا لا يعني، على الإطلاق، أنَّ على جميع الرِّجال والنِّساء أن يتزوَّجوا. ولا يعني أيضًا أنَّ على جميع النِّساء أن يعملن ويحقِّقن ذواتهن في العمل كـ «معيناتٍ» لأزواجهن ولرؤسائهن. بل يعني، وبالأولى، أنَّ الرِّجال والنِّساء لا اِنفصال بينهم مِن جهة التزامهم المتبادل والمتكامِل نحو بعضهم بعضًا لتحقيق الكيان الإنسانيِّ وتقديسه، سواء كانوا متزوِّجين أم لا. ويعني أيضًا أنَّ جميع الرِّجال، المتزوِّجين وغير المتزوِّجين، يحتاجون

(٤٩) يشيع في التَّقليد المسيحيِّ الأرثوذكسيِّ، مُنذ عصر ما بعد الرَّسوليَّة، وصف وتقديم مريم بـ «حوَّاء الجَّديدة» مع المسيح «آدم الجَّديد». راجع:

T. Hopko, *Mary: Icon of Human Perfection*, [Video Cassette] (Crestwood, NY: SVS Press, 1992).

إلى النِّساء مِن أجل تحقيق إنسانيَّتهم المخلوقة على صورة الله، إنسانيَّة الـ «ذكر والأنثى» ذلك لأنَّ النِّساء بدورهن يحتجن إلى الرِّجال. وحياة القدِّيسين المسيحيِّين، مِن الرِّجال والنِّساء، وأغلبهم غير متزوِّجين، تشهد شهادة قويَّة الحجَّة على صحَّة الاحتياج المتبادل بين الرِّجال والنِّساء لأجل تقديس الكيان الإنسانيِّ.(٥٠)

ليس الخاطئ «النُّموذجيُّ» في التَّقليد المسيحيِّ هو «المِثليُّ» .. إلَّا إنَّ التَّعليم المسيحيَّ يعتبر ويقدِّم «الشَّهوات الجِنْسيَّة والسُّلوكيَّات والممارسات الجِنْسيَّة بين الأشخاص مِن نفس الجِنْس» وأمثلةً صارخةً لتداعيات الخطيَّة الجدِّيَّة والجَمعيَّة والشَّخصيَّة على الكيان الإنسانيِّ والحياة الإنسانيَّة.(٥١) فها الجُمل الافتتاحيَّة لرسالة ق. بولُس الرَّسول

---

(٥٠) يبدو أنَّ القدِّيسين يظهرون في جماعاتٍ مِن الرِّجال والنِّساء معًا، كثيرًا ما نجد أمثلةً لأُسرٍ كاملةٍ للأبوين والأبناء، أو لأحدٍ ما وأخيه أو أخته. قد لا تبرح ذكرى يسوع ومريم أمِّه، ولا ذكرى «تلميذاته – اللاتي تبعنه» وعلى رأسهم مريم المجدليَّة مخيِّلتنا عند الكلام عن الـ «معًا» أو جماعات القدِّيسين، ليسوا هم فحسب، بل عندنا الكبادوك، العظماء في القدِّسين، باسيليوس الكبير، غريغوريوس النِّيصي، غريغوريوس اللَّاهوتي، وماكارينا، إيميليا، نونا، ثيئوسبيا، وغرغونيا. ولا يفتنا أيضًا ذِكر مَن اقترنت أسمائهم ببعض كأنَّهم «ثنائيات روحيَّة» كالذَّهبيِّ الفمِّ والشَّمَّاسة الأرملة أوليمبيا في الشَّرق، وفرانسيس وكلير، ويوحنَّا الصَّليب وتيريزا الأفيليَّة في الغرب. وتجدر الإشارة أيضًا إلى الارتباط الروحيِّ المميَّز الذي جمع الأبوان ق. سارافيم ساروفسكي وق. نكتاريوس بالرَّهبات اللاتي عملن معهن وكُنَّ تحت تعهُّدهم في أديرتهن. وأيضًا، راجع:

T. Hopko, *God and Gender and. Gender and Sanctity* [Audio tapes] (Crestwood, NY: SVS Press, n.d.).

(٥١) يدفع بعض مفسِّري الكتاب المقدس، بمَن فيهم أعضاء بارزين في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، بأنَّ الأعداد مِن الـ ١٨ – الـ ٣٢ مِن الفصل الأوَّل مِن رسالة ق.

إلى رومية توضِّح وتشدِّد على هذا المفهوم للخطيَّة وتبعاتها. فبعد أن بيَّن كم ضلَّ البشر، بسبب رفض عقولهم وقلوبهم «تمجيد الله» *(edoxasan)* أو «شُكره» *(eucharistisan)* بعدم تمييزهم «صفاته الخفيَّة» *(taaorata theou)* ولا «قدرته الأبديَّة» *(dynamis)* ولا «ربوبيَّته» *(theotes)*.. يقول فيهم بولُس:

«لِهذا أسلَمَهُمُ اللهُ إلى الشَّهَواتِ الدَّنيئَةِ، فاستَبْدَلَتْ نِساؤُهُم بالوِصالِ الطَّبيعيِّ الوِصالَ غَيرَ الطَّبيعيِّ، وكذلِكَ ترَكَ الرِّجالُ الوِصالَ الطَّبيعيَّ لِلنساءِ والتَهَبَ بَعضُهُم شَهوَةً لِبَعضٍ. وفعَلَ الرِّجالُ الفَحْشاءَ بالرِّجالِ ونالوا في أنفُسِهِم الجَزاءَ العادِلَ لِضَلالِهِم. ولأنَّهُم رَفَضوا أنْ يَحتَفِظوا

بولُس إلى رومية لا علاقة لها بما يسمُّونه «اللَّاهوت الطَّبيعيَّ» وما أسميه أنا «الخطيَّة الجِّديَّة والجَّمعيَّة». أنا أختلف معهم. وأنا اؤمن بأنَّ ق. بولُس يصف ويبيِّن بدقَّةٍ أنَّ ما لحق الإنسانيَّة مِن فسادٍ «مُنذُ خلَقَ اللهُ العالَمَ» (عدد ٢٠)، وكون الإنسان سُلِّم إلى الجَّهل «فساد عقولهم» وعبادة «المخلوق» قد جعلهم غير قادرين على تمييز الإنجيل ولا المسيح نفسه ككلمة الله. وأرى أيضًا أنَّ مقاربة الفكر المسيحيِّ الخاطئة – أو قُل غير الموفَّقة لمسألة ما هو «الطَّبيعي» وما هو «الفائق للطَّبيعة» تؤول إلى الفصل والتَّضادِ بين ما هو «طبيعيٌّ» وما هو «مُستعلَنٌ» من جهة وما يمُكِن أن «يُعرف بالطَّبيعة – طبيعيًّا» وما هو «استعلانٌ إلهيٌّ» بما يصل، في نهاية الأمر، إلى الفصل بين الطَّبيعة والنِّعمة، وبين الإيمان والعقل، وبين الإيمان والمعرفة. تسبَّبت هذه الانقسامات الزَّائفة في صعوباتٍ لا حصر لها لعددٍ لا يحصى مِن النَّاس.

تعليقٌ على الحاشية: ما يرد في الحاشية بـ «لاهوت طبيعي» يعني فهم صفات الله واكتشافه مِن خلال الطَّبيعة دون الاعتماد على أيِّ نوعٍ مِن الوحي أو الاستعلان. ورأي الأبِّ هوبكو هنا هو أنَّه لا يفهم ما يرد في سياق الأعداد مِن الـ ١٨ – الـ ٣٢ مِن الفصل الأوَّل مِن رسالة ق. بولُس إلى رومية كمحاولةٍ فاشلة للبشر في اكتشاف الله، بل كنتيجة لإظلام العقل وفقد التَّمييز الذي تسبَّبت فيه الخطيَّة. (المُعرِّب)

بمَعرِفَةِ الله، أسلَمَهُمُ اللهُ إلى فسادِ عُقولِهم يَقودُهُم إلى كُلِّ عَمَلٍ شائِنٍ». (رو ١: ٢٦-٢٨).

يجب أن نؤكِّد مرَّةً أخرى، ووفق المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة، على أنَّ اعتمال مشاعر الحبِّ في إنسانٍ نحو آخرين مِن نفس جنسه ليس خطيَّةً مُطلقًا، بل هو أمرٌ طبيعيٌّ وعاديٌّ بل ضروريٌّ بالأكثر. إلَّا إنَّ متى تطوَّرت هذه المشاعر إلى شهواتٍ تبتغي الاتِّصال الجِنْسيَّ المحض المجرَّد، ولا فرق أكانت الرَّغبة الجِنْسيَّة المجرَّدة هي إلى آخرٍ مِن نفس الجِنْس أو مِن الجِنْس الآخر، صارت غير طبيعيَّةٍ وغير عاديَّةٍ وخاطئةً تدين صاحبها. ولا أبتغي مِن هذا التَّشديد إثارة الخوف أو القلق أو الشعور بالخزي أو الذَّنب في نفوس من تعتمل فيهم مشاعر الحبِّ لآخرين -ألسنا جميعًا؟!- لأنَّ هذه المشاعر والأفكار والرَّغبات تأتي علينا دون اختيارنا أو خطأنا. ويا للسُّخف .. يا للسُّخف، عندما يشين أو يدين «الأُناس الخطاةُ» الذين هم بإرادتهم يرتكبون الخطايا، ويسهِّلون وقوع الآخرين في الخطيَّة، ويتسبَّبون بوقوع الآخرين في الخطيَّة «وبالأخصِّ أطفالهم»، آخرين أو يعاقبونهم حتَّى «بمَن فيهم أطفالهم» على ما قد يفكِّر به هؤلاء الآخرين أو يعتمل في قلوبهم أو مشاعرهم أو ما يتحرَّك في حواسهم، وليس لشيءٍ إلَّا لأنَّ «هؤلاء الآخرين» قد ولِدوا أو نشأوا، أو حتَّى أُرغِموا على العيش في عالمٍ ساقطٍ.[٥٢]

(٥٢) بعد أن عرض الأبُ هوبكو لماهيَّة الخطيَّة، ولما هو أثر الفساد في تغييب العقل والتَّمييز، يضطلع في هذه الفقرة ببحث المسؤوليَّة عن الخطيَّة، ثم في مقارنةٍ وافيةٍ وإن كانت مقتضبةٍ، يقدِّم قضيَّة الإدانة: خاطئٌ ساقطٌ «سَمِّ نفسك فيما تخطئ فيه، أو تتسبب به في خطأ أحدٍ غيرك» يدين إنسانًا آخرًا، بالكاد أخطأ، أو قُل قبل أن يُخطئ،

وقد قلنا إنَّ مِثل هذه الأفكار والمشاعر قد تأتي علينا دون خطأٍ مِن جانبنا، ولكنَّنا مسؤولون، بما لنا مِن قدرةٍ في المسيح، على أسر هذه الأفكار والمشاعر والرَّغبات، (راجع ٢ كو ١٠: ٥)، وإعادة توجيهها. ذلك لأنَّ المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة تسلِّم بقدرة الإنسان على اكتشاف وتسمية أسباب أفكاره ومشاعره الخاطئة. قد يلزم الإنسان بعض النُّسك، أو بعض الأنشطة العلاجيَّة التي مِن شأنها أن تقتلع جذر تلك المشاعر والأفكار وتنزع عنها ومِنها قوَّتها. وقد يلزم الإنسان أيضًا أن يتجنَّب ما يثير حواسه أو يجرُّ فكره إلى ما يثير فيه تلك المشاعر والأفكار ويقوِّيها لئلَّا تكمل إلى خطيَّةٍ فعليَّةٍ. وقد سبق وقلنا إنَّ الإنسان لا يعدم وسيلةً لمقاومة الأفكار والمشاعر والرَّغبات التي تأتي عليه غير مرغوبٍ فيها.(٥٣)

لمجرَّد أن أفكارًا ما «سَمٍّ أيضًا ما شئت» اعتملت في فكره، أو مشاعر ما ثارت في نفسه. (المُعرِّب)

(٥٣) «سأل الأبُّ أنوف الأبَّ بيمن عن الأفكار الدَّنسة التي يلدها قلب الإنسان وأيضًا عن الرَّغبات الباطلة، فقال له الأبُّ بيمن: «هل تفتخر الفأس بدون مَن يقطع بها» (إش ١٠: ١٥)، انت أيضًا، لا تعطِها مجالًا، لئلَّا تبقى». الأبُّ بيمن (١٥).

«وقال أيضًا: كما أنَّ سيَّاف الملك يقف إلى جانبه متأهِّبًا على الدَّوام، هكذا على النَّفس أن تكون متأهِّبةً ومستعدَّةً أمام شيطان الزِّنى». الأبُّ بيمن (١٤).

جاء أخٌ إلى الأبِّ بيمن «وقال له: «يا أبتِ، عندي أفكارٌ كثيرةٌ تعرِّضني للخطر». فاقتاده الأبُّ بيمن إلى الهواء الطَّلق، وقال له: «امدد صدرك وامسك الرِّيح». فقال الأخُ: «يستحيل عليَّ القيام بذلك يا أبتِ». فقال له الشَّيخ: «إذا كنت عاجزًا عن هذا، أنت لا تقدر أن تمنع الأفكار عنك. ولكن بمقدورك ان تقاومها»». الأبُّ بيمن (٢٨).

وسأل الأبُّ يوسُف الشَّيء نفسه «عن الأفكار النَّجسة «قول (٢٠)»، «فقال الأبُّ بيمن: «كما أنَّ الثِّياب الكثيرة الموضوعة في الخزانة، لمدَّةٍ طويلةٍ، تهترئ، هكذا الأفكار، إذا لم تنفذها جسديًّا، فإنَّها مع الوقت تتلاشى، أي تهترئ»». الأبُّ بيمن (٢١).

وجملة القول أنّ واقع الأمر مأساويٌّ .. عددًا لا يحصى مِن النَّاس، خاصَّةً في المجتمعات العلمانيَّة المعاصرة، قد صاروا مقتنعين بأنَّ أفكارهم ومشاعرهم الخاطئة، بما فيها -بل على الأخصّ- تلك المتعلّقة بالجنْس، أفكارٌ طبيعيَّةٌ وطبيعيَّةٌ تمامًا .. طبيعيَّةٌ ومقبولةٌ بالقدر الذي يحدِّدون وفقها هويَّتهم الكيانيَّة وحياتهم. لذلك، فهم لا يرون أيَّ داعٍ أو دافعٍ لمقاومتها أو ضبطها أو التخلّي عنها نهائيًّا. بل، على العكس، يصدِّقون بأنَّ مقاومة الأفكار والمشاعر ستفقدهم أمانتهم تجاه أنفسهم، كأن يُنكر الواحد مِنهم نفسه، أو يتخلَّى عن كيانه الشَّخصيِّ، وهو ما سيؤدي بهم إلى موتهم الشَّخصيِّ! هذا بعينه هو عكس الحقيقة التي تقبلها وتقدِّمها المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة عن الكيان الإنساني والحياة الإنسانيَّة.

«وقال أيضًا: «يجب ان نهرب مِن الجَسديَّات. لأنَّ الإنسان عندما يكون أمام حرب جسديَّة، يشبه إنسانًا يقف أمام جبٍّ عميقٍ، متى شاء العدوُّ يرميه فيه. ولكن، عندما يكون بعيدًا عن الجَسديَّات، يشبه إنسانًا يقف بعيدًا عن الجُبِّ، فالعدو، وإن حاول أن يجرَّه لكي يرميه فيه، فإنَّ الله يرسل له العون والمساعدة»». الأبُّ بيمن (٥٩).

«وقال أيضًا: «للمرَّة الأولى، أُهرُب. وللمرَّة الثَّانية، أُهرُب. لكن، في الثَّالثة كُن كالسَّيف»». الأبُّ بيمن (١٤٠).

«وقال أيضًا: «إن مَن يُساكِن ولدًا، ويسلك نحوه بهوى مِن أهواء الإنسان القديم، ويستمر على تمسُّكه به، يشبه إنسانًا عنده حقلٌ تلتهمه الدِّيدان والآفات»». الأبُّ بيمن (١٧٦).

«قال الأبُّ بيمن عن الأبِّ يوحنَّا الكولوفي إنَّه تضرَّع إلى الله فابتعدت عنه أهواؤه، وصار بدون همٍّ. عندئذ ذهب إلى أحد الشُّيوخ وقال له: «إنِّي أرى نفسي في راحةٍ لا في حرب». فقال له الشَّيخ: «اذهب تضرَّع إلى الله حتَّى تعاودك الحروب وانسحاق القلب والتَّواضُع التي كانت لك فيما مضى. فالنَّفس بالحروب تنمو وتتقدَّم». فتضرَّع يوحنَّا إلى الله، ولمَّا جائته الحروب، لم يُصَلِّ لكي تفارقه، بل كان يقول: «يا رب اعطني الصَّبر في الحروب»». الأبُّ يوحنَّا القصير (١٣).

-٨-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والإرادة

يكرِّر يسوع السُّؤال، كما يرد في روايات الإنجيل، قائلًا: «مَاذَا تُرِيدُ؟» وها الأرثوذكسيَّة تشهد أنَّ الرَّبَّ يسأل السُّؤال عينه، بطريقةٍ أو بأخرى، لجميع البشر. وهي تؤكِّد أيضًا أنَّ جواب المسيحيِّين على سؤال المسيح يجب أن يظلَّ هكذا: «أُرِيدُ لِنَفسِيَ ما تُرِيدُه أنتَ لِيَّ».

وكما سبق وقلنا، وفقًا للأرثوذكسيَّة، إنَّ الإنسان، الذَّكر والأنثى، لا يختار جنسانيَّته.[٥٤] إلا إنَّه مسؤولٌ عن قبول جنسانيَّته، والسُّلوك وفقًا لمقتضياتها، أو رفضها ومقاومتها، عندما ينحرف بمشاعره وميوله

(٥٤) يقصد الأب هوبكو هنا الجِنْسانيَّة الجُسمانيَّة، مِن حيث ذكوريَّة الجَّسد والأعضاء التَّناسليَّة أو أنثويَّتها، وهو ما يُعرَف علميًّا بـ «الجِنْس البيولوجيِّ/الجِّسميِّ» ويجب الانتباه أيضًا إلى التَّفريق والتَّمييز بين الجِنْسانيَّة الجُسمانيَّة (*Sex Determinant*) والنَّوع (*Gender*). فالنَّوع هو التَّوجُّه العام الذي يترجم الجِنْسانيَّة سلوكيًّا. الشَّخص غيريُّ الجِنْس يقبل جنسانيَّته الجُسمانيَّة، فيطوِّر توجُّها وسلوكًا سويًّا بالميل إلى شخصٍ مِن النَّوع (والجِنْس) الآخر. بخلاف ذلك، الشَّخص ذو الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة، (قد) تختلف درجة قبول الجِنْسانيَّة الجُسمانيَّة عن السُّلوك النَّوعي – ضِمن أسبابٍ عديدة أُخرى، فيطوِّر توجُّهًا يتجاوب مع درجة قبوله لجنسانيَّته، بطول مراحل النُّموِّ الجِّسميِّ والنَّفسيِّ، أو كرد فعل لإساءة ما. السبب وراء ربط الجِنْسانيَّة الجُسمانيَّة بالنَّوع هو تأثير الهرمونات الجِنْسيَّة في نموِّ المخِّ، مُنذ مراحل النُّموِّ المبكِّرة، نموًا متمايزًا بين الذَّكر والأنثى، وعلى المستوى التَّركيبيِّ والوظائفيِّ. (المُعرِّب) وللمزيد راجع:

Sex and gender: what is the difference? | Journal of Applied Physiology. (2019). Journal of Applied Physiology, [online]. Available at:
https://www.physiology.org/doi/full/10.1152/japplphysiol.00376.2005

وتوجُّهاته. الإنسان أمامه أن يختار تأكيد مشاعره وميوله وتوجُّهاته الخاطئة أو أن يجاهد ليسود على الانحراف، فيفرغ تلك المشاعر مِن قوَّتها المدمِّرة. الإنسان حرٌّ ليختار الحياة وفق المحبَّة الإلهيَّة، مستثمرًا كلَّ قوَّةٍ يتيحها الله له ليُشفَى.. أو أن يختار الموت (راجع تث ٣٠: ١٥-٢٠).

ولا يغيب عنا أنَّ الإنسان قد يقرِّر بإرادةٍ القيام بعملٍ ما أو سلوكٍ ما، دون تأثُّرٍ بمشاعر قويَّةٍ أو إكراهٍ. فمثلًا، قد يقرِّر بعض الغيريِّين خوض تجربة «ممارسةٍ جنسيَّةٍ مِثليَّةٍ». فتجدهم ينخرطون في ممارسات جنسيَّةٍ مِثليَّةٍ دون أيَّة رغبةٍ مُلِحَّةٍ، أو قابليَّةٍ مسبقة أو حتى انجذابٍ شديدٍ صعب المقاومة. يعملون ذلك عن اختيارٍ وطواعيَّةٍ، ولهم أسبابٌ كالفضول أو الملل، الثَّورة والانتقاميَّة، الكراهيَّة والعدائيَّة، أو الرَّغبة في الإشباع الجِنْسيِّ، أو لاتخاذ موقفٍ سياسيٍّ.

عند التَّفكير في البعد الإراديِّ للفعل، يجب علينا أخذ ما تؤمن به الأرثوذكسيَّة بشأن الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة. وهنا أطلب إلى القارئ أن يطيل باله وألَّا يضيق صدره بما أحاول قوله في هذا الأمر.

تؤمن العقيدة المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة بأنَّ الإنسان ليس حرًا في اختياره لأيِّ شيءٍ على الإطلاق. نحن لا نختار مشاعرنا أو دوافعنا، كما أشرت إلى ذلك سابقًا، لأنَّنا، وببساطةٍ، نختبر المشاعر التي عندنا (طالما لم نطلب المشاعر والأفكار بقصد). فونحن خليقة الله، وبالأكثر كمؤمنين مسيحيِّين، ليست لنا الحريَّة في اختيار أفعالنا. ذلك لأنَّنا ندرك إنَّنا مربوطين بالله لنطيع مشيئة الله في كلِّ شيءٍ. بحسب هذا المفهوم، لا تتأتَّى

الخطيَّة الحقيقيَّة الشَّخصيَّة للإنسان مِن «حرية الإرادة» لعمل الشَّرِّ، بل من التَّوهُّم بامتلاك الإنسان لحريَّة اختيار الشَّرِّ أصلًا، وبالتَّبعيَّة، السُّلوك وكأنَّه «اختيارٌ».

لا أجد مثالًا يوضِّح ما أريد قوله عن معنى حرية الإرادة والاختيار إلَّا يسوع. الكنيسة الأرثوذكسيَّة تؤمِن بأنَّ يسوع لم يختر شيئًا إلَّا أن يتمِّم مشيئة أبيه، بل إنَّ قبول مشيئة الآب لم يكن «اختيارًا» بمعنى الكلمة، لأنَّه لم يتضمَّن مفاوضةً الأخذ والرد بين مشيئتين متعارضتين.(٥٥) ولأنَّ يسوع كان حرًا حريَّةً كاملةً في محبَّته ومعرفته الكاملة بالحقِّ، وفي طاعته الكاملة للآب، فقد قَبِلَ **بحريَّةٍ** مشيئة الآب، وأتمَّها في كلِّ شيءٍ. فبهذا المعنى، يمكن القول بأنَّ الرَّبَّ لم يفعل شيئًا مِن تلقاء نفسه. أو بعبارةٍ أخرى، كان خيار يسوع الوحيد في كلِّ شيء هو عمل مشيئة الآب، إذ فاقت، عنده، كلَّ خيارٍ آخرٍ مِن حيث أحقيَّة قبولها. وإذ كان منقادًا مِن الرُّوح القدس في شركةٍ كاملةٍ مع الله أبيه، كان حرًا حريَّةً كاملةً، وحاضر الإرادة حضورًا كاملًا، تحوَّل يسوع عن كلِّ الشَّرِّ واختار الخير مُنذ

(٥٥) التَّعليم الكنسيُّ الذي أقرَّه المجمع المسكونيُّ السَّادس، الذي يتَّبع لاهوت ق. مكسيموس المعترف ومَن معه، يقول بأنَّ المسيح كانت له إرادةٌ إنسانيَّةٌ (*thelyma physikon*) مِن طبيعته الإنسانيَّة، لأنَّه كان إنسانًا حقيقيًّا كاملًا. وإذ كانت الإرادة الإنسانيَّة فيه على انسجامٍ واتِّفاقٍ كاملين مع أقنوم الكلمة، لم تكن له مشيئة منفصلة عن مشيئة الآب (*gnomikon thelyma*). وهو ما يعني، بلغتنا، أنَّه لم «يختر» في هذا المفهوم للحريَّة، بعكس الرُّؤية المعاصرة للحريَّة في المجتمع الأمريكيِّ، يصير الإنسان حرًا بقدر ما يمتنع عن الاختيار. وهكذا، مَن يقبل أن يتحرَّر حريَّةً كاملَة بفعل نعمة الله، ما كان لـ «يختار» شيئًا على الإطلاق، إذ يدرك ويرى ويريد كلَّ ما هو صالحٌ وحقٌّ وجميلٌ، فيعمله: مثل يسوع في جثيماني «ليس له أن يختار – ليس كمشيئته» حتى ولو تمنَّى أن يعمل خلاف ذلك.

الحداثة؛ لم «يستطع» فعل غير ذلك. وهكذا، لا يمكن للمرء القول بأنَّ يسوع «قرَّر» أو «اختار» شيئًا. وأيضًا، لا يمكن للمرء القول بأنَّ المؤمن الحقيقي «يختار» بخلاف مشيئة الله.[٥٦]

وقياسًا على هذا المبدأ في الفكر والكلام، نقول إنَّ المؤمنين لا يختار الواحد منهم أن يصير كاهنًا، والآخر سبَّاكًا، مثلًا، أو أن يتكرَّس واحدٌ، والآخر يتزوَّج، وبالمثل، أن يسلك واحدٌ وفق جنسانيَّته، ويرفض الأخر، فيكون الواحد غيريًّا والآخر مِثليًّا. وهكذا، يدرك المؤمن، وهو حرٌّ في محاولة الاختيار والسَّلوك كما يريد، وهو يُدفَع دفعًا إلى «الاختيار» مِن كلِّ جانبٍ، أنَّ ليس له أن يختار. بل يَقبل منقادًا بمحبَّة الله ليكون ويسلك بحسب مشيئة الله ليتمِّمها. يرى المؤمن نفسه كمَن ليس له أن يختار شيئًا إلَّا أن يطيع مشيئة الله في كلِّ شيءٍ، إذ يثق في قيادته لحياته، ويعتمد على رحمته عندما يخطئ بإرادته أو يخطئ بغير إرادته.

يحاول المؤمن ترتيب حياته وفق هذا المفهوم بكلِّ ما في وسعه مِن إرادةٍ. يصلي، يصوم، يتصدَّق، ويشارك في صلوات اللِّيتورجيا. يقرأ الكتاب المقدس والكتب الرُّوحيَّة الأخرى. ينتبه إلى سلوك الآخرين، ويطلب مشورة الحكماء. يشارك في برامج علاجيَّة ليواجه ماضيه، ومِن ثَمَّ يتعرَّف أسباب مرضه وعدم الرضا والاستياء، ليتحمَّل مسؤوليَّته عن

(٥٦) راجع (يو ٨: ٣١ حتى نهاية الإصحاح؛ رو ٦: ١٢-١٩؛ ٢ كو٣: ١٧؛ غل ٤-٥؛ يع ١: ٢٥). تعليقٌ على الحاشية: لا يتأتَّى للمؤمن «اختيار» أعماله، أو التَّخطيط لأفعاله، بما في ذلك، اختيار توجهه وسلوكه الجِنْسيّ، بخلاف الصَّلاح والخير، وإلَّا لكان أيَّ انحرافٍ عن الصَّلاح هو فقد لحريَّة الاختيار فقدًا حقيقيًّا وتامًّا. (المُعرِّب).

سلوكه، كما يريد له الله ليُصلِح واقعه. فيعمل هذه كلَّها، وأيَّ شيءٍ آخرٍ يجده نافعًا، متوجِّهاً في كلِّ ما يعمل إلى غايةٍ، ألا وهي أن يتمِّم في حياته مشيئة الله، في الصِّغيرة والكبيرة، في كلِّ ما يضطلع به في حياته اليوميَّة في هذا العالم السَّاقط، لأنَّه يوقن أنَّ هذه هي الوسيلة الوحيدة التي بها يجد الحريَّة الحقيقيَّة، والسعادة التي في تحقيق ذاته، والحياة الحقيقية لذاته ولمَن يحبهم، (راجع لو ١٦: ١٠؛ ١٩: ١٧).

-٩-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والمشيئة الإلهيَّة

أؤمن أنَّ الأرثوذكسيَّة، بفهمها لشهادة الإنجيل، تؤكِّد على ملمحين غير منفصلين بخصوص مشيئة الله: الصَّلاح «المشيئة الصَّالحة التي تصنع مسرَّة الله»، وسماح الله المشمول في عنايته.(٥٧)

تؤمن الأرثوذكسيَّة بأنَّ مشيئة الله للإنسان هي أن يتألَّه الإنسان وأن يحيا إلى الأبد شريكًا في حياة الله. وعليه، لا يشاء الله مرض الإنسان ولا

---

(٥٧) راجع «المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسيِّ» للقدِّيس يوحنَّا الدِّمشقيِّ، الكتاب الثَّاني، الفصل الـ ٢٩. حيث يستخدم ق. يوحنَّا مصطلحين: أوَّلهما «مسرَّة الله» بحسب سابق معرفة الله (*antecedent*)، ليتكلَّم عن مشيئة الله الصَّالحة مِن جهة كلِّ شيءٍ، لاسيما المخلوقات وعلى رأسها الإنسان، وقد قلت إنَّها الصَّلاح. وثانيهما «سماح الله» -الذي يترتَّب على سابق معرفته- وهي مسؤوليَّة الإنسان عن أفعاله (*consequent*) وقد قلت إنَّها سماح الله.

تعليقٌ على الحاشية: السَّماح الإلهيُّ على نوعين: فنقول إذن إنَّ مشيئته الأولى مصمَّمة وهي رضىً ومسرَّةٌ وهي مِنه. أمَّا الثَّانية فهي لاحقة وهي «تجاوز» وهي بسببنا. وهذه على نوعين: تدبيريَّةٍ وتأديبيَّةٍ ... إنَّ الله لا يريد الشر مطلقا، ولكنه يسمح به: إنَّ الأمور التي هي في استطاعتنا بعضها صالحٌ ويشاؤه الله عن تصميم ورضىً، وبعضها طالحٌ وشرٌّ، وفي الحقيقة لا يشاؤه الله لا سابقًا ولا لاحقًا، إنَّما يتركه لحريتنا، لأنَّ التَّعقُّل والفضيلة لا يُفرضان. ويعتني الله بالخليقة كلِّها ويحسن إليها، وهو يؤدِّبها أحيانًا كثيرة حتى بواسطة الشَّياطين، كما جرى لأيوب» يمكن تتبُّع الخطِّ الذي اتَّبعه ق. يوحنَّا في ربط صلاح الله بعنايته في إطار سابق علمه في الكتاب «المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسيِّ» تعريب الأرشمندريت أدريانوس شكوُّر (منشورات المدرسة البولسيَّة، ١٩٨٤). صـ ١٤٠-١٤٢. (المُعرِّب)

معاناته، وبالأكثر لا يشاء موت الإنسان، بل يشاء له الحياة وكمال الصِّحة، والسَّعادة التي ينالها الإنسان في شركته مع الله. الوحيد الذي أتمَّ مشيئة الله الأصليَّة «المسرَّة الإلهيَّة» للإنسانيَّة، وعلى أكمل وجهٍ، هو المسيح «الإنسَانُ السَّمَاوِيُّ» «الذي قَبِل أن يصير «خطيَّة» مِن أجل خلاصنا».[٥٨] غير أنَّ بعض البشر، قبل وبعد تجسُّد الكلمة ابن الله مسيا إسرائيل المنتظر، قد وصلوا درجةً أعلى مِن القداسة مقارنةً بباقي النَّاس، وأوَّل مَن تميزها الأرثوذكسيَّة بين هؤلاء هي مريم أمُّ يسوع. ولا يغيب عنَّا أنَّ مِن هؤلاء مَن لم يعرف المسيح، ولا سمع ببشارة الإنجيل، والقداسة التي نالوها هي قداسة السُّلوك بحسب ناموس الله «المكتُوبِ في قُلُوبِهم» (رو ٢: ١٥).

الحياة الكاملة التي يريدها الله للإنسان هي حياة المحبَّة المعاشة في «حقٍّ» (*alitheia*) و«حريَّةٍ» (*eleutheria*) و«عفَّةٍ» (*sophrosyne*) و«ضبطِ النَّفس» (*enkrateia*) و«بلا هوى» (*apatheia*) وهي تبتدئ في الحاضر وتُكمَّل في الآتي. فهي حياة «محبَّة» (*agape*) تتوجه فيها الإرادة إلى كلِّ ما في صالح الآخر. وهي حياة المحبة الأخوية و«الصَّداقة» (*phil-ia*) التي التَّمتع فيها بوجود الآخر بركةٌ لغنى عظيمٍ يثري الحياة بطرقٍ متعدِّدةٍ. وهي حياة «التَّعاطف» (*storge*) تفهم المشاعر والعواطف

(٥٨) راجع (١ كو ١٥: ٤٢-٥٠؛ ٢ كو ٥: ١٦-٢١؛ عب ٢: ١٤-١٨، ٤: ١٤-١٦، ٥: ١-١٠). تعليقٌ: يضيف الأبُّ هوبكو بعد «الإنسانِ السَّماوي» «الذي قَبِل أن يصير «خطيَّة» مِن أجل خلاصنا» إشارةً إلى ارتباط مفهوم الحريَّة والصَّلاح الذي عرض له في الفصل السَّابق مِن الكتاب. وهو يقصد هنا أنَّ قبول المسيح لمشيئة الآب في أن يرفع/ يزيل/ يمحو خطيتنا هو في صميم تتميم المشيئة الصَّالحة التي تسرَّ الله، إذ يكمل المعنى بحسب الاقتباسات الواردة في الحاشية. (المُعرِّب)

وتترجمها انجذابًا عاطفيًّا أو محبَّةً كالتي يُعبَّر عنها بـ «الإعجاب» (*lik-ing*) بأحدٍ ما أو شيءٍ ما. وهي حياة «الاتحاد الزَّواجي» (*eros*) في الجَّسد اتِّحادًا حيًّا مُثمرًا، الذي يمارس المحبَّة في حياة الشَّركة الفعالة مع الآخر، في رقَّةٍ وتواصلٍ وصداقةٍ وحميميَّةٍ.[٥٩] كلُّ عمل محبَّة يتمثَّل بالمحبَّة الإلهيَّة ويشترك فيها، هو عملٌ يحتوي كلَّ تجلِّيات المحبَّة السَّابقة الذِّكر، وبالأكثر الأغابي التي تشكِّل وتضمن المسحة الإلهيَّة في الثَّلاث الأخرى.

وقد قلنا، بحسب ما تؤمن به الأرثوذكسيَّة، إنَّ الاتِّصال الجِنْسيَّ بين الرِّجال والنِّساء يمكن له أن يصير تعبيرًا عن المحبَّة الإلهيَّة وسبيلًا للشَّركة فيها، متى كان الشَّريكان ملتزمين تجاه بعضهما بعضًا، ويمكن له أيضًا أن يبتعد كلَّ البعد عن المحبَّة الإلهيَّة.[٦٠] الاتِّصال الجِنْسيُّ

(٥٩) حلَّل سي. إس. لويس المحبَّة وأرجعها إلى أربع محبات: المحبَّة العاطفيَّة، المحبَّة الأخويَّة «الصداقة»، المحبة الزَّواجيَّة «الغراميَّة»، والمحبَّة الإلهيَّة.

C. S. Lewis, *The Four Loves* (New York: Harcourt, Inc., 1991).

(٦٠) سُئِلت، عندما كنت أدرِّس الفصل الدِّراسيَّ الصَّيفيَّ في معهد «ناروبا» البوذي التيبيتي، عما إذا كانت الأرثوذكسيَّة ترى الإنسان قادرًا على الوصول إلى النَّقاء والسَّلام والتَّركيز وبالأكثر على تحقيق الاستنارة «التَّنوير – بحسب المُسمَّى المناسب المستخدم في فلسفات ديانات الشَّرق الأدنى» أثناء الاتِّصال الجِنْسيِّ. كان هذا في خضمِّ جدالٍ ومباحثات حول رفض البوذية لفكرة الوصول إلى حالةٍ إنسانيَّةٍ أرقى أثناء الاتِّصال الجِنْسيِّ. وقد أجبت بأنَّ الوصول إلى تلك الحالة نادرٌ جدًّا، وذلك لأنَّ معظم الأفعال الجِنْسيَّة، حتى في الزَّواج، قد تدنَّست بخطايا مِن أنواعٍ عديدةٍ، إذ يشوبها الشَّبق والأنانيَّة التي قد تصل إلى درجة نسيان الآخر، وقد تستأثر بها المتعة الجَّسديَّة الصَّرفة. هذا وقد أضفت أنَّ الأرثوذكسيَّة تقول بأنَّ حالة الرُّقيِّ هذه قد حدثت مرَّتين على الأقل: في الحبل بيوحنَّا المعمدان مِن قِبَل ذكريا وأليصابات، والحبل بمريم أمِّ يسوع مِن قِبَل يواقيم وحنَّة. ونحتفل في الكنيسة الأرثوذكسيَّة بتذكاري الحدثين، في أعياد تُرتَّل فيها تراتيل وتكرم فيها أيقوناتهم. ولكن، يجب

المِثليُّ، بعكس الاتِّصال الغيريِّ، لا يمكنه التَّعبير عن المحبَّة الإلهيَّة على الإطلاق، وذلك لأنَّ الاتِّصال الجِنْسيَّ المِثليَّ لا يمكن له أن يحقِّق التَّوافق التَّكامليَّ بين ممارسيه، ولا يمكن له أن يثمر حياةً بالنَّسل، ولا يغني حياة أحدهما أو إحداهما بشركة مع «آخر» .. وإجمالًا، متى تطوَّر الانجذاب المِثليُّ إلى اتِّصالٍ جنسيٍّ، يصير خيانةً للمحبَّة التي قصدها الله للإنسان.

سماح الله يلازم مشيئته الصَّالحة للإنسانيَّة، صلاحه يجعله يعتني، بل يجيد الاعتناء، بخليقته.

تؤمن الأرثوذكسيَّة بأنَّ الله عَلِمَ، مُنذ الأزل، إنَّ الإنسان سيتمرَّد عليه، ولن يعترف له بالسُّلطان اللَّائق على الخليقة، ولن يمجِّده أو يشكره كما يليق بالله. والله كصالحٍ، شملت عنايته الإنسان حتى في تمرُّده وفساده. الله شمل الإنسان في رعايته وهو ساقطٌ في الشَّرِّ إلى الفظائع ومنحدرٌ إلى أسفل أسافل الظُّلم. الله شمل الإنسان في رعايته وهو يمرض ويعاني، ويموت .. هذه التي انتهت إلى صلب ابن الله الحبيب، يسوع، مِن أجل خلاص العالم. وأيضًا، شمل الله الإنسان في عنايته كلَّ الانحرافات الجِنْسيَّة، في السُّلوك الغيريِّ والمِثليِّ على حدٍّ سواء، التي نختبرها الآن في أنفسنا وفي الآخرين المحيطين بنا.

وهكذا، نجد أنَّ الأفكار والمشاعر الجِنْسيَّة المِثليَّة، بقبولها والسُّلوك

الانتباه لكيفية فهم الأرثوذكسيَّة لقداسة الحدثين، فهي لا تقبل التَّعليم اللَّاتيني القائل بأنَّ الله قد منح «امتيازات المسيح» لهذين الحدثين لكي يجعلهما بغير دنسٍ، أي بلا تأثير للخطيَّة الجدِّيَّة، *original sin* تلك يزعم التَّعليم اللَّاتيني انتقالها عبر الاتِّصال الجِنْسيِّ الزَّواجيِّ.

بموجبها وصولًا إلى الممارسة الجِنْسيَّة، تقع في دائرة سماح الله، والتي يشمل فيها الله الإنسان المِثليَّ، في واقع الإنسانيَّة الفاسد والمشوَّه، بالرِّعاية ليخلِّصه. الله يشمل الإنسان في كلِّ سقوطه .. ولكن سقوط الإنسان لم يكن معدًّا ولا مُدبَّرًا في مشيئة الله الصَّالحة للإنسان أصلًا.

قد تُنسَب هذه المشاعر والأفكار إلى «الله» استنادًا إلى أنَّ الله هو مَن خلق الإنسان، وهو عالمٌ مسبقًا بما سيشعر به الإنسان ويرغبه. وأيضًا، مِن هذا المنطلق، تصير المِثليَّة الجِنْسيَّة «مشيئةَ الله» لبعض النَّاس.(٦١)

والأدق أن نقول بأنَّ سقوط الإنسان هو سبب «سماح» الله وقبوله بالتَّوجُّه المِثليِّ، لا أنَّ الله هو مَن شاء «أراد» المِثليَّة أو أنَّها بحسب «مسرته». وهكذا، يمكن قبول التَّوجُّه المِثليِّ، وبخصوصيَّة شخصيَّة لأناس بعينهم، باعتباره الجِّهاد الذي يدعو الله إليه البعض ليمجدوه ويجعله لخلاصهم(٦٢)

(٦١) في رأيي، يتكلَّم الإنجيل عن سماح الله، كواحد مِن عنصري مشيئته، بمعنى أنَّ الله شاء «قَبِلَ» أن يخلق عالمًا، وأنَّ هذا العالم يسقط بشرٍّ خليقته. وقَبِلَ أن يخلق الملائكة، الذين سبق وعرف إنَّهم سيحوِّلون ذواتهم إلى شياطين. وقَبِلَ أن يخلق الإنسان، الذي سبق وعرف إنَّه سيفسد إنسانيَّته وإنسانيَّة نسله، وإنَّه سيفسد بخطيَّته العالم كلَّه. إذ سبق وعلم الله بهذا كلَّه، قرَّر الله أن يستخدم المخلوقات التي سقطت في الشَّرِّ، بشرًا وشياطينَ، والأفعال الشِّرِّيرة، والأحداث التي نتجت عن الشرِّ لأجل قصده الصَّالح. وأرى أيضًا أنَّ اللَّاهوتيِّين (بالأخص الذين مِن خلفيات ثقافيَّة يونانيَّة ولاتينيَّة) يستخدمون الفعلين (يسمح) و(يأذن) للتَّعبير عن قبول الله لشيءٍ ما، وهم موفقون في هذا، لئلا يظن أحدٌ أنَّ الله يشاء «يسبِّب» الشَّرَّ، حاشاه! راجع أيضًا: T. Hopko, "On God and Evil," cited above, pp. 179-192.

(٦٢) «ينبغي أن نعجب بأعمال العناية كلِّها وأن نشيد بها كلِّها، وأن نتقبلها حتى ولو بدت لكثيرين جائرةً، لأنَّنا نجهل ولا نفهم عناية الله وهو وحده يعرف أفكارنا وأعمالنا ومستقبلنا. وأعني بذلك كلَّ ما هو ليس في استطاعتنا، لأنَّ ما هو في

وهكذا، يصير الميل والتَّوجُّه المِثليُّ، بوضعه السَّاقط وبما فيه مِن مشاعر وتحرُّقٍ لاتِّصالٍ جنسيٍّ، صليبًا تستخدمه العناية الإلهيَّة للخلاص، لا عطيَّةً إلهيَّةً للتباهي. وبقولنا ذلك، نؤكِّد على حقيقة أنَّ المحبَّة الأخوية[٦٣] بين الأشخاص المنتمين لنفس الجِنْس، عندما تتكوَّن ويُعبَّر عنها بلياقة وبطهارة بأعمال المحبَّة، هي عطيَّةٌ مقدَّسةٌ مِن قِبَل الله. هذه المحبَّة ضروريَّةٌ وطبيعيَّةٌ وهي مقصودةٌ لنا في صميم صلاح مشيئة الله للإنسانيَّة. وعندما تُفتقَد نقاوة وقداسة هذه المحبَّة، أو يُعتَدى عليها، أو يُساء إليها طوعًا أو

استطاعتنا يعود، لا إلى العناية، بل إلى حريَّتنا. كما أنَّ الأمور المنوطة بالعناية يتمُّ بعضها بمسرَّة الله، وبعضها بسماحه. فالتي بعنايته هي، بلا ريبٍ، جميع الصَّالحات. أمَّا التي بسماحه فهي كثيرة الأنواع. فإن الله يسمح مرَّاتٍ كثيرةٍ أن تنزل المصائب بالبار ليظهر للآخرين الفضيلة المختفية فيه، كما حدث لأيوبَ. ويسمح مرَّاتٍ أخرى بإتيان أحدٌ المنكرات حتى، إذا ما تمَّ العمل الظَّاهر منكرًا، ينتج عجب عظيم كخلاص البشر بالصَّليب. ويسمح في حالةٍ أخرى أن يُبتَلى البار بمحنةٍ رديئةٍ كيلا يحيد عن ضميره الصَّالح ولا يسقط في الافتخار الباطل لما أوتِيَ مِن قوَّة النِّعمة، كما جرى لبولُس ... يتخلَّى عن الأشرار تخليًا عادلًا. والتَّخلِّي على نوعين، فيكون التَّخلي تدبيريًّا وتأديبيًّا ويكون كاملًا ويائسًا. فإنَّ التَّدبير والتَّأديب يحصلان لأجل إصلاح المتألِّم وخلاصه وتمجيده، أو لأجل تنشيط الآخرين، والقدوة الصالحة أو لأجل مجد الله ... واعلمْ أنَّ جميع المصائب الطارئة تقود الذين يقبلونها بشكر إلى الخلاص وتكون لهم مجلبةً لكلِّ منفعة». الحاشية من وضع المُعرِّب نقلا عن «المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسيِّ» للقدِّيس يوحنَّا الدِّمشقيِّ، الكتاب الثَّاني، الفصل الـ ٢٩، المرجع المشار إليه سابقًا.

(٦٣) يستخدم الأب هوبكو هنا مصطلح «المحبَّة المِثليَّة» (*same-sex love*) ليقصد بها كلَّ محبَّةٍ بين أشخاص مِن نفس الجِنْس، ولكن دون أيِّ تحرُّكٍ للمشاعر أو الأفكار نحو الاتِّصال الجِنْسيِّ، إذ بهذا يرتِّبها في إطار المحبَّة الأخويَّة، والتي نرى أفضل أمثلتها في صداقة داوود ويوناثان، الذين أحبَّ الواحد مِنهما الآخر كنفسه، حتَّى أنَّ داوود رثى يوناثان قائلا: «يا أخي يوناثان يا أعزَّ صديق، مَليئًا بالألم والحزن أُبكِيكَ، لأنَّ صداقتك لي أولى مِنْ حُبِّ النِّساء» (٢ صم ١: ٢٦).

كرّها، تنحرف عن قصدها إلى شهواتٍ مِثليَّةٍ رديئةٍ، تستوجب الانتباه إليها والتَّعاطي معها باعتبارها جزءًا مِن عناية الله لمنفعة أصحابها.

عندما تكون المحبَّة بين الرِّجال بعضهم بعضًا، والنِّساء بعضهن بعضًا، بنقاوةٍ وبحسب قصد الله للإنسان، تنمو وتزهر وتكمل إلى تمامها في ملكوت الرَّبِّ الآتي، حيث تبلغ الإنسانية إلى «قِيَاس مَلءِ قَامَةِ المَسيح» (أف ٤: ١٣). وفي حالة الإنسانيَّة الجديدة في الملكوت الآتي، سيعرف الكلُّ «مَحَبَّةَ المَسيح، ويَمتَلِئونَ بِكلِّ مَا في الله مِن مَلءٍ» (أف ٣: ١٩). والجِنْس، مِن أيِّ نوعٍ، لن يوجد بعدُ، إذ يحيا الإنسان كـ «ابنٍ لله، ابن القِيامَةِ، بَل كَمَلائِكةِ الله في السَّمَاوَات» (لو ٢٠: ٣٤-٣٦؛ مت ٢٢: ٣٠).[٦٤]

(٦٤) لا يعني التَّشبُّه بالملائكة في «مِثلَ ملائكة الله» أن يصير الإنسان بلا جسدٍ، أو أن يفقد الإنسان التَّمايز إلى رجالٍ ونساء، بل يعني أنَّ الإنسان لن يكون في حاجةٍ إلى التَّزاوج، أو التَّكاثر، أو العيش في أُسَرٍ مستقلَّةٍ. يقول يسوع في الإنجيل إنَّ «أبنَاء هَذَا الزَّمَان يتزوَّجونَ ويَزَوَّجونَ «وبالمعنى الحرفيِّ: يمارسون الجِنْسَ، ويعطون بالتَّزويج (لممارسة الجِنْس)، أمَّا الذينَ هُم أهلٌ للحياة الأبَدِيَّة وَالقِيامَةِ مِنْ بَينَ الأموَات، فلا يتزاوَجونَ. هُم مِثلَ المَلائِكة لا يَمُوتُونَ، وهُم أبناءُ اللهِ، لأنَّهُم أبناءُ القِيامَة» (لو ٢٠: ٣٤-٣٦). يعلِّم يسوع هذا التَّعليم ردًا على السُّؤال عن أيٍّ مِن أزواج المرأة السَّبعة الأرضيِّين سيتَّخذها زوجةً في ملكوت الله. وها نحن نرى في هذا التَّعليم، وبوضوحٍ، أنَّ الاتِّصال الجِنْسيَّ الذي شاءه الله للرِّجال والنِّساء المتزوِّجين «مُنذُ البدء» لن يبقَ إلى الأبد، أي ليس له مكانٌ بين أبناء القيامة.

-١٠-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والقداسة

تؤكِّد الأرثوذكسيَّة على أنَّ المسيحيِّين الذين يجاهدون ضدَّ ميولهم توجُّهاتهم المِثليَّة مِمَّن يؤمنون بالله كما تكرز به الكنيسة، ويعيشون في شركة مع الكنيسة، ككلِّ المؤمنين المسيحيِّين، سوف يشكرون الله على صليب جهادهم الذي سمح لهم به، مهما بدى غير محتملٍ. ولسوف يدركون أنَّ أمورهم لم تكن لتختلف عما هي عليه مِن جهة توصيفهم كمجاهدين ضد توجهاتهم المِثليَّة، وعلاقاتهم مع الآخرين في واقع مجريات حياتهم. هؤلاء المسيحيُّون سيقبلون حقيقة واقعهم، وسيجاهدون بكلِّ وسيلةٍ ممكنة. ولن يتوانوا عن طلب المساعدة كلَّما وأينما وجدوها، إذ هم يجاهدون متَّكلين على نعمة الله لتحوِّل صليب موتهم إلى صليب خلاصٍ لنصرةٍ، وصلاحٍ، وجمالٍ، وحقٍّ، غلبةٍ تحققها محبَّة الله في حياتهم.

وفي المقابل، يرفض ملايين النَّاس، في عالمنا المعاصر، التَّعليم القائل بأنَّ الجهاد ضدَّ الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة المصحوبة برغبةٍ في الاتِّصال الجِنْسيِّ هو جهادٌ بسماح مِن الله لأناسٍ بعينهم، جهادًا ضدَّ الشَّرِّ الذي جلبته الخطية على العالم. وهم في رفضهم هذا يتعلَّلون، وعن جهلٍ، بأنَّ الجِّهاد ضد المِثليَّة يبقى وسمًا شائنًا وعنوان شرٍّ يدمغ مَن يجاهده. ويذهب بعض المفكِّرين المعاصرين، مِنهم رجالٌ ونساءٌ يقدِّمون أنفسهم كمسيحيِّين، إلى الزَّعم بأنَّ الغيريِّين مِن ذوي السُّلطة اخترعوا اعتبار المِثليَّة «ضدَّ الطَّبيعة» وأنفذوه ليبقوا «الآخرين» «وبالأخص النِّساء»

تحت تحكمهم وسطوتهم. هؤلاء يصرون على أنَّ هذه العقيدة لا تَمُتُّ للمسيح ولا لتعاليمه بشيءٍ، مستندين إلى اعتبار المِثليَّة أمرًا طبيعيًا، وكتباين نوعيٍّ. ويجادلون بأن قبولهم التَّعاطي الأرثوذكسيَّ التَّقليديَّ مع المثليَّة الجِنْسيَّة سيلزمهم رفض مشيئة الله الصَّالحة للبشر. بينما هم، في حقيقة الأمر، يرفضون محبَّة الله، وحقَّه، بل يرفضون المسيح نفسه.(٦٥)

---

(٦٥)راجع العملين:

Robert Goss, *Jesus Acted Up, A Gay and Lesbian Manifesto* (HarperSanFrancisco,1993).

Carter Heyward, *Touching Our Strength, The Erotic Power and the Love of God* (HarperSanFrancisco, 1989).

فيما يقدِّمانه مِن آراء عن الله كقوَّة جنسيَّة، وما يعتبرون به التَّوجُّه المِثليَّ تعبيرًا مقبولًا «لتحرُّر» الإنسان مِن الشُّرور التي فرضتها السَّيطرة الأبويَّة الذُّكوريَّة. يهدف روبرت جوس، مدَّعيًا اتِّباعه منهجيَّة شارلز فوكو، لـ «استعادة وتحرير ذكريات يسوع الخطرة، الحقيقة الإنجيليَّة، مِن سطوة المفهوم الغيريِّ المَعَمِّم» ليبني «تعليمًا عن طبيعة المسيح ... تعليمًا محرِّرا مِن وهم التَّعميم العالميَّ، معتمدًا على إعادة تأطير وتعريف التَّوجُّه المِثليَّ إنجيليًا» إذ بهذا يقدِّم جوس «إنجيلًا ... مُحَرَّرًا مِن الأصوليَّة» ليصبح «دعامة يستند عليها كفاح المِثليِّين ضدَّ السُّلطويَّة الغيريَّة». كما جاء في كتابه، في صـ ١٨٣. وراجع أيضًا تعليقات إليزابيث ستوارت، وهي اللَّاهوتيَّة المِثلية، على آراء جوس وهايوارد في كتابها:

Gay and Lesbian Theologies, Repetitions with Critical Differences (Burlington, VT: Ashgate, 2003).

أرى أنّ كتابات الثلاثة سالفيِّ الذِّكر، بالإضافة إلى كتابات أندرو سوليڤان، چون بوزويل، ڤرچينيا ريمي مولينكوت، تقدِّم الصُّورة الأوضح لقبول المِثليَّة الجِنْسيَّة وفهمها عند مَن يعتبرون أنفسهم، بشكلٍ أو بآخرٍ، مسيحيِّين. وأوصي بمراجعة:

The Vatican and Homosexuality, Reactions to the "Letter to the Bishops of the Catholic Church on the Pastoral Care of Homosexual Persons edited by Jeannine Gramick and Pat Furey (New York: Crossroad, 1988).

ومرَّةً أخرى، يجب التَّشديد على أنَّ ذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة، مِمَّن يعترفون بالإيمان المسيحيِّ، ويمارسونه كما تعيشه الأرثوذكسيَّة، يقبلون توجُّههم المِثليَّ «فقط كصليب» .. كصليب سمح الله لهم به لجهاد لمجده ولخلاصهم، وسط عالم ساقطٍ في الخطيَّة. وسيدركون أنَّ ميولهم وتوجُّهاتهم المِثليَّة هي جزءٌ مِن طريق قداستهم الذي سمح الله لهم أن يجتازوه، يتقدَّسون بجهادهم، ويشهدون بقداستهم لمَن حولهم، أولًا لعائلاتهم، ثم حتَّى للذين كانوا يسعون لاتِّصال جنسيٍّ معهم. وسيدركون إنَّ رفضهم السُّلوك بحسب مشاعرهم الجِنْسية هو فرصة استثنائية للتَّمثُّل بالمسيح في قبوله بمشيئة الصِّلاح، مشاركين في آلامه المحييَّة. ولسوف يأخذون رغباتهم الجِنْسيَّة، ورغبتهم في أن يُحِبُّوا وأن يُحَبُّوا، ليقدِّموها ذبيحةً على مذبح جهادهم الحسن، مستجيبين لطلب ق. بولُس القائل:

«فَأُنَاشِدُكم، أيُّها الإخوة، برأفةِ الله أنْ تَجعَلوا مِنْ أنفُسِكُم ذَبيحَةً حيَّةً مُقَدَّسَةً مَرضِيَّةً عِندَ الله. فهذِهِ هِي عِبادَتُكُم الرُّوحيَّةُ. وَلا تَتَشَبَّهوا بِما في هذِهِ الدُّنيا، بل تَغَيَّروا بتَجديدِ عُقُولِكُم لِتَعرِفُوا مَشيئَةَ الله: مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَا هُوَ مَرضِيٌّ، وَمَا هُوَ كَامِلٌ» (رو ١٢: ١-٢).

فهو العمل الأفضل لتقديم رؤية مسيحيَّة «أخرى» قبالة لاهوتييِّ المِثليَّة. وبالأخص ما كتبه الأب بنديكت م. آشلي، في العمل المشار إليه، صـ ١٠٥-١١١، تحت عنوان:

"Compassion and Homosexual Orientation."

كأفضل مقاربة، مِن وجهة نظري، لتبيُّن اختلاف الرُّؤى.

طريق القداسة للغيريِّين والمِثليِّين واحدٌ. طريق الجِّهاد ضدَّ الخطيَّة التي أفسدت آدم الأوَّل، واعتملت في الطَّبيعة الإنسانيَّة مِن بعده. وأيضًا يجاهد الجَّميع ضدَّ كلِّ خطيَّة ارتُكِبَت في حقِّهم، في ماضيهم، أو طفولتهم، أو حتى قبل مولدهم.[٦٦] ومَن يجاهد، لا يترك عنه خطاياه الخاصة، بل يواجه تداعياتها، وبالأخصِّ خطايا مراحل حياته المبكِّرة، في الصِّغر أو الشَّباب. هذا الجِّهاد يتطلَّب شجاعةً وأمانةً في تعامُل الإنسان مع ماضيه، وأثر أسرته عليه، وأثر ديانته عليه، وخلفيَّته الثَّقافيَّة، وبنية وطنه الاجتماعية، فيعرف ما الذي يجاهد ضدَّه وما الذي يثبت عليه. يستلزم هذا الوعي مواجهة ذكرياتٍ أليمةٍ، والنَّدم الذي للتَّوبة، والغفران الحقيقيَّ، والصَّلاة بغير فتورٍ، والقبول الواعي والمسؤول لصليب جهاد الخلاص الذي يسمح به الله في عالمٍ فاسدٍ بالخطيَّة. يستلزم هذا الجِّهاد ثباتًا لا يتزعزع، وجديَّةً في تحمُّل الإنسان مسؤوليَّته الكاملة، أمام الله، عن رغباته وسلوكه وأعماله. وأيضًا، سيستلزم هذا الجهاد الغفران لمَن أساء عمدًا أو عرضًا إلى الإنسان، غفرانًا مِن كلِّ القلب، وبضمير نقيٍّ. وهكذا، ندرك أنَّ طريق القداسة ليس استسلام الإنسان إلى مصيرٍ

---

(٦٦) يتكلم الأبُّ هوبكو هنا عن مفهوم «الضَّحيَّة» الذي قد يتعلَّل به بعض النَّاس، ملقين اللَّوم على «آخرٍ» فيما لحق بهم، ثم لا يفعلون شيئًا، إذ يرون أنفسهم غير مسؤولين عن سبب معاناتهم. وبخصوص «قبل مولدهم» يقصد بها الأب هوبكو من يتعلَّلون بسلوك آبائهم وأمهاتهم أثناء فترة الحمل بهم، مما قد يؤثر على نموِّهم، فيتسبَّب ذلك لهم في تشوُّهٍ أو إعاقةٍ، أو حتى في طفراتٍ مكتسبةٍ تؤثِّر على سلوكهم أو توجُّههم نحو أمر ما أو غيره، ولا يستثنون مِن ذلك التَّوجُّه الجِنْسيَّ. وقد يكون الكلام عن المولودين مِن اعتداءات أو اغتصابٍ بصورةٍ شوَّهت النموذج الذُّكوري «باعتبار أنَّ الاغتصاب كان مِن رجلٍ لامرأةٍ» وادَّت إلى أن الأمَّ قدَّمت تلك الصورة المشوَّهة عينها للابن أو الابنه بما تداعى إلى تطوُّرٍ ميلٍ أو توجُّهٍ جنسيٍّ مثليٍّ. (المُعَرِّب).

قدريٌّ، لا، بل هو بالحري جهادُ تحوُّل الكيان والحياة إلى الصَّلاح بنعمة الله وقوَّته.

-١١-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة وأعمال والجِّهادات النُّسكيَّة

الجِّهاد النُّسكيُّ ضرورةٌ لحياة الإيمان المسيحيِّ في هذا العالم. لذا ينبغي للرِّجال والنِّساء الذين يجاهدون ضدَّ ميولهم وتوجُّهاتهم المِثليَّة، ككلِّ الذين يسعون للحياة في الله، أن يمارسوا النُّسك. سيمارسون تدريباتهم النُّسكيَّة تحت إشراف الشُّيوخ الرُّوحيِّين المُختَبرين طريق النَّسك، مستعينين بكلِّ مساعدةٍ متاحةٍ مِن دعمٍ نفسيٍّ أو خططٍ علاجيَّة تعينهم في جهادهم النَّسكيِّ. لأنَّ بدون تلك المساعدة والمساندة، لفشل، وحتمًا، الكثيرون، وخصوصًا في ظلِّ ظروفنا المعاصرة، في ممارسة النُّسك بالأمانة اللَّازمة ليثمر النَّسك في حياتهم. بل سينقلب الأمر بهم وعليهم، فيسيئون ممارسة النَّسك جرَّاء ما عانوه مِن جروح نفسيَّة وافتقادهم القدرة على التَّمييز لضبط الممارسة النُّسكيَّة. وذلك ما انتبه إليه ق. أنطونيوس الكبير، مِن قديسيّ القرن الرَّابع، في شأن ممارسة النُّسك، فقال: «مَن يُهلِك جسده بالنُّسك، وهو مفتقر التَّمييز، يبتعد عن الله». (٦٧)

ونقول أوَّل ما نقول في هذا الشَّأن إنَّ المسيحيِّين ذوي الميول والتوجُّهات المِثلية مدعوُّون للصلاة بغير فتورٍ، ككلِّ المسيحيِّين، بكلِّ الطُّرق التي أتاحها الله للصلاة. وإنَّ لهم أن يشتركوا في ليتورجيا الكنيسة. وإنَّهم سيلتزمون بتدبر الصَّلوات الشَّخصيَّة في المخادع، بغير فتورٍ بالفكر

(٦٧) وقال أيضًا: «ثَمَّة أُناس أفنوا أجسادهم بالنُّسك، لكنَّهم ظلُّوا بعيدين عن الله كونهم لم يقتنوا فضيلة التَّمييز». الأب أنطونيوس (٨).

والقلب، يداومون على القراءات الرُّوحيَّة. وإنَّهم ينبغي لهم أن يقرأوا الإنجيل، مهتمين بتلاوة المزامير، متتلمذين على إنجيل العهد الجديد، متمثِّلين بسيرة القدِّيسين كما عاشوا وعلَّموا. وسيقتنون لأنفسهم الصَّمت فضيلةً داخليَّةً للسُّكون، وخارجيَّةً للهدوء. وإنَّهم سوف يصومون، ويمتنعون عن أصناف طعامٍ بعينها لحينٍ. وسيتدرَّبون لحفظ حواسهم، وسيشتغلون بالأعمال النَّافعة لصالح الآخرين، ويشغلون وقت الفراغ بما ينفع ويبني ذواتهم للأفضل. وسيشاركون ما عندهم، وبالأخصّ مع الفقراء الذين ليس لهم، ومع ذوي الاحتياجات الخاصَّة. وسيخدمون احتياجات الكرازة، وأعمال الرَّحمة، وعمل الكنيسة الرَّعويّ. وفي هذه كلِّها، يضبطون أجسادهم بتأديب السَّهر اليقظ وبالسُّجود.

وبالإضافة إلى ذلك، سيجاهد هؤلاء المسيحيُّون بكلِّ ما في وسعهم ليضبطوا أهواء الجَّسد وجموح عواطف النَّفس. جهادهم جهاد «صلب الجَّسدِ بكلِّ مَا فيه مِن أهواءٍ وشهوات» لئلَّا «يُشبعوا شَهوَةَ الجَّسدِ» (غل ٥: ١٦-٢٤). وبهذا «يُميتونَ مَا هو أرضيٌّ فيهم، مِن الزِّنى والفسق وَالهوى وَالشَّهوةِ الرِّديئةِ وَالفُجُورِ، الذي هُوَ عِبَادَة أوثَانٍ» لكي «يَخلَعوا الإنسانَ العَتيقَ وَكلَّ أعمَالِه، ويَلبسوا الإنسانَ الجَديد الذي يَتَجَدَّدُ في المَعرِفَةِ «الخبرة» إلى صورة خالِقه» (كو ٣: ٥-١٠).[٦٨] وفيما هم يجاهدون هكذا، يتيقَّنون بأنَّ الجِّهاد وسيلةٌ لا غايةً، وليس هو «الحياة بحسب الرُّوح» في حدِّ ذاته؛ الجهاد ضرورةٌ، ترتيبٌ مِن الله، وسيلةٌ لبلوغ

(٦٨) يُتلى المقطع الأخير مِن هذا الاقتباس مِن الرِّسالة إلى أهل كولوسي في صلوات تقديس الماء في طقس المعموديَّة في الكنيسة الارثوذكسيَّة.

هدفٍ، ألا وهو حياة الشَّركة مع الله، بواسطة حفظ وصاياه.[٦٩]

مَن يمارس النُّسك مجاهدًا لاقتناء الفضيلة، سيوقن حتمًا بأنَّ جهاده جهادٌ حتَّى النَّفس الأخير. ولكم سيُوَاجه بغواية الاستسلام واليأس والكفِّ عن الجِّهاد، وبالسُّلوك ضدَّ مشيئة الله لخليقته. إلا إنَّه ليس بمفرده؛ عائلته وأصدقائه يساندونه ويشدون مِن أزره، ليكمل الجِّهاد الذي سمح به الله في هذا العالم السَّاقط في الخطيَّة. ولسوف يوقن بأنَّه لن يُترك ليُجَرَّب فوق طاقته، كما سبق الله ووعد، وكما يرعى ويعزي.[٧٠] وجمله القول إنَّه سوف يفعل كلَّ ما يفعله المتألِّهون بالخطيَّة في العالم ليصل إلى أن يصير الإنسان المتألِّه بنعمة الله وقوَّته. ولسوف يستخدم كلَّ وسيلةٍ متاحةٍ ليتجاوب مع محبَّة الله فينمو فيها، وفي محبَّة النَّاس أيضًا، والخليقة كلِّها، بالمحبَّة التي أعطيت له في المسيح بالرُّوح القدس. وهكذا يذكِّي جهاده بكلِّ عملٍ ينميِّ محبَّته للجَّميع، وفي كلِّ شيءٍ، كما أحبَّه الله الآب في المسيح.[٧١]

أهم ما في الأمر، مِن جهة الجِّهاد، هو أنَّ المسيحيَّ الذي يجاهد ميوله وتوجُّهاته المِثليَّة، التي يمكن لها أن تتسبَّب في خطيَّةٍ جنسيَّةٍ، لن يخُر في الطَّريق، ولن يسلِّم قلبه إلى أيِّ أحدٍ أو شيءٍ إلّا لله. وهكذا، يثبت في المسيح في كلِّ شيءٍ، يُصلب معه ليقوم حيًّا فيه. وسوف يواجه المجادلات الفارغة التي تدفع بأنَّ سلوك الإنسان ينتج «فقط» عن شعور الإنسان،

---

(٦٩) تتكرَّر هذه الإشارة في كتاب «الحلبة» للقدّيس إغناطيوس أسقف بريانتشانينوف. وكذلك في حوار ق. سارافيم ساروفسكي مع موتوفيلوف.

(٧٠) راجع (١ كو ١٠: ١٣؛ ٢ كو ١٢: ٥-١٠).

(٧١) راجع (يو ١٥: ٩-١٧؛ ١ يو ٣: ١١-١٨؛ ٤: ٧-٢١).

وتسيِّره خبرات الإنسان السَّابقة، كمجرَّد ردِّ فعلٍ لماضيه، كما سيقف قبالة العلوم السُّلوكية التي يضعها أمامه أناسٌ آخرون مِمَّن يفتقرون إلى الحِسِّ الطَّبيعيِّ الذي خلقهم الله عليه، أو لعلَّهم فقدوه بالكلِّيَّة، فأصبحت قلوبهم خاويةً، وصاروا بلا ضابطٍ مِن جهة أفكارهم ومشاعرهم، ففسدت حواسُّهم.(٧٢) ولن ينخدع بمَن يدرسون الإنسانيَّة في واقعها السَّاقط وكأنَّه طبيعة الإنسانيَّة المقبولة، فيخرجون بتوجيهات للحياة الإنسانيَّة بحسب مشاهداتهم واستنتاجاتهم، تلك التي ترصد الواقع الإنساني بدقَّةٍ، ولكنَّها تخطئ في تأصيله وتقديمه.(٧٣) ولن يقبل بأنَّ العالم السَّاقط هذا هو «الطَّبيعيُّ» أو أنَّه هو عطيَّة الله الصَّالحة الضَّروريَّة لخليقته.

---

(٧٢) راجع الهامش الذي يعرض لتعليم سي. إس. لويس في عن فقدان «الطاو» عند البشر، وهي التَّسمية التي استخدمها ليعبِّر عن «تحقيق غائية الكيان الإنسانيِّ»، وما يتَّبعه مِن فقدانهم لإنسانيَّتهم واضمحلال قدراتهم على الإدراك والتَّمييز، والتَّطلع، والسُّلوك الشَّريف، واتِّباع ما هو صالحٌ، والسَّعي إلى الحقيقةِ، وطلب الخير، وتمييز الجَمال في ذواتهم وفي الخليقة. وها أنا أعيدها مرَّةً أخرى: أوصي كلَّ مهتمٍّ بدراسة الجِنْسانيَّة في عالمنا المعاصر بقراءة هذا الكتاب الصَّغير لسي. إس. لويس. راجع:

C. S. Lewis, (*The Abolition of Man*).

(٧٣) يحلِّل سوكاريديس القبول التَّدريجي للمِثليَّة الجِنْسيَّة في الحياة الاجتماعيَّة الأمريكيَّة ومؤسساتها. فيكتب هكذا: «يتطلَّب الأمر الكثير مِن الذكاء لصناعة حالةٍ مِن التَّجهيل متى كان الاحتياج للتَّشويش والإلهاء عميقًا بما يكفي»

C. W. Socarides, *A Freedom Too Far* (Phoenix, AZ: Adam Margrave Books, 1955).

يدَّعي بعض النَّاس تلك التُّهمة بعينها على المسيحيِّين الأرثوذكسيِّين، بسبب رفض الأرثوذكسيَّة لاعتبار المِثليَّة طبيعةً أو متغيِّرٍ جنسانيٍّ إنسانيٍّ أصيلٍ وطبيعيٍّ.

-١٢-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والكتاب المقدَّس

إنَّ قراءة الكتاب المقدَّس المنتظمة، ودراسته، والتأمُّل في كلمة الله فيه، ضرورةٌ لحياة الجِّهاد المسيحية الأمينة. ومَن يترك عنه الشَّبع مِن «خبز الحياة» تمرض روحه، ويصبه الضَّعف، وبالنِّهاية يمُت.(٧٤) السَّبب الأوَّل لشرِّ الإنسان وتعاسته، وبحسب تعاليم القدِّيسين، هو جهل الإنسان بكلمة الله وانصرافه عنها. كما أنَّ الجَّهل بالكلمة هو منبع الهرطقة، والشِّقاق، والخطيَّة بين الكنائس.(٧٥) الجهل بكلمة الله يُعطي سبيلًا لتجذُّر خطايا الجَّسد، مِن شَرَهٍ وفجورٍ وطمعٍ، في حياة الإنسان، وتجلبه تحت نير الغضب، وثقل الحزن، واليأس الجَّسيم، ولا يتوقَّف الأمر عند الجَّسد، بل يمتدُّ إلى أن يُظلم الذِّهن أيضًا، بضلالة تبرير الذَّات، وفرِّيسيَّة الطقوس، والحسد، والمجد الباطل، التي للكبرياء، هذه التي

(٧٤) راجع (مز ١٩؛ ١١٩؛ عا ٩: ١١-١٢؛ يو ٦: ٤١-٥٩).

(٧٥) أكثر المسيحيِّين، في وقتنا هذا، يستمعون إلى كلمة الله، ولا يقرؤنها بأنفسهم. ونذكِّر أنفسنا هنا بأنَّ كلمة الله مكتوبةٌ على قلوبنا. تأتي شهادة ق. أنطونيوس المصري لتؤكِّد على الأمرين سالفي الذِّكر. فبحسب الأقوال المنسوبة إليه في أقوال آباء الصحراء «آباء البرية»، وأيضًا كما جاء في الخطابات السَّبعة المنسوبة إليه، يعلِّم بأنَّ النَّاس لو لم يتَّبعوا أوَّلًا كلمة الله «المغروسة» فيهم، «قارن النَّص في (يع ١: ٢١)»، في طبيعتهم وعلى قلوبهم، فلن يميِّزوا يسوع النَّاصري، كلمة الله المتجسِّد، لا في كلمات الإنجيل المكتوبة، ولا في أنفسهم شخصيًّا. وراجع أيضًا:
Samuel Rubenson, *The Letters of Anthony* (Minneapolis: Fortress Press, 1995).
وأيضًا عن شرور الجَّهل بكلمة الله، راجع العظة الأولى للقدِّيس يوحنَّا الذهبيِّ الفمِّ عن الرِّسالة إلى أهل رومية، والعظة الثَّامنة عن الرِّسالة إلى العبرانيِّين.

تأسر «المتديِّنين» ولا سيَّما في «خدمة الكنيسة» وأعمال نسكٍ بلا نعمةٍ.[٧٦]

وعلاوة على ما سبق، يقف الجهل بالكتاب المقدس بالمرصاد لأقسى عبودية تذل الإنسان، تلك التي تميزها الأرثوذكسية بالـ «وهم»، وهم الضلالات الروحية، والمفاهيم اللاهوتية المغلوطة، والبنية الأخلاقية المزيفة. وهي الحالة التي يرى فيها الإنسان نفسه غيورًا، بارًا، قديسًا، بحسب قلب الله، وحتى مواهبيًا، وكمَن أعطي النبوة، وهو في هذه كلها في ضلالةٍ، مسوقًا خلف شهوة كبرياء أناه، ومخدوعًا من قبل الشياطين[٧٧]

---

(٧٦) راجع هذا التَّعليم الآبائي الإنجيلي في كتاب «الحلبة» للقديس أغناطيوس أسقف بريانتشانينوف، في:
(Jordanville, NY: Holy Trinity Monastery, 1997).
راجع أيضًا تعليم ق. يوحنَّا السُلَّمي، في:
The Ladder of Divine Ascent by St. John Climakos (Boston: Holy Transfiguration Monastery, 1991).

(٧٧) يرد عن الأنبا بيمن في «أقوال آباء البرية» أن: «سأل إبراهيم، تلميذ الأنبا أغاثون، الأنبا بيمن، قائلا: «كيف تحاربني الشَّياطين؟» فأجابه الأبُّ هكذا: «أنت تحاربك الشَّياطين؟ الشَّياطين لا تحاربنا ما دمنا نصنع مشيئاتنا، إذ إن مشيئاتنا صارت شياطين، وهي التي تحاربنا لكي نعملها. وإذا أردت أن تري حقًّا مَن تحاربه الشَّياطين، ها قد خرجت على موسى ومَن هم على شاكلته»». القول (٦٧). وقال الأب بيمن أيضًا: «اعتياد المشيئة والرَّاحة، متى أصبحا عادةً، دمَّرا الإنسان». القول (٨٣). وأيضًا: «مشيئة الإنسان كمتاريس سور نحاسيَّة بين الإنسان والله، وهي حجر عثرة. ومتى ترك الإنسان عنه مشيئته «لم يُطِع نفسه في كلِّ هوى»، فله أن يقول «بعون إلهي، أعبر فوق الأسوار». (مز ١٨: ٢٩). القول (٥٤). وأيضًا قال الأب دوروثاوس أسقف غزّة: «لا أعرف طريقًا لسقوط الإنسان إلا اتِّباع القلب. يقول بعضهم إنَّ الإنسان يسقط بسبب هذه أو تلك، أما أنا، كما قلت، لم أعرف سببًا للسُّقوط غير اتِّباع هوى القلب. متى رأيت إنسانًا يسقط، اعلم إنَّه تبع هوى قلبه. لا شيء أخطر ولا أخبث عليك مِن هوى قلبك». القول (٣٣). وجاء أيضًا عن ق. ثيئوفان النَّاسك، في

يَقرأ التَّقليد الأرثوذكسيُّ الإنجيل قراءةً نقديَّةً متفاعلةً، بتمييزٍ روحيٍّ للفهم. يُقرأ الإنجيل بفحص كلِّ المعلومات اللُّغويَّة، والأدبيَّة لبنية النَّصِّ، والتَّاريخيَّة، والأثريَّة المتاحة، لقبول كلِّ استنارةٍ يقدِّمها النَّصُّ المقدَّس. إلَّا إنَّ هذه الدِّراسة، بكلِّ ما فيها، غير كافيةٍ وحدها لفهم كلمة الله فهمًا كاملًا، وبعمقٍ، وبالتَّدقيق. هذه تلزمها الصَّلاة، إذ تعين الصَّلاةُ الفهم بالاستنارة الإلهيَّة، التي تفتح أعين الذِّهن، متى قرأ الكتاب المقدس.[٧٨] فمن يقرأ، يطلب إرشادًا فيما يقرأه مِن أعمال قدِّيسِّي الكنيسة وخبرة آبائها الحياتيَّة. ويلي ذلك الامتثال لتعليم الكنيسة اللَّاهوتي، والسُّلوك وفق وصايا الإنجيل، بحسب ما أقرَّته الكنيسة في المجامع والقوانين. ثم يأتي دور الآباء المُختَبرين، الذين لهم الحواس مدرَّبةٌ، والمفسِّرين الأمناء، يرشدون المؤمنين لَلسُّلوك بتدقيقٍ وأمانةٍ في التَّعاطي مع متغيِّرات حياتهم.

وهكذا، يقرأ الأرثوذكس كلَّ عددٍ مِن فصول الكتاب المقدَّس

«الحرب الرُّوحيَّة» أنَّه علَّم بأنَّ تسليم المشيئة الكامل لله، وجحد الذَّات، مع مداومة الصَّلاة، والجهاد الحسن، تصل بالإنسان إلى حياة النُّصرة وسط العالم السَّاقط.

Unseen Warfare (Crestwood, NY: SVS Press, 1978).

(٧٨) يُصلّي الكاهن «إفشين قبل الإنجيل» في قدّاس ق. يوحنّا الذهبيّ الفمّ: «أَيُّهَا المَسِيحُ المُحِبُّ البَشَرِ، أَشْرِقْ فِي قُلُوبِنَا النُّورَ الصَّافِي نُورَ مَعْرِفَتِكَ الإِلَهِيَّةِ، وَافْتَحْ أَعْيُنَ ذِهْنِنَا لِفَهْمِ تَعَالِيمِ إِنْجِيلِكَ؛ ضَعْ فِينَا خِشْيَةَ وَصَايَاكَ المَعْبُوطَةِ حَتَّى إِذَا وَطِئْنَا كُلَّ الشَّهَوَاتِ الجَسَدِيَّةِ، نَسْلُكُ سُلُوكًا رُوحِيًّا، فَنَفْتَكِرُ بِكُلِّ مَا يُرْضِيكَ وَنَعْمَلُهُ، لأَنَّكَ أَنْتَ إِنَارَةُ نُفُوسِنَا وَأَجْسَادِنَا أَيُّهَا المَسِيحُ الإِلَهُ، وَلَكَ نُرْسِلُ المَجْدَ مَعَ أَبِيكَ الذي لا بَدْءَ لَهُ، وَرُوحِكَ الكُلِّيِّ قُدْسُهُ، الصَّالِحِ وَالصَّانِعِ الحَيَاةَ، الآنَ وَكُلَّ أَوَانٍ وَإِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِين، آمين».

في إطاره، وفي ضوء روح الإنجيل ككلٍّ، بلا اقتطاعٍ ولا اجتزاءٍ ولا اختزالٍ، أو مبالغةٍ أو تقوُّل. يقرأ الأرثوذكس العهد القديم في ضوء العهد الجديد، فيفهمون «الشَّريعة» مؤدِّبا يربِّي الإنسان نحو المسيح، الذي يرفع «الحجاب» كاشفًا أعماق مقاصد النَّاموس، التي تشير إلى مجيئه، والذي يتمِّمها، (غل ٣: ٢٤-٢٥؛ ٢ كو ٣: ١٢-١٨). وهكذا، يجدون «كلَّ» الكتاب وحقَّه في المسيح القائم مِن الموت، الذي «يفتح أذهانهم» ليريهم كيف يتم فيه «مَا جاء عَنه في جميع الكُتُبِ المُقَدَّسَةِ، مِنْ مُوسَى إلى سَائِرِ الأنبياءِ» (كو ٢: ١٧؛ عب ١٠: ١؛ لو ٢٤: ٢٦-٤٩).

وبالمثل إذن، لا تُفهَم نصوص الكتاب المقدَّس التي تتعرَّض للمِثليَّة مِن جهة الميل والفعل إلَّا في ضوء المسيح، وبروح الإنجيل ككلٍّ.[٧٩] فعلى سبيل المثال، لا تُفهَم قصَّة سدوم وعمورة باقتصارها على الغِلظة والعنف، والاغتصاب، وإذلال الضُّيوف، بل تُفهَم كما قدَّمتها الكتابات الرَّسوليَّة انحرافًا جنسيًّا وفجورًا متكبِّرًا، (تك ١٨-١٩؛ ٢ بط ٢: ٦-١٣؛ يه ٧). وأيضًا، ما جاء في ناموس موسى، بمنع المضاجعة المِثليَّة، والزِّنى، والفجور، وزنى المحارم، ومضاجعة البهائم، لا يمكن فهمه كلازمة مِن لوازم التَّطهيرات، تلك التي «أبطلها» المسيح.[٨٠] فقد

(٧٩) راجع التَّعليق على النَّصِّ الإنجيليِّ الذي يتعرَّض للمِثليَّة الجِنْسيَّة عند:

Thomas E. Schmidt, *Straight and Narrow? Compassion and Clarity in the Homosexuality Debate* (Downers Grove, IL: Inter-Varsity Press, 1995).

Robert Gagnon, *The Bible and Homosexual Practice: Texts and Hermeneutics* (Nashville, TN: Abingdon Press, 2001).

(٨٠) راجع (لا ١٨-٢١). لا يرد في العهد الجَّديد أيُّ دليلٍ على أن ممارسات المِثليَّة الجِنْسيَّة يمكن قبولها كتعبير عن المحبَّة الإلهيَّة، كما استُعلِنت لنا في المسيح. ولا نجد

علَّم التَّقليد المسيحيُّ، في واقع الأمر، بأنَّ العكس هو الصَّحيح: المسيح المصلوب والقائم مِن الأموات يطالب تلاميذه بالتَّطهر والكمال، وإلى ما هو أبعد جدًّا مِن واجبات ولوازم تطهيرات النَّاموس، تلك التي وُضِعَت بسبب ضعف الإنسان وغلظة قلبه.[٨١] فها يسوع يصرِّح بالكمال الذي يطلبه: «أقولُ لكُم: إنْ كانَت تقوَاكُم لا تَفوقُ تَقْوى مُعَلِّميَ الشَّريعَةِ والفِريسيِّينَ، لَن تَدخُلوا مَلكوتَ السَّمَاوَات» (مت ٥: ٢٠).[٨٢]

ترد الإشارة الأوضح عن المِثليَّة الجِنْسيَّة في العهد الجَديد في رسالة ق. بولُس الرَّسول إلى أهل رومية، المدينة التي وصلت فيها أفعال الممارسات الجِنْسيَّة بين المثليِّين حدًّا جعلها مِثالًا صارخًا على انحلال الكيان الإنسانيِّ الذي نتج عن تمرُّد الإنسان على الله والطَّبيعة، أي بسلوكه ضدَّ الغرض الذي قصده الله مِن الجِنْسانيَّة الطَّبيعيَّة. وهنا، ترفض الأرثوذكسيَّة كلَّ تفسيرٍ لهذا المقطع بزعم أنَّ الرَّسول كان مُحقًّا في إدانته ومنعه للأعمال التي «بخلاف الطَّبيعةِ» وهو بعد غير مدرك لـ «حقيقة» كون أناسٍ آخرين هم «بالطَّبيعة» مِثليِّون، ومِن ثمَّ، متى سلكوا بحسب مِثليَّتهم

دليلًا واحدًا في العهد الجديد، ولا في الرَّسائل الرَّسوليَّة، يشير إلى أنَّ ما ورد في ناموس موسى بخصوص السُّلوك الجِنْسيِّ عامةً يتساوى «مِن حيث التَّقنين أو أسباب المنع أو العقوبات» مع تشريعات التَّطهيرات، ولا الختان، ولا محرمات الأكل. والأكثر مِن ذلك، إنَّ العهد الجديد ضيَّق على السُّلوك الجِنْسيِّ أكثر مِن العهد القديم، إذ العهد الجديد هو «تجديدٌ» باستعادة «ما كان في البدء» أيَّ الصَّلاح، الذي بحسب مسرة الله وقصده للإنسانيَّة.

(٨١) راجع (مت ٥: ١٧-٤٨؛ ١٩: ٣-١٢؛ ١ كو ٦: ٩-٢٠؛ أف ٥؛ كو ٣؛ وغيرها ...).

(٨٢) راجع المقطع الكامل في (مت ٥: ١٧-٤٨) المنتهي بـ «فكونوا أنتم كامِلينَ، كما أنَّ أبَاكُم السَّماويَّ كامِلٌ».

«التي خلقهم الله عليها» يسلكون سلوكًا «طبيعيًّا» لا لوم عليهم فيه .. هذا سخف، زعم لا يقبله الإيمان. لم يحدث أنَّ أحدًا، بطول التَّقليد الأرثوذكسيّ، قد فسَّر نصَّ ق. بولُس هكذا، ولن يحدث أن يفسِّره أحدٌ كذلك، لأنَّ الأرثوذكسيَّ الذي يفسِّر، هو مَن يقرأ الكتاب المقدَّس كُلًّا كاملًا غير مُجتَزَئٍ. بل بالعكس، لأنَّ تعليم الكتاب المقدَّس هو هكذا: يحسب وجود المِثليَّة، بين العديد مِن البشر، بميولهم الجِنْسيَّة نحو آخرين مِن نفس جنسهم، برهانًا مِن أقوى البراهين على أنَّ الفساد الذي ألحقته الخطيَّة قد شوَّه الكيان الإنسانيَّ والحياة الإنسانيَّة.

يعلِّم الإنجيل، بحسب التَّفسير التَّقليديِّ الأرثوذكسيِّ، بأنَّ بمرور الوقت، ستزداد الأمور اختلاطًا على الإنسان وصعوبة بالأكثر. ففي إنجيل ق. لوقا، يتساءل يسوع هكذا: «أيَجِد ابنُ الإنسانِ إيمانًا عَلى الأرض يَومَ يَجيءُ؟» (لو ١٨: ٨). فها الطَّبيعة الإنسانيَّة والمجتمع الإنسانيُّ يُظلِمان ويتفكَّكان، عددُ المِثليِّين يزداد، ومعه يتعاظم شذوذ الرَّغبات وانحطاط الأهواء على أشكالٍ شتَّى، هذه تزيد وتزيد. وإذ يتفكَّر الإنسان في هذه القناعة كما قدَّمها وحفظها التَّقليد الأرثوذكسيّ، لن يسعه سوى استحضار نبوءة الأنبا أنطونيوس الكبير، مِن آباء القرن الرَّابع، إذ قال: «سيأتي زمنٌ يصبح البشر فيه مجانين. وإذا رأوا إنسانًا متعقِّلًا، قاموا عليه، قائلين له «أنت مجنون، أنت لست مثلنا»». (٨٣)

(٨٣) قال أيضًا: «الله لا يترك الحروب تعمل في هذا الجِّيل كما كانت تعمل في الأجيال السَّابقة، لأنَّه يعرف أنَّ النَّاس الآن هم مرضى لا يحتملون». الأبُّ أنطونيوس (٢٣).

قال الأبُّ أنطونيوس: «سيأتي وقتٌ يصير فيه البشر مجانين، وعندما يرون إنسانًا عاقلًا، سينهضون عليه قائلين: أنت مجنونٌ. والسَّبب، كونه يختلف عنهم». الأبُّ

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والنَّدم المغبوط

يشدِّد التَّعليم الأرثوذكسيُّ، والقدِّيسون، على ضرورة «النَّدم المغبوط» *(penthos)* الذي يفحص الحياة للتَّوبة وسط هذا العالم السَّاقط. يعلِّم القدِّيسون، وكما يتكرَّر في صلوات الكنيسة وطلباتها، أنَّه بدموعٍ وندمٍ «على الخطيَّة التي في العالم» والخطايا الشَّخصيَّة، والخطايا التي تلحق الأُسرة والأقرباء، ينبغي أن يخلُص الإنسان. كلُّ إنسانٍ يرى مأساة الواقع الإنسانيِّ ويختبر تبعاتها في العالم، لن يجد أمامه إلَّا البُكاء، ويبكي بكاءً كبكاء يسوع، بل يبكي معه، يمتدِحُ الحزانى «طوبىَ لِلحَزَانىَ، لأنَّهُم يُعَزَّونَ» (مت ٥: ٤).

تُعلمنا الكتابات الرسولية عن نوعين من الحزن. الأوَّل الحزن «الذي

أنطونيوس (٢٥).

تنبَّأ الآباء القديِّسون عن الجِّيل الأخير وقالوا: «ماذا عملنا نحن؟» أجاب أحدهم واسمه إسخيريون وقال: «نحن أتممنا وصايا الله» قالوا أيضًا: «والذين بعدنا، ماذا سيفعلون؟» قال: «سيبلغون نصف ما وصلنا إليه». قالوا: «والذين بعدهم، ماذا سيفعلون؟» قال: «في ذلك الجِّيل، لن يكون لهم عملٌ. فالتَّجارب ستأتيهم، والمُجرَّبون مِنهم، يُعتبرون، في ذلك الوقت، أفضل مِنَّا ومِن آبائنا». الأبُّ إسخيريون (١).

راجع أيضًا «الحلبة» للقدِّيس أغناطيوس أسقف بريانتشانينوف. وراجع أيضًا، مِن الكتابات المعاصرة «رسائل إلى الأبناء الرُّوحيِّين» للأبِّ نيكون:

Abbot Nikon, Letters to Spiritual Children (Richfield Springs, NY: Nikodemos Orthodox Publication Society, 1997).

مِن العَالَم» (*tou kosmou lype*) الذي يؤدِّي إلى الموت. هذا الحزن هو حزن الفَشَل في بلوغ الإنسان ما يريده، وما يطلبه لنفسه بحسب أنانيَّته برغبته الخاطئة ليُرضي نفسه. وهذا يشتدُّ جدًّا على الإنسان، متى أُوصِيَ بالجِّهاد ضدَّ شهواته الرديئة معتمدًا على نعمة الله، لا أن يدع ذاته تُستعبَد لشهواته. أمَّا الثَّاني، الحزن «الذي مِن الله» (*kata theon lype*) الذي يؤدِّي إلى التَّوبة التي للحياة، فهذا هو المغبوط والممدوح، لأنَّه حزنٌ على تأثير الخطيَّة في الكيان الإنسانيِّ وإفسادها للحياة الإنسانيَّة.

يسوع هو مثال هذا الحزن المصحوب بحَميَّة الغيرة الإلهيَّة على غِلظة قلب الإنسانِ وعناده، الغلظة التي تدَّعي لنفسها إنَّها لأجل الله، وهي التي تتسلَّط بالنَّاموس بلا تقوى، (راجع مر ٣: ٥، وغيرها ...). وق. بولس أيضًا يحزن ويغير على الذين «فيهِم غَيرُةً لله» ولكنَّهم «عَلى غَيرِ مَعرِفَةٍ صَحِيحَةٍ»، لأنَّهم بجهالتهم يصنعون برَّهم لا برَّ الله، (راجع رو ١٠: ٢-٣).

«أنتَ بذبيحَةٍ لا تُسَرُّ، وبمُحرَقةٍ إذا قدَّمتُها لا ترضَى. ذبيحتي لكَ يا اللهُ روحٌ مُنكَسِرةٌ، والقلبُ المُنكسِرُ المُنسَحِقُ لا تحتَقِرُهُ» (مز ٥١: ١٨-١٩). هذا العدد مِن المزمور الأكثر تكرارًا في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، يؤكِّده شدرخ في صلاته في آتون النَّار، في بابل، هذا الذي ترتِّله الكنيسة ضمن تسبحة الثَّلاث فتية القدِّيسين، في طقس صلاة سحر الفصح.

«لَقَدْ جُعِلْنَا أَيُّهَا الرَّبُّ أَقَلَّ عَدَدًا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ أَذِلاَّءُ فِي كُلِّ الأَرْضِ لأَجْلِ خَطَايَانَا. وَلَيْسَ لَنَا فِي هذَا الزَّمَانِ رَئِيسٌ وَلاَ نَبِيٌّ

وَلاَ قَائِدٌ وَلاَ مُحْرَقَةٌ وَلاَ ذَبِيحَةٌ وَلاَ تَقْدِمَةٌ وَلاَ بَخُورٌ وَلاَ مَوْضِعٌ لِتَقْرِيبِ الْبَوَاكِيرِ أَمَامَكَ، وَلِنَيْلِ رَحْمَتِكَ. وَلكِنْ لاِنْسِحَاقِ نُفُوسِنَا وَتَوَاضُعِ أَرْوَاحِنَا اقْبَلْنَا ... هكَذَا فَلْتَكُنْ ذَبِيحَتُنَا أَمَامَكَ الْيَوْمَ حَتَّى تُرْضِيكَ، فَإِنَّهُ لاَ خِزْيَ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ. إِنَّا نَتَّبِعُكَ الآنَ بِكُلِّ قُلُوبِنَا وَنَتَّقِيكَ وَنَبْتَغِي وَجْهَكَ، فَلاَ تُخْزِنَا بَلْ عَامِلْنَا بِحَسَبِ رَأْفَتِكَ وَكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ، وَأَنْقِذْنَا عَلَى حَسَبِ عَجَائِبِكَ، وَأَعْطِ الْمَجْدَ لاِسْمِكَ أَيُّهَا الرَّبُّ. وَلْيَخْجَلْ جَمِيعُ الَّذِينَ أَرَوْا عَبِيدَكَ الْمَسَاوِئَ، وَلْيَخْزَوْا سَاقِطِينَ عَنْ كُلِّ اقْتِدَارِهِمْ وَلْتُحْطَمْ قُوَّتُهُمْ وَلْيَعْلَمُوا أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الإِلهُ وَحْدَكَ الْمَجِيدُ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ».

«تسبحة الثَّلاثِ فتيةِ القدِّيسين، تَتِمَّةَ سِفرِ دانيال».

هذه هي «صلاة الصَّلوات» صلاة التَّوبة التي بندم القلب أمام الله. وهي صلاةٌ «مسيحيَّةٌ» تليق بمَن يندم على خطاياه، وخطايا العالم، التي يخلصون مِنها في المسيح المصلوب. هذه هي صرخة الباكين على الإنسانيَّة المجروحة، المقبوض عليها في عبوديَّة الشَّهوات الرديئة، شهوات الجِنْس، أكان غيريًّا أم مِثليًّا.(٨٤)

(٨٤) «في السَّاعة التي نترك فيها هذا العالم، لن نُلام، لأنَّنا لم نجترح المعجزات، ولا لأنَّنا لم نتكلَّم باللَّاهوتيات، أو لأنَّنا لم نعاين رؤى إلهيَّةً، بل سنعطي حسابًا لله عن هذه، أنَّنا لم نبكِ، بلا انقطاعٍ، بندمٍ للتَّوبة.» ق. يوحنَّا السُّلَّمي، «السُّلَّم إلى اللهِ» ٧: ٧٠.

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والفرح

يعلِّم التَّقليد الأرثوذكسيُّ بأنَّ النَّدم الذي يُنشئ توبةً يلازمه دومًا فرحٌ لا يُنطَق به.[٨٥] هذا يسميه القدِّيسون «الحُزنَ المُلبِس الفرحَ» (*charopo-ion penthos*).[٨٦] إنَّه فرح الحزن الذي يتأتَّى مِن احتمال الضِّيقات لأجل الحقِّ والصَّلاح، ومِن الحزن على الشَّرِّ الذي في العالم، في ضوء رحمة الله ومحبَّته، (راجع مت ٥: ١٠-١٢). ولذلك، يكتب ق. بولُس موصيًّا المسيحيِّين لا أن ينحصر فرحهم برجاء شركتِهم في مجد الله في المسيح فحسب، بل أن يفرحوا أيضًا في «الآلام التي يقاسونها» لكي يُكمِّلوا بها

(٨٥) يقول ق. يوحنَّا الذهبيُّ الفمِّ عن الحزن الحامل الفرح: «هذا الفرح ليس ضدَّ الحزن، بل مولودٌ مِنه. مَن يبكِ خطاياه «وخطايا العالم» ويقرُّ بها، يفرح. وبقولٍ آخرٍ، يمكننا، بل ينبغي لنا أن نحزن على خطايانا، ونحن بعدُ باقون في الفرحِ في المسيح». عن العظة الـ ١٤ على شرحِ رسالة ق. بولُس الرَّسول إلى أهل فيليبيِّ. وراجع أيضًا:

I. Hausherr, *Penthos: The Doctrine of Compunction in the Christian East* (Kalamazoo, MI: Cistercian Publications, 1982), p. 140.

شدَّد ق. سارافيم ساروفسكي على أن الغرض مِن الحياة الإنسانيَّة هو «اقتناء الرُّوحِ القدسِ» لأنَّ فيه تقتنى الفضائل «المحبَّة، السَّلام، الفرح، طول الأناة، الحكمة، الصَّلاح ... إلخ» والتَّمثُّل بالله، وليست هذه فحسب، بل تُعطى فيه القدرة على أن يرى الإنسان شرَّه، وشرَّ العالم أجمع، ويبقى في سلامٍ ولا يُنتزَع مِنه فرحه بفعل نعمة الله وحسب غنى رحمته.

V. Zander, *St. Seraphim of Sarov* (Crestwood, NY: SVS Press, 1975).

(٨٦) راجع ق. يوحنَّا السُّلَّمي، «السُّلَّمُ إلى اللهِ،» المقالة ٧: ١ - ٧٠.

«ما نَقَصَ مِنْ آلامِ المَسيحِ في سَبيلِ جَسَدِهِ الذي هوَ الكَنيسَةُ» (كو ١: ٢٤).[٨٧]

«فلمّا بَرّرَنا اللهُ بالإيمانِ نَعِمْنا بسلامٍ معَهُ بربّنا يَسوعَ المَسيح، وبه دَخلنا بالإيمانِ إلى هذِهِ النّعمَةِ التي نُقيمُ فيها ونَفْتَخِرُ على رَجاءِ المُشاركَةِ في مجدِ الله، بَلْ نَحنُ نَفتَخِرُ بها في الشدائدِ لعِلمِنا أنّ الشِدّةَ تَلِدُ الصّبْرَ، والصّبرُ اَمتِحانٌ لنا، والامتِحانُ يَلِدُ الرّجاءَ، ورَجاؤُنا لا يُخيبُ، لأنّ اللهَ سكَبَ مَحبّتَهُ في قُلوبِنا بالرّوحِ القُدُسِ الذي وهبَهُ لنا» (رو ٥: ١-٥).[٨٨]

وهؤلاء الذين يتألّمون جرّاء مقاومتهم لدوافعهم الشّرّيرة، الذين يحزنون على ما عملوه مرغمين ومسوقين مِن تلك الشهوات الشّرّيرة، الذين يقاسون الإدانة والتّشهير الذين يكلهما لهما «خاطئون» يدفعهم جنونهم لأن «يرموهم بأوّلَ حجرٍ» .. هؤلاء سيفرحون في كلِّ أتعابهم، وأحزانهم، وآلامهم، سيفرحون لأنَّ في هذه كلّها يتقوّى إيمانهم بيسوع ويثبت وينمو.[٨٩] وسيختبرون في أنفسهم تحقيق وعد المسيح لتلاميذه، الذي أعلنه لهم قبل آلامه: «في هذا العَالَمِ ستُعَانُونَ الشِّدَّةَ، فتَشَجَّعوا. أنا غَلَبتُ العَالَمَ» (يو ١٦: ٣٣).[٩٠]

---

(٨٧) مرّةً سألتُ أستاذ اللّاهوت «سيرجي س. ڤيرهوڤسكوي» الذي تتلمذت عليه، قائلًا: «ما الذي عساه «نَقُصَ» من آلام المسيحِ بالتّحديد، لأجل خلاصنا؟» وأجابني هكذا: «نصيبُنا الشّخصيُّ شركتنا في آلامه».

(٨٨) قارن بـ (١ بط ٤: ١٢-١٩).

(٨٩) قصةُ المرأة التي أُمسِكت في ذات الفعل، كما وردت في (يو ٧: ٥٣-٨: ١١)، تستحضر الصُّورة الأوضح لتصف موقف الإدانة. وهي الصُّورة التي تديننا في تعامُلنا مع الخطيّة عامّةً والخطايا الجنْسيّة بالتّحديد.

(٩٠) في ترجمةٍ أُخرى لهذا العدد: «في العالمِ تتضايقون «الفعل يعني أن يُصاب أحدٌ

والمؤسف في الأمر، هو أنّنا ونحن بعدُ خطأةٌ، بغضِّ النَّظرِ عن توجُّهنا الجِنْسيِّ، لم نختبر في أنفسنا الفرح والسَّلام اللذين في الروح القدس، اللذين يمنحنا الرُّوح إيَّاهما في جهادنا مع المسيح وفيه. هذا لأنّنا لم نُسلِّم للرَّبِّ تسليمًا كاملًا، ولا نسلِّم ذواتنا الحزن المغبوط. نحن نحيا كمَن يعرجُ بين الفرقتين. فتحقُّ فينا كلمة القدِّيسين: كمَن خرج مِن مصرَ، ولم يصل إلى أرض الموعد، نحنُ بعدُ في التِّيه. نحنُ باقون في صحراء تيهنا بائسين وبلا فرحٍ. نحن لم نختبر بعدُ الحقَّ، أي لم نذُق بعدُ الفرح الإلهيَّ الذي يُعطىَ في «الحياة المقدَّسة» وهذه لا نحياها إلَّا متى حملنا صليبَنا دونَ تذمُّرٍ، ليس فقط «نقبلُه» ولو على مضَضٍ، بل نحيا حياة حمل الصليب بقرارٍ واعٍ وقبولٍ حقيقيٍّ.

بشيءٍ، أو يؤتى عليه بمحنةٍ، أو يُضطهد»، ولكن تشجَّعوا، فأنا قد غلبتُ العالمَ» قارن بـ(١ يو ٥: ٤-٥؛ رؤ ٢: ٧، ١١، ١٧، ٢٦؛ ٣: ٥، ١٢، ٢١؛ ٥: ٥؛ ٦: ٢؛ ١٧: ١٤؛ ٢١: ٧، وغيرها ...).

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والصَّداقة

الذين يجاهدون ضدَّ ميولهم المِثليَّة، وهم يفهمون واقع عالمهم فهمًا مسيحيًّا أرثوذكسيًّا، سيسعون، مِثلهم مِثل الغيريِّين، لتكوين أكبر عدد ممكنٍ مِن الصَّداقات مع أناسٍ صالحين متعقِّلين.[٩١] وستكون لهم دوائرهم الخاصَّة مع عددٍ قليلٍ مِن الرِّجال والنِّساء، حيث يتَّخذون بعضهم كإخوتهم (ـهن) وأخواتهم (ـهن) الكبار، وبعضهم أنسباء أو أقارب، هؤلاء هم رفقاء دربهم في مسيرة المحبَّة في المسيح. وسيسعون أيضًا لبناء علاقاتٍ شافيةٍ مع أناسٍ مِن نفس الجِنْس، لكي تتيح لهم بيئة تلك الصَّداقات الآمنة الفرصة للتَّعامُل مع المَشاكل، التي تسبَّبت في تكوين ميولهم وتوجُّهاتهم المثليَّة، والتي ينبغي لها، بل يجب أن تُحَلَّ لأجل شفائهم الوجدانيِّ والرُّوحيِّ.

ويتعيَّن على ذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة الصَّرفة أو الشَّديدة أن يصلُّوا ويجدُّوا في محاولة تكوين صداقاتٍ متينةٍ عميقةٍ أمينةٍ مع أناسٍ مِن نفس جنسهم، مِمَّن لا ولن تتطوَّر بينهم أيَّة علاقاتٍ جنسيَّةٍ. ولسوف يقبلون هذا الجِّهاد، عندما يقبلون أنَّ صدمةً في علاقتهم بـ «الأبِّ أو الأمِّ» أو بشخصٍ بالغ مِن نفس الجنس أثناء طفولتهم المبكرة قد تكون

---

(٩١) راجع:

Paul D. O'Callaghan, *The Feast of Friendship* (Wichita, KS: Eighth Day Press, 2002).

الأب بولس راعي كنيسة ق. جاورجيوس، وتشيتا، بولاية كانساس.

-ضِمن أسبابٍ أُخرى- أحد أسباب تطوُّر توجُّههم المِثليِّ.(٩٢) ومهما كانت الأسباب التي أفضت إلى تطوُّر الميول والتَّوجُّهات الجِنْسيَّة، فإنَّ الأرثوذكسيَّة تؤكِّد على أنَّ الإنسان السَّويَّ المقدَّس في المحبَّة سيبني صداقات مع أناسٍ مِن نفس الجِنْس ومِن الجِنْس الآخر ليتعلَّم فيها كيف يحبُّ وفق كلِّ وصايا الله التي تعلِّم كيف ينبغي للمحبَّة أن تكون. وتؤكِّد الأرثوذكسيَّة أيضًا على أنَّ بعضًا مِن هؤلاء الأصدقاء الرُّوحيِّين يجب

---

(٩٢) تقول إليزابيث موبرلي بأنَّ التَّوجُّه المِثليَّ، بعواطفه ورغباته، ينشأ عن صدمةٍ حادَّةٍ، كشرخٍ نفسيٍّ، في مرحلة الطُّفولةِ المبكِّرة بين الطِّفل وأحد أبويه «باعتبارهم أشخاص بالغين مكلَّفين برعاية الطِّفل» مِن نفس جنس الطِّفل. وهي تُرجِع فشل العلاج النَّفسيِّ في حالات المِثليِّين إلى عدم قدرة المعالج على تمييز منشأ الصَّدمة، وبالتَّبعية تركيز المعالج على التَّعاطي مع المِثليَّة كمشكلةٍ متعلِّقة بالجِنْس الآخر. وهي تنادي بأنَّ ذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة يجب عليهم اتخاذ مشيرٍ «معالج»، مِن نفس الجِنْس، بحيث يمكنهم معا بناء علاقة صداقة تقدم فيها المحبَّة وتُقتبَل. وذلك لتوفر ما غاب ونقص، في مرحلة الطُّفولة، مِن متطلبات النُّموِّ النَّفسيِّ للشَّخص وتطوُّر توجُّهه الجِنْسيِّ على نحوٍ سويٍّ. وهي في ذلك تؤكِّد قناعتها بأنَّ صدمة الطُّفولة، التي سببت التَّوجُّه المِثليَّ، يمكن التَّعرف عليها، والتَّعافي مِنها حتَّى تحقيق الشِّفاء تكميلًا لمسيرة العلاج المناسبة، والمشورة الحكيمة، والصَّلاة التي تقدر في فعلها. وهي ترى أنَّ عليَّ تبنِّي رأيًا أكثر تفاؤلًا، مقابل ما أرى به الأمر مِن قتامةٍ، حيال فائدة العلاج النَّفسيِّ.

وللمزيد، راجع:

E. Moberly, *Homosexuality: A New Christian Ethic* (Cambridge, England: James Clarke & Co and Greenwood, SC: The Attic Press, 1983).

وأيضًا:

E. Moberly, *Psychogenesis: The Early Development of Gender Identity* (London, Boston, Melbourne: Routledge & Kegan Paul Ltd, 1964).

أن يكونوا أكبر سِنًّا، وأكثر حكمةً وتمييزًا لأمور الحياة، مِن الصَّديق ذي التَّوجُّه المِثليِّ.[٩٣]

يشهد تاريخ المسيحيَّة، مبتدئًا مِن الإنجيل، وبدون استثناءٍ، بأنَّ القدِّيسين يتقدَّسون في جماعةٍ. أكثرهم ولد لأبوين تقيِّين. كلُّهم تتلمذوا على آباءٍ أو أمَّهاتٍ روحيِّين. وكان لهم إخوةٌ، شاركوهم حياتهم ورافقوهم في جهادهم، وساندوهم في السِّرِّ والعلن، وكأعمق ما تكون المساندة. وكانت لهم أيضًا صداقاتٌ قويَّةٌ، بالمعنى الحرفيِّ لـ «صديقٍ ألصقَ مِن الأخِّ» بأناسٍ مِن الجِنْسين.[٩٤]

وأيضًا، يشهد تاريخ المسيحيَّة مبتدئًا مِن الإنجيل، وبدون استثناء، بأنَّ القدِّيسين، في صداقاتهم المقدَّسة، لم ينخرطوا في أيِّ ممارسةٍ جنسيَّةٍ، أو اقتران[٩٥] -بغير زواجٍ- مع أحدٍ مِمَّن صادقوهم. فبالرَّغم مِن القرب

---

(٩٣) راجع الشُّروحات عن الصَّداقة في «عن المحبَّة» في الفقرات ٩٢ - ٩٩، للقدِّيس مكسيموس المعترف، مِن قديسي القرن الرَّابع الميلادي.

(٩٤) تتعدَّد أمامنا أمثلة الأُسر المقدَّسة. تبتدئ بأسرة العذراء مريم ويوسف ويسوع، وزكريا وأليصابات ويوحنَّا المعمدان. وأيضًا الآباء الكبادوك، كانوا مِن أُسرٍ مقدَّسة: باسيليوس الكبير، غريغوريوس النيسي، وغريغوريوس اللَّاهوتي، أمثلةٌ أكثر مِن كافية. وتتعدَّد أمامنا أيضًا أمثلة الصَّداقات الرُّوحيَّة المقدَّسة: باسيليوس وغريغوريوس، كاسيان وجيرمانوس، إفثيميوس وثيوكتيستوس، سرجيوس وباخوس، الذهبيُّ الفمِّ وأوليمبيا، سارافيم ساروفسكي والرَّاهبات اللاتي كان يدبِّرهن، نكتاريوس العجائبيُّ والرَّاهبات اللاتي كان يدبِّرهن، هؤلاء في الشَّرق. وفي الغرب، نجد فراسيس الأسيزي وكلير، يوحنَّا الصليب وتريزا، فرانسيس دي ساليس وچين دي شانتال، وغيرهم الكثيرين.

(٩٥) راجع الوصف الوارد في التَّرجمات العربيَّة للرَّجل الذي كانت السَّامرية تعيش معه بـ «الذي أنتِ مَعه» كأفضل وصف لحالة الاقتران بغير زواجٍ، وهو ما ينفيه الأب

الذي قد يصل إلى مرتبة «الحميميَّة» *(intimate bonding)* الذي كان لهم في محبَّتهم بعضهم بعضًا، لم يذكر الإنجيل أو أيَّة سيرةٍ في تاريخ الكنيسة، ولو مِن بعيدٍ، ولا عن استحياءٍ حتَّى، أنَّ أحدًا مِنهم كان له اتِّصالٌ جنسيٌّ بآخرٍ. فداوود ويوناثان، ناعومى وراعوث، سرجيوس وباخوس، باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللَّاهوتي، ويوحنَّا الذهبيُّ الفمِّ وأوليمبيا، هؤلاء لم يُذكَر عنهم شيء باقترانٍ أو باتِّصالٍ جنسيٍّ. وناهيك عن يسوع وتلاميذه «خاصَّته» الذين كان مِنهم «يوحنَّا» الذي كان يسوع يحبُّه، أو يسوع وأليعازر، أو يسوع ومريم المجدليَّة.[٩٦]

هوبكو عن صداقات القدِّيسين. (المُعَرِّب)

(٩٦) لم يذكر الإنجيل أيَّ اتِّصالٍ جنسيٍّ مِن أيِّ نوعٍ بين داوود ويوناثان، بل تكلَّم في ذلك في شأن داوود وبشبع. وللمزيد عن صداقة داوود ويوناثان، راجع العظة الـ ٣٣ مِن «شرح الرِّسالة الثَّانية إلى أهل كورنثوس» للقدِّيس يوحنَّا الذهبيِّ الفمِّ. وأيضًا، نجد ما قاله ق. غريغوريوس اللَّاهوتيُّ في عظة تجنيز باسيليوس الكبير عن صداقتهما إنَّهما كانا «نفسًا واحدةً في جسمين» وقيل الوصف ذاته عن كلٍّ مِن يوحنا كاسيان وجيرمانوس، وعن إفثيميوس الكبير وثيوكتيستوس. حتى أنَّ أستاذ اللَّاهوت «سيرج س. ڤيرهوڤيسكوي» الذي تتلمذت عليه قال عن المحبَّة بين الذهبيِّ الفمِّ والأرملة الشَّمَّاسة أوليمبيا إنَّها كانت المثال الأعظم للمحبَّة المسيحيَّة بطول تاريخ الكنيسة. تعليقٌ على الحاشية: يعدِّد الأبُّ هوبكو هنا صداقات مِن أمثلةِ «إنجيليَّة» يحاول المنادون بقبول المِثليَّة في المسيحيَّة استخدامها كأدلَّةٍ على مباركة المسيحيَّة و«الكتاب المقدَّس» للمِثليَّة. هذه الحُجَج يُطلقها لاهوت المِثليَّة في العالم الغربي، والأبُّ هوبكو هنا يوجِّه للقارئ الغربي. التَّعليق مِن وضع المُعَرِّب.

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والنَّشاط الجِنْسيُّ

يحرص ذوو الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة، مِثل كلِّ النَّاس، على تكوين علاقاتٍ تستوعب جنسانيَّتهم. فلا نجد أيَّ ملمحٍ مِن ملامح الكيان الإنساني والحياة الإنسانيَّة بلا بُعدٍ جنسانيٍّ. ولا نجد نشاطًا مِن الأنشطة الإنسانيَّة دون مكوِّنٍ جنسيٍّ، ولا أستثني مِن ذلك العبادة بكلِّ ممارساتها، ولا الصَّلاة ولا التَّأمُّل. البشر ميَّزوا ذواتهم دومًا كـ رجالٍ أو نساء، واتَّسم سلوكهم أيًّا كان بملمح جنسانيَّتهم سواء كانوا مِثليِّين أم غيريِّين، متزوِّجين أم عُزَّاب، رهبان أم علمانيِّين. والأمر كذلك الآن كما سابقًا، يعتمل المكوِّن الجِنْسيِّ في الكيان البشريِّ مهما كان التَّعبير عنه في الحياة صعبًا أو مؤلمًا أو مُربكًا؛ الأمر هو هو بغضِّ النَّظر عن قوَّة الرَّغبة الجِنْسيَّة أو كبحها؛ الأمر هو هو بغضِّ النَّظر عن مقدار أمانة محبَّتهم لآخر، غيريًّا كان أم مِثليًّا.

تؤكِّد الأرثوذكسيَّة على وجود طرقٍ لائقةٍ للتَّعبير الجِنْسيِّ وللفعل «النَّشاط» الجِنْسيِّ، تنطبق على كلِّ أحدٍ، بلا استثناءاتٍ، على الغيريِّين والمِثليِّين. فمتى حاد أحدٌ عن هذه الطُّرق اللَّائقة، لا يستجلبن على نفسه غضب الله صراحةً، لا بعقوبةٍ مستوجبةٍ، ولا بجزاءٍ يُبرِّئ، إذ أنَّ الله لا يترصَّد للعقاب.(٩٧) لأنَّ هذا الحيود أو الزَّيغان عن الانضباط ينتج

(٩٧) يظن بعض المسيحيِّين أنَّ الثَّمن الذي «دفعه» المسيح على الصَّليب هو ردُّ دين العقوبة التي فرضها الله على الخطاة. أنا مقتنعٌ، وفق المفهوم الأرثوذكسيِّ للإيمان

«قطيعةً» كـأنَّما يحمل «عقوبته» فيه. غيرَ أنَّ هذه النتيجة تُختبَر كـ «عقوبةٍ» إذ هي حالةٌ ضدَّ قصد الله مِن خلق الدَّوافع الجِنْسانيَّة وتوظيفها. ولنا في الأمراض واعتلال الصِّحَّة الذين يتبعان السُّلوك المنحرف مِثالٌ: الآلام النَّفسيَّة وتشوُّش الذِّهن على اختلاف أنواعهما، والتَّوتُّر والمعاناة؛ هذه كُلُّها ردُّ فعلٍ مباشرٍ على غياب المحبَّة. وجديرٌ بنا أن ننتبه لتبعات الخطأ، ولا نفهمها كعقوبةٍ «مِن الخارج - مِن الله» فكما جاء في التَّكوين أنَّ الرَّبَّ لم يقل لآدمَ وحوَّاءَ إنَّهم متى أكلا مِن «شَجَرةِ مَعرفةِ الخَيرِ وَالشَّرِّ» سيقتلهما (هو)، بل بالعكس، أعلمهما بأنَّهما متي أكلا مِن «الشَّجَرةِ» -أو حتى بقول حوَّاء «لمساها»- فسوفَ يموتان، (راجع تك ٢: ١٧؛ ٣: ٣).

المسيحيِّ، بأنَّ الدَّين الذي دفعه المسيح على الصَّليب ليفتدي الخطاة من الموت هو بالأحرى دين البرِّ والمحبَّة الذي يطلبه الله مِن مخلوقاته، والذي فشل البشر جميعًا في إيفائه. وأيضًا، أؤمن بأنَّ الإيمان المسيحيَّ وفقًا للأرثوذكسيَّة لا يعتقد بأنَّ الله يعاقب أي شخص على أيِّ شيءٍ، على الرَّغم مِن أنَّ الرَّبَّ -بالتَّأكيد- يوبِّخ الخطاة في حياتهم الأرضيَّة حتَّى يتوبوا عن خطاياهم قبل أن يقفوا أمام المسيح ساعة مجيئه الثَّاني. والقول بـ «يقفوا أمام المسيح» يعني أنَّ كلَّ إنسانٍ يحاكم أمام رحمة الله، التي تُعطى لجميع الناس في يسوع. لذلك، ما «الجَحيم» إلَّا العقوبة التي يدين بها الخطاة غير التائبين أنفسهم عندما تعذِّبهم شرورهم «مِن» «وَجهِ (أو حضور) الرَّبِّ» الذي يحبهم ويغفر لهم. نلاحظ هنا أيضًا أن عبارة «بعيدًا عن - مُبعدين عن» في ترجمة RSV باللُّغة الإنجليزيَّة في (٢ تس ١: ٩) غير موجودةٍ في النَّصِّ اليونانيِّ الأصليِّ.

تعليقٌ على الحاشية: النَّصُّ في التَّرجمات العربية هو ««سَيُعاقَبونَ بِهَلاكٍ أبَدِيٍّ مِن وَجهِ الرَّبِّ» (٢ تس ١: ٩). وهو ما يتَّفق مع التَّعليم الأرثوذكسيِّ القائل بأنَّ الإنسان تنكشف له ذاته الحقيقيَّة بنور وجه المسيح. وأيضًا، وبحسب إنجيل ق يوحنَّا «وهذِهِ الدّينونَةُ هيَ أنّ النّورَ جاءَ إلى العالَمِ، فأحَبّ النّاسُ الظّلامَ بدلاً مِنَ النّورِ لأنّهُم يَعمَلونَ الشّرّ» (يو ٣: ١٩)، بمعنى أن الإنسان يدين نفسه «أمام» الرَّبِّ - «مِن» وجوده أمام وجه الرَّبِّ. (المُعَرِّب)

وكما سبق وقلنا بتأكيد الأرثوذكسيَّة على أنَّ الاتِّصال الجِنْسيِّ يجب أن يكون وفق قصد الله وفي التزامٍ غير مشروطٍ، وبأمانةٍ كاملةٍ للشريك، وفي زيجةٍ دائمةٍ تؤصِّل لتَّكامُل المحبَّةِ بين الرَّجلِ والمرأة، لتجمع المحبَّةَ النَّقيَّةَ (*agape*) بالصَّداقة (*philia*) بالانجذاب (*storge*)، الذي يكملُ بالرَّغبة (*eros*) في اتحادٍ مقدَّسٍ عفيفٍ لمجد الله. محبَّةٌ كهذه لا يُنشئها الجِنْس وحده. الجِنْس وحده لا يشكِّل حدود ومدى تعريف وتوصيف محبَّةٍ كهذه. الجِنْس وحده لا يضمن بقاء محبَّةٍ كهذه. الجِنْس وحده لا يصون محبَّةً كهذه ولا يكفي لنموِّها. وذلك لأنَّ الاتِّصال الجِنْسيَّ في الزَّواج بين زوجٍ وزوجةٍ ليس إلَّا قِمَّة عمل المحبَّة التَّكامُلي بينهم، هو عملٌ في الرُّوح وبالحقِّ، ويكمل إلى غايته في الرَّبِّ. الاتِّصال الجِنْسيَّ في الزواج بين زوجٍ وزوجةٍ هو جمال وخَتمُ إيمانهما الحقيقي بالمحبَّة في اتحادٍ، بالفكرِ والقلب، اتحادًا سيكتمل في الفرح الأبدي، سيكتمل في فرح الاتِّحاد بالله في المسيح بالرُّوح القدس في الدَّهر الآتي. التصاقٌ كهذا، وفق قصد الله، في الزَّمن الحاضر، هو عربون ومِثال التصاق «اتِّحاد» الإنسانيَّة بالله في الدَّهر الآتي، هذا الذي فيه -كما سبق وعرفنا- يَبطُل كلُّ الجِنْس بين المخلوقات.

وبناءً عليه، الفعل الجِنْسيُّ المعمول بمحبَّة في الزَّواج ليس أقلَّ مِن شركة الكنيسة في الإفخارستيا. متى اكتمل الالتزام بالشَّريك في الزَّواج، التزامًا بتكريس الذَّات للشَّريك، يماثل الاتِّحاد الجِنْسيُّ الشَّركةَ في جسد المسيح ودمِّه في الإفخارستيا المقدَّسة، إلى شركةٍ تبلغ إلى «غفرانٍ للخطايا، وشفاءٍ للنَّفس والجَسد، وحياةٍ أبديَّةٍ» لمَن يشتركُ فيه «باستحقاقٍ» وهو أيضًا «للوقوعَ في دينونةٍ» لمَن يشترك فيه غير مُميِّزٍ لعمل المحبَّة كما بـ «عدم

استحقاقٍ» كـ «مُجرمٍ في زواجِه» ويكون «مُجرمًا في جسدِ الرَّبِّ ودمِّه»(٩٨)

ولا يغِبْ عنَّا، مرَّةً أخرى، أنَّ ما نريد بلوغه، في هذا الفصل، ينطبق بالتَّساوي وبالأولى على الاتِّصال الجِنْسيِّ في الزِّيجات الغيريَّة الرَّسميَّة والمؤسَّسة سرائريًّا في الكنيسة، ولكنَّها تفتقر إلى عمل المحبَّة الإلهيَّة الذي مِن شأنه أن يكمِّلها إلى غايتها. والتَّركيز هنا على الزِّيجات التي لا ينتوي فيها الزَّوجان تفعيل «شركة المحبَّة الزَّواجيَّة» بواسطة إنجاب الأبناء وتنشئتهم، بينما هم قادرون تمامًا على إيفاء التزام إنجاب الأبناء.(٩٩)

---

(٩٨) يقدِّم سِرُّ الزِّيجة في الإيمان الأرثوذكسيِّ الزَّواج كنوعٍ مِن «المعموديَّة» للزَّوجين، الذين قد قبلا معموديَّة الإيمان بالمسيح، ونالا ختم الرُّوح القدس الذي لا ينحَلُّ. يقف الرَّجل والمرأة المزمعان أن يتزوجا قبالة باب الكنيسةِ حيث يتلوان أمام بعضهما نذورهما، ثم يلبسان الخواتم. ثم يؤتى بهما إلى وسط الجَّماعةِ لتوضع على رأسيهما الأكاليل، بعد رفعِ صلواتٍ طويلةٍ مفصَّلةٍ بقراءات مِن الإنجيل، ضراعةً لله لـ «يجمعَ معًا ما لا يُفرِّقهُ إنسانٌ» وذلك على لحنِ فرح (مز ٨: ٥؛ ٢١: ٣-٤). ثم يقرأ على مسامعهما رسالة ق. بولس (أف ٥: ٢١-٣٣)، ثم الإنجيل مِن (يو ٢: ١-١١)، ثم يصلِّيان معًا الصَّلاة الرَّبَّانيَّة، ويشربان مِن كأسٍ واحدةٍ «تلك التي كانت المُناولة بحسبِ الطقس القديم»، ثم يدورون ثلاثَ مرّات حول مائدة «وعلى الأراجح المائدة المقدَّسة نفسها بحسب الطقس القديم» يسبقهم الصَّليب مرفوعًا عاليًا بيدِ الأسقف أو الكاهنِ. وبهذا، وليكتمل لنا التَّشبيه، فكما أنَّ الإنسان المُعَمَّد «أو غير المُعَمَّدِ» غير المكرَّس للمسيح بالإيمان والمحبَّة ليس له أن يشترك في الإفخارستيا المقدَّسة، ومِثل ذاك متى تجاسر وتقدَّم إلى المُناولة، تصير له مُناولته «للدَّينونة»، كذلك أيضًا الإنسان، رجلٌ أو امرأةٌ، غيرُ المتزوِّج «أو المتزوِّج - رسميًّا» غير الامين لشريكه، أمانةً كاملةً شهادةً مِنه لمحبَّته لشريكه، ليس له أن يتقدَّم ليمارس الجِنْس مع شريكه، لأنَّ مِثل ذاك متى تجاسر وتقدَّم إلى شركة الجِنْس، تصير له دينونةً لأنَّه دنَّس ما هو مقدَّسٌ.

(٩٩) لا أشيرُ هنا إلى الأزواجِ غير القادرين على الإنجاب لأسبابٍ خارجةٍ عن مقدرتهم وإرادتهم، ولا حكم لهم عليها. بل أقصد، وبالتَّحديد، الأزواج القادرين على الإنجاب، وهم يمتنعون عن الإنجاب بسبب أنانيَّتهم وأسبابهم المُلتويَّة الخاطئة.

التَّقليد الأرثوذكسيُّ يدين، في قناعاته، كلَّ الممارسات التناسليَّة-الفمويَّة والتناسليَّة-الشَّرجيَّة بكلِّ شكلٍ أو فعلٍ مِن أفعال الاتِّصال الجنْسيِّ، ولا استثناء للأزواج. هذه الممارسات هي انتهاكٌ واستباحةٌ وإساءةٌ للجَّسد، الجَّسد المخلوق لـ «مجد الله» كـ «عضوٍ في جسد المسيح» وليصير «هيكلًا للرُّوح القدس» لأنَّ كلَّ عضوٍّ في الجِّسد مقدَّسٌ، مخلوقٌ لاستخدامٍ مقدَّسٍ، (راجع ١ كو ٦: ٩-٢٠؛ رو ١٢: ١). لذلك، لا يمكن لأفعالٍ كتلك أن ترقي إلى التَّعبير عن عمل المحبَّة الإلهيَّة في الزَّواج.

وأيضًا، يدين التَّقليد الأرثوذكسيُّ العادة السِّريَّة كانتهاكٍ واستباحةٍ واساءةٍ إلى الجَّسد. والإدانة أشدُّ في حالة الأزواج والزَّوجات، هؤلاء الذين أجسادهم ليست لهم «ليتحكموا فيها فيسيئوا إليها» بل لشركائهم، «لا سُلطَةَ لِلمرأةِ على جَسَدِها، فهوَ لِزَوجِها، وكذلِكَ الزَّوجُ لا سُلطَةَ لَه على جَسَدِه، فهو لامرأتِه» (١ كو ٧: ٤).[١٠٠] وإذ ننظرُ في شأن ممارسة العادة السِّريَّة كممارسةٍ قهريَّةٍ «ليس مجرد اكتشاف المرء لجسده، هذا يحدث حتمًا أثناء النُّموِّ» نجدها نتيجةً للشُّعور بألم الوحدة وبؤسها، تلك التي تنشأ بدورها نتيجةً للتَّعرُّض لسلوكٍ مُسيءٍ، كالرفض والنَّبذ، أو

(١٠٠) كان الفصل السَّابع مِن الرِّسالة إلى أهل كورنثوس، الذي يتوجَّه بكلِّيَّته إلى الخضوع المتبادل بين الزَّوج والزَّوجة -بالتَّوازي مع (أف ٥: ٢١-٣٣)- بمثابة تعليمًا أساسيًّا وجذريًّا عن الزَّواج في الكنيسة الأولى. ونلاحظ هنا أيضًا أنَّ التَّفسير -لهذا الفصل مِن الرِّسالة- القائل بأنَّ الرَّسول يضع البتوليَّة فوق الزَّواج، معطيًا إيَّاها كرامةً أكثر استنادًا إلى أسباب روحيَّةٍ لاهوتيَّة، تفسيرٌ غير صحيح، ولكنَّه يصيغ التَّعليم «العمليَّ» عن كلِّ مَن يكرِّس نفسه بالكلِّيَّة للمسيح وللإنجيل، بالأخصِّ في وقت الاضطهاد العنيف والشِّدَّة، إذ كانت «نهايتُه - موته» حاضرةً دومًا. لذلك يحسن للمرء -في هذه الظُّروف- أن يكون أعزبًا عن أن يكون متزوِّجًا.

الاستهانة والاستهزاء، أو التَّهديد والتَّرويع، أو الإساءات البدنيَّة مِن ضربٍ وتحرُّشٍ جنسيٍّ. ويمكن للممارسة القهريَّة أن تنشأ عن التَّدليل والمُبالغة في الإرضاء في التَّربية المصحوب بغياب الانضباط البدنيِّ والعاطفيِّ والروحيِّ. ولا يخفى علينا، بل بالأكثر يجب علينا أن نقرَّ بأنَّ قبول ثقافتنا غير المشروط ولا المقيَّد لممارسة العادة السِّريَّة والتَّشجيع عليها لهو العامل الأكبر أثرًا في انتشار الممارسة. وأيًّا كان السَّبب، ليستَ العادة السِّريَّة ذات نفعٍ لمَن خُلِقوا للمحبَّة الإلهيَّة وعلى صورة الله ومِثاله. ومتى تملَّكت ممارسة العادة السِّريَّة على أحدٍ، تصِر إدمانًا قاهرًا، إدمانًا يعوق الحبَّ الجِنْسيَّ ويعطِّله عمَّا أراد الله له.

ولعلَّنا ندرك الآن كم تؤثِّر إساءات مرحلة الطُّفولة على الحياة بتبعاتٍ لا يمكن تجنُّبها، فمهما كانت أو تباينت، فهي تشكِّل بذاتها تهيئةً للمرء تؤدِّي به الي السُّقوط تحت ضغطٍ قاهرٍ ليوجِّه الإساءة إلى ذاته وينغلق عليها، ومِن ثمَّ اتخاذ توجُّهٍ دفاعيٍّ يعمِّق العزلة والوحدة بالأكثر. ومَن تعرَّضوا مِنَّا في طفولتهم لألمٍ شديدٍ، وبالأخصِّ مِن البالغين الذين وددنا لو أمكنتنا الثِّقةُ بهم والعيش معهم في محبَّةٍ وسعادةٍ، سيميلون إلى استقبال كلَّ نقدٍ أو توجيهٍ لسلوكِهم -بغضِّ النَّظر عن مدى موضوعيَّته وحسن نيَّة مقدِّمه- كهجومٍ عليهم. عندها سينزل سماع الوصيَّة الإلهيَّة إدانةً وحصارًا لا فكاك منه .. الغضبُ مُعلنٌ دومًا، أمَّا الرَّحمة .. الرَّحمة للآخرين. ولا أشدَّ وأثقلَ علينا مِن حضور صلوات الكنيسة، إذ نترجم ثقل الشعور بالإدانة ذلك إلى غضبٍ جامح وحزنٍ لا يُحتمل.[١٠١] ويزداد

(١٠١) يستعير بعض الكُتَّاب الرُّوحيِّين وصف «النَّار» و«الماء» بحسب استخدامهما الإنجيل، ليتكلَّموا عمَّا يتعيَّن على «مُختاريِّ الرَّبِّ» احتماله ليصلوا إلى «الرَّحِبِ» النَّار

علينا ذلك وطأةً، متى ترصَّدنا وقبضنا -بحرقة- على أخطاء الآخرين وإحباطاتهم، وبالأخصِّ أبوينا، أو مَن تولَّى علينا بسُلطةٍ مِن أيِّ نوعٍ، مِمَّن حرمونا محبَّتَهم سابقًا. وأشير لذلك هنا لأنَّ ذوي الميولِ والتَّوجُّهات المِثليَّة محسوبون مع مَن تعرَّضوا مَنًّا إلى الإساءة في الصِّغر، ويشاركوننا غضبنا، وحزننا، وانحسارنا في أنفسنا، ونزوعنا إلى الدِّفاعيَّة واستعداء الآخر بسبب جروحنا.

هي الألم الذي يقاسونه جرَّاء خطاياهم وخطايا الآخرين. والماء هو الدُّموع التي تذرفها عيونهم، حزنًا على آثامهم، في ندم التَّوبة المُلبس الفرح. هذه التي يذهبون بها إلى «الرَّحبِ» أي إلى سلامٍ ثابتٍ ومحبَّةٍ كاملةٍ. وانظر (مز ٦٦) للمزيد مِن الإيضاح.

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والمعرفة الجِنْسيَّة

يُستخدَم الفعل «عَرِفَ» [١٠٢] في الإنجيل في التَّعبير عن الاتِّصال الجِنْسيِّ؛ عندما «يعرف» رجلٌ امرأةً في اتِّحادٍ جنسيٍّ بالجَسد، يتواصلان تواصُلًا كيانيًا عميقًا يؤثر تأثيرًا أبديًّا في كيانيهما وحياتيهما بأعمق ما يكون مِن الأثر - بأثرٍ. وذلك بالقدر الذي دعى ق. بولُسَ ليقول إنَّ مَن التصق بعاهرةٍ يصير معها «**جسدًا واحدًا**» (١ كو ٦: ١٦)، بما يتسبَّب في عواقب لا يمكن التَّراجع عنها أو محوها - وبالرَّغم عن ذلك، يمكن لهما أن يتوبا وأن يُشفيا، كما هو الحال في أيِّ عملٍ مِن أعمال الجَسد الأرضيَّة التُّرابيَّة.

وبالمقابل، «المعرفة» الزَّواجيَّة الجِنْسيَّة، التي وفق قصد الله، لا تتأتَّى إلَّا عندما يتَّصل الرَّجل بزوجته جسديًّا في عملٍ مِن أعمال المحبَّة التي صمَّمَها الله. وبالقياس على ذلك، تصير «معرفةٍ» جنسيَّةٍ «أُخرى» مضادَّةً للمحبَّة والحياة التي بحسب قصد الله. لأنَّها ليست «خبرة المعرفة» التي

---

(١٠٢) «يَداع» (יָדַע) لفظٌ عبريٌّ مرتبطٌ بالعهد، ويقابله في العربيَّة الفعل «عَرَفَ» والمعنى مِن «يَداع» أن يكون المرءُ في عهدٍ مع آخرٍ؛ أن يقال إنَّ أحدًا يعرف آخرًا، يعني وجود علاقة عهد رسميَّةٍ تربط بين الطَّرفين. وبهذا المعنى قال الرَّبُّ لشعبه بفم عاموس النَّبي: «إيَّاكُم وحدَكُم عرفتُ مِنْ بَينِ جميعِ عشائرِ الأرضِ، فلذلِكَ سأُعاقِبُكُم على جميعِ آثامِكُم» (عا ٣: ٢). وعلى نفس القياس، يقول الكتاب: «وعَرفَ آدمُ حَوَّاءَ امرَأَتَه فحَمَلَت» (تك ٤: ١). مونت و. سميث «العهد، رحلة مِن الاغتراب إلى المصالحة» ترجمة: القس. عاطف المرفوض، مراجعة: د. جرجس كامل، مؤسسة جذور للتَّرجمة والنَّشر والتَّوزيع، ٢٠١١. الطَّبعة الأولى، الفصل الأوَّل، صـ ١٥-١٦. الحاشية مِن وضع المُعرِّب.

قصدها الله لمختاريه في الاتِّحاد الجنْسيِّ. ولسوف تؤدِّي هذه «المعرفة» - أكانت غيريَّةً أم مِثليَّةً- حتمًا إلى التَّبرُّم وعدم الاكتفاء، والتَّعاسة والموت روحيًّا وجسديًّا؛ هذه خبرةٌ لا تخلق حياةً جديدةً ولا تُثري الحياة الحاليَّة. هذا، و «الإله» الذي «يُعرَفُ» في معرفةٍ كتلك لن يكون إلَّا «وثنًا» .. دائمًا، لأنَّه إلهٌ مِن تصوراتٍ مخلوقةٍ وخيالاتٍ زائفةٍ.

لا تتأتَّى معرفة الله كـ «الإلهِ الحَقِّ وحدِكَ ويَعرفوا يَسوعَ المَسيحَ الذي أرْسِلْتَهُ» التي، بحسب إنجيل ق. يوحنَّا، تؤول إلى «حياةٍ أبَدِيَّةٍ» (يو ١٧: ٣)، في أيِّ «معرفةٍ جنسيَّةٍ» خارج الزَّواج. معرفة الله تتأتَّى في أنَّ الله يعرفك ويحبَّك أولًا، ثُم في تمثُّل تلك المحبَّة التي أحبَّك بها، والشَّركة في محبَّته لنا ومعرفته إيَّانا. ولنا أن نتشبَّه، فنتمثَّل، ونشارك في هذه المعرفة والمحبَّة الإلهيَّة متى طلبناها مِن كلِّ القلب، حتى في أفعالنا الجِنْسيَّة.[١٠٣] وبهذا، ينطبق المبدأ الرَّسوليُّ بأنَّ في المحبَّة الكاملة سنعرف اللهَ «وجهًا لوجهٍ» (*prosopon pros prosopon*) معرفةً كاملةً، لا «في أجزاء» (*ek merous*).. وأيضًا أنَّنا بالمحبَّة الكاملة سنبلُغ إلى كمال معرفتنا بالله، كما عرفنا قبلًا معرفةً كاملةً، (راجع ١ كو ١٣: ١٢)، انطباقًا تامًّا على المعرفة التي بها نعرف بعضنا بعضًا في المحبَّة الجِنْسيَّة. وأخيرًا، نعيد ثانيةً، بشهادة التَّعليم الأرثوذكسيِّ، أنَّ المعرفة الكاملة العميقة الكيانيَّة التي على قياس

---

(١٠٣) راجع (غل ٤: ٨-٩؛ ١ كو ١٣: ١٢؛ ١ يو ٤: ٧-١٢). وأيضًا، تنطبق القاعدة الإنجيليَّة القائلة بأنَّ «بالكَيلِ الذي تَكِيلونَ بِهِ يُكالُ لَكُم ... كَيلًا ملآنًا مَكبوسًا مَهزوزًا فائِضًا» (لو ٦: ٣٨)، على «العطاء» في الاتِّصال الجِنْسيِّ. ترى الأرثوذكسيَّة أنَّ هذا العطاء المتبادَل لا يمكن إلَّا في زيجةٍ أمينةٍ بين رجلٍ وامرأةٍ مخلصين صادقين المحبَّة.

«وجهًا لوجهٍ» لا تُختبر إلّا في محبّةٍ كاملةٍ، وفي الجِنْس لا ولن تحدث إلّا بين رجلٍ وامرأةٍ زوجين مخلصين إخلاصًا صادقًا ملتزمين تجاه واحدهما الآخر التزامًا أمينًا.

-١٨-

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والأطفال

يمكن للرِّجال والنِّساء مِن ذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة الذين يجاهدون الميول والتَّوجُّهات - يجاهدون حسنًا- الاعتناء بالأطفال وأن يشملوهم بالحبِّ والرعاية. ويمكنهم، كغيرهم، أن يزوروا الأيتام، وأن يتبنُّوا الأطفال الذين تركتهم أُسرهم، أو الأطفال الذين لا تقدر أُسرهم على التَّكفُّل بمتطلبات معيشتهم أو إعالتهم. ويمكنهم استضافة هؤلاء الأطفال في بيوتهم، ليربُّوهم بمحبَّة الله تربيةً حسنةً تغرسُ فيهم قيمة وقوام الأسرة ودفء العائلة. هكذا، بعمل المحبَّة، يعيشون ويتمِّمون التعليم الرَّسولي القائل «فالدِيانَةُ الطّاهِرَةُ النَّقيّةُ عِندَ الله أبينا هِيَ أنْ يَعتَنيَ الإنسانُ بالأيتامِ والأراملِ في ضِيقَتِهِم، وأنْ يَصونَ نَفسَهُ مِنْ دَنَسِ العالَمِ» (يع ١: ٢٧).

لا تبارك ولا تقبل الأرثوذكسيَّة إلَّا لمَن يجاهد حسنًا على قياس مَن «يَصونَ نَفسَهُ مِنْ دَنَسِ العالَمِ» بتربية الأطفال. وأمَّا غير المتزوجين، الذين ينخرطون في ممارساتٍ جنسيَّةٍ، ناهيك عن اشتراكِهم مع أكثر مِن شريكٍ، فلا يجب السَّماح لهم بتبنِّي الأطفال أو برعايتهم. أمَّا بخصوص ذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة الذين يربون الأطفالِ في بيوتِهم، فلا يجب عليهم أن يقدِّموا أنفسهم إلى الأطفال الذين يربُّونهم كـ «آباء وأُمَّهات - كوالدين» وذلك بغضِّ النَّظر عن طبيعة ودرجة الاتِّصال الجِنْسيِّ بينهم

كشركاءٍ.(١٠٤)

وأيضًا، بما إنَّ الإيمان المسيحيَّ الأرثوذكسيَّ يعتبر الأطفال نتاج محبَّةٍ نقيَّةٍ بين أبويهما وفق قصد الله، فهو يعتبر كلَّ حَبَلٍ يتدخَّل فيه طرفٌ آخرٌ غير الأبوين الطَّبيعيِّين (*biological parents*) حَبَلًا ضدَّ مشيئة الله، ولا يخدم قصد المحبَّة الإلهيَّة. وبناءً على هذه القناعة لا يجوز للرِّجال المثليِّين القيام بأيِّ ترتيبٍ أو إجراءٍ يتسبَّبوا به بأن تحبل امرأةٌ مِنهم، بما يُفضي إلى ولادة أطفالٍ. وكذلك أيضًا المِثليَّات، لا يجوز لهنَّ القيام بأيِّ ترتيبٍ أو إجراءٍ ليشاركوا به في ولادةِ أطفالٍ، بأن يحبلن بواسطة تلقيحٍ بحيواناتٍ منويَّةٍ مِن مانحٍ معروفٍ أو مجهولٍ، وبغضِّ النظر عن وسيلة الإخصاب، أكانت بالاتِّصال الجِنْسيِّ الجِّسديِّ أو بغيره. وعلى كلِّ حالٍ، المسيحيِّون الأرثوذكس لا يسعهم إلَّا أن يحبُّوا أولئك الذين يرعون الأطفال، والذين ينجبون الأطفال بهذه الطُّرق أو غيرها، وبلا شكٍّ الأطفال أنفسهم بالأكثر وبالأولى، بالمحبَّة ذاتها التي يؤدُّوها لكلِّ مَن هم في المسيح والرُّوح القدس. وأيضًا، الكهنة والرُّعاة، والخُدَّام الذين في الكنائس، هؤلاء مُلزمون بخدمة الأطفال والذين يرعونهم -أكانوا أبناء أو متبنِّين- بالكلمة وبالأفعال، بحسب كلِّ عمل الكرازة والمحبَّة وبكلِّ ما في مقدورهم.

---

(١٠٤) القصد هنا مِن «فلا يجب عليهم أن يقدِّموا أنفسهم إلى الأطفال الذين يربُّونهم كـ«آباء وأُمَّهاتٍ - كوالدين»». هو أن يحتفظ الطِّفل بمفهوم الأبوَّة والأمومة بما يجعله قادرًا، مُستقبلًا، على الشَّركة في أسرةٍ كأبٍ أو كأمٍّ بحسب قصدِ الله مِن الكيان الأُسري وله. (المُعرِّب)

-١٩-

المِيول والتَّوجُّهات المِثليَّة والحقوق المدنيَّة

يجب ضمان جميع الحقوق المدنيَّة لذوي الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة - بغضِّ النَّظر عمَّا إذا كانوا يقاومون الانخراط في ممارساتٍ جنسيَّةٍ مِثليَّةٍ أم لا- وحقوق الأطفال الذين يتعهَّدونهم بالرِّعاية. ويجب إنفاذ الحقِّ في السَّكن، والعمل، والتَّمتُّع بحماية السُّلطات المدنيَّة، واللُّجوء إلى القضاء، والإعفاءات الضَّريبيَّة، والانتفاع بالخدمات التي تقدِّمها مؤسَّسات المجتمع، وذلك بالتَّساوي مع باقي أفراد المجتمع. ويجب السَّماح لمَن يرغب مِنهم في «الزَّواج المدني» أو «الشَّراكة المنزليَّة» [١٠٥] طلبًا للتمتُّع بحقٍّ مِن الحقوق المدنيَّة التي يكفلها القانون. والأمر يزداد إلحاحًا اليوم، إذ إنَّ أمنهم والأطفال الذين يتعهَّدونهم يعتمد أساسًا على الضَّمان والسَّند القانوني لحقوقهم، وعلى الاعتراف الاجتماعي بهم. وتظهر أوضح ما تظهر أهميَّة الضَّمان القانوني لحقوق المِثليِّين حالة ما إذا حُرِمَ المِثليُّون الذين يعيشون مع شريكٍ مِثليٍ -وبغضِّ النَّظر عن نشاطهم الجِنْسيِّ- حقوقهم المدنيَّة والاعترافَ الاجتماعي بهم، إذ يترجمون هذا الحرمان تعبيرًا عن

(١٠٥) «الشَّراكة المنزليَّة» *(Partnership Domestic)* هي درجة مِن درجات التعايش المشترك والمساكنة بين اثنين غير متزوِّجين مِن بعضهما وكلُّ واحدٍ مِنهما ليس زوجًا أو زوجةً في زواجٍ آخرٍ. بعض البلدان تقنِّن الشَّراكة المنزليَّة وتمتِّعها كوضعٍ قانونيٍّ بحقوقٍ مدنيَّةٍ تقترب من تلك التي للزواج التَّقليدي «أكان غيريًّا أم مِثليًّا» أو تساويها. (المُعرِّب) وللمزيد:

https://www.britannica.com/topic/domestic-partnership

كراهيَّة المجتمع لهم وازدرائه بهم وبأُسَرِهم.[١٠٦]

أقول هذا وأنا على يقينٍ بأنَّ الله يوصي المؤمنين به بضمان الحقوق المدنيَّة لمَن لا يؤمنون به، أو لمَن يسلكون ضِدَّ مشيئته، (راجع لو ٦: ٢٧-٣٨؛ رو ١٢: ١٤-٢١). لذا يشهد التَّقليد الأرثوذكسيُّ وتعاليم القدِّيسين، وبالإجماع، على وجوب عمل المحبَّة للكلِّ، وتحقيق العدل لكل أحدٍ، دون شرطٍ أو تمييزٍ. وحتَّى إذا رفض أخٌ أو أختٌ مِن «جماعة المؤمنين» أن «يسمَعَ لِلكَنيسَةِ» يُحسَب، وبأمر المسيح، كـ «الوثنيِّ والعشَّار»، ولكنَّه يُعامَل أيضًا بحسب الوصيَّة، فيُعطَ طعامًا متى جاع، ويُسقَ متى عطش، ويُكسَ متى وجِدَ عُريانًا، ويُقبَل في ضيافةٍ متى كان غريبًا أو بلا مأوى، ويُسأل عنه متى مَرِضَ أو سُجِنَ، (راجع مت ١٨: ١٥-٢٠؛ ١٢: ٣١-٤٦)؛ يُعامَل هذا الأخُ بعدلٍ، وكما يليق في كلِّ شيءٍ، ولا يُحرَم حقًّا أو حمايةً أو منفعةً مِمَّا يتمتَّع به غيره في المجتمع ووفق القانون. وكون الكنيسة لا تقبل هذا الأخَّ في شركة الإفخارستيا - إلى أن يتوب، لا يعني أنَّ الكنيسة تكرهه أو تشينه أو تعامله بلا محبَّةٍ على أيِّ وجهٍ كان. القانون الرَّسوليُّ للكنيسة واضحٌ في هذا الأمر: «لا تدَعِ الشَّرَّ يَغلِبُكَ، بل اَغلِبِ

(١٠٦) طرحت شارون أندروود هذا الأمر بوضوح في مقالة الافتتاحية في أحد أعداد جريدة *Valley News of Lebanon, NH* إبَّان احتدام الجدل حول «الزواج المدني» (*unions civil*) و «زواج المِثليين» (*marriage gay*) في ولاية ڤيرمونت. وعلى كلِّ مَن يهتم بالمِثليَّة الاصغاء لصوت «شارون» كأُمٍّ لِمثليٍّ، ولآخرينَ وأُخرياتٍ معها، وبالأخصِّ عضو مجلسِ الشُّيوخِ «بيل ليبرت» العضو عن ولاية ڤيرمونت. وقد أورد «داڤيد مواط» خطاب «شارون» وشهادة «بيل» في كتابه:
Civil Wars: *A Battle for Gay Marriage* (Harcourt, 2004), pp. 213-218, 252-253

الشَّرَّ بالخَيرِ» (رو ١٢: ٢١). فالكنيسة، هكذا، تتمثَّل صلاة المسيح في البستان، وهو عتيدٌ أن يتألَّم، إذ طلب إلى أبيه ألَّا يأخذ تلاميذه مِن العالم، بل أن يحفظهم مِن الشِّريرِ. (راجع يو ١٧: ١٥).

لا يحقُّ للكنيسة أن تكرز بإنجيل الله، في يسوع المسيح، وهي لا تحبّ بالقول وبالعمل، (راجع ١ يو ٣: ١٨)؛ لا كرازة بلا محبَّةٍ حقيقيةٍ. ولا يحقَّ للكنيسة أن تعلِّم مَن لا تقبلهم، مَن تحسبهم غير جديرين بالاحترام، وهم مكرَّمون كمخلوقين على صورة الله، وهي بعد تحسبهم غير نائلين الخلاص معها في العالم الذي أحبَّه الله، والذي بذل المسيح حياته لأجله. بل دعوة الكنيسة الحقيقيَّة، وبكلِّ مؤمنيها، مع المسيح، والقدِّيسة مريم أُمِّه، والقدِّيسين، هي أن تتشفَّع أمام الله عن العالم، عنَ «الكُلِّ ولأجلِ الكُلِّ» (١٠٧) لأنَّ أنبل عملٍ يعمله المسيحيِّين هو أن يقفوا أمام الله ضارعين مِن أجل كلِّ أحدٍ وكلِّ شيءٍ، في كلِّ مكانٍ وكلِّ زمانٍ. ونحن الأرثوذكس، نحقِّق هذه الدَّعوة الإلهيَّة كلَّ مرَّةٍ نشترك في اللِّيتورجيَّا الإلهيَّة. ولكن، لنتنبه، لئلَّا نسقط في دينونةٍ أمام الرَّبِّ، متى وقفنا للشفاعة عن العالم، ونحن بعد ننكر تساوي الجَّميع في حقوقهم المدنيَّة، وبالأخصِّ مِن جهة أولئك الذين يكرهوننا ويحتقرون إيماننا إلى حدِّ التَّعيير والسُّخرية.

وإذا كنَّا نقرُّ ونعترف للجَّميع بحقوقهم المدنيَّة، ودون تمييزٍ، فحن كأرثوذكس، لا نقبل اقتران المِثليِّين إلى زواجٍ يدَّعي المساواة بالزواج بين

(١٠٧) تقدمة الخبزِ والخمر التي تتقدَّس وتتحوَّل إلى جسد المسيحِ ودمِّه، تلك التي نرفعها ذبيحةً إلى الله على مائدة الإفخارستيا، نقدِّمها «عن كُلِّ شيءٍ ومن أجلِ الكُلِّ» كما نصلي في ليتورجيا ق. يوحنَّا الذهبيِّ الفمِّ.

الرَّجل والمرأة. وإذا اعترف القانون المدني بمِثل هذا الاقتران كـ «زواجٍ» نقبل به مِن جهة القانون لا مِن جهة الكنيسة، كما نقبل بقوانين للطَّلاق، وإعادة التَّزويج، والإجهاض، لأنَّ الكنيسة لا تقبل بهذه الممارسات المسيئة لكرامة الكيان الإنساني والحياة الإنسانيَّة.(١٠٨) مرَّةً أُخرى، لا يمكن تعريف الاقتران المِثلي كـ «زواجٍ» إلَّا قانونيًا واجتماعيًا، بحيث يكتسب صفةً قانونيةً لتحقيق أغراضٍ عمليَّةٍ بعينها. وواقع الأمر إنَّ تقنين الاقتران المِثلي «زواجًا» قد دفع به أُناسٌ فقدوا حِسَّهم الإنساني الفطري تمامًا مِن جهة الكيان والسُّلوك الإنساني! أمَّا المسيحيُّون، فهم يدركون إنَّ هذا الحِسَّ الفطري بكرامة الكيان الإنساني متجذِّرٌ في قلب الإنسان، والتي يشهد لها الكتاب المقدَّس، والتي تحقَّقت بكاملها وإلى غايتها والقصد مِنها في شخص المسيح يسوع.(١٠٩)

اللَّفظ يبقى لفظًا، ومهما حمل مِن معنى، يبقى نسبيًّا. لذلك، يدفع بعض الأرثوذكس بأن الجِّدال حول تسمية اقتران المِثليِّين «زواجًا» لا نفع مِنه، بل جدلٌ عقيمٌ -ولو ذهب إلى طاولات التَّشريع- ومعركةٌ خاسرةٌ، ومِن شأنه أن يُضعِف موقفهم بالأكثر على أقلِّ تقديرٍ. ولعلَّ ذلك الموقف يرجِع أولًا إلى أنَّ أكثر الزِّيجات بين الرِّجال والنِّساء، مِمَّن يدعون أنفسهم مسيحيِّين، وأرثوذكس حتَّى، زيجاتٌ تبتعد عمَّا يجب لها

(١٠٨) العدل مع المختلفين والموقف الأمين مِنهم لا يعني قبول اختلافهم، بل يعني قبولهم هم أنفسهم، لئلَّا تضيع فرصة توبتهم واستعادتهم، وذلك وفق توجُّه الأب هوبكو بطول الكتاب. (المُعرِّب)

(١٠٩) تتجدَّد الإشارة إلى كتابِ سي. إس. لويس في مُجمله، راجع:

C. S. Lewis, *The Abolition of Man*.

أن تكون لدرجة أنها بالكاد «مسيحيَّةٌ» وثانيًا، إلى اختزال أيِّ اعتراضٍ أو تحفظٍ على تسمية الاقتران المِثلي «زواجًا» إلى صورةٍ متطرِّفةٍ مِن تصدير الكراهية، كما أشرنا سابقًا.

فليكن إذن «زواجًا قانونيًا»، ولكن تبقى القناعة الأرثوذكسيَّة بأنَّ الزَّواج الآن، كما كان مُنذ البدء، اتِّحادٌ، يتَّخِذ فيه الرَّجل امرأةً واحدةً، ويصيران «جسدًا واحدًا» بشركتهما معًا في الرَّبِّ. لأنَّ زواج شركة الاتحاد في جسدٍ واحدٍ في الرَّبِّ هو التَّعبير الأكمل عن تكامليَّة الكيان الإنساني،[١١٠] في فعل شركةٍ بين التَّباين الذِّكوري والأُنثوي في المحبَّة الإلهيَّة. وهو موضوعٌ أيضًا للإثمار بالنَّسل، وتنشئة أُسرٍ، وخلاص أنفسٍ، وخدمة القريب «الصَّديق والعدوِّ»، تقديسًا للعالم. فالزَّواج، وقبلَ كلِّ شيءٍ، وفوق كلِّ اعتبارٍ، هو تمجيدٌ لله الخالق المخلِّص والذي يقدِّس كلَّ الخليقة في المسيح بالرُّوح القدس.

وهنا يجب التَّشديد على أنَّ طقس «الأُخوَّة الرُّوحيَّة» الذي تمارسه الكنيسة الأرثوذكسيَّة -الذي فيه يتَّخذ رجلٌ رجلًا صديقًا ويُحسَبُ كشقيقه، أو امرأةٌ امرأةً صديقةً وتُحسَبُ كشقيقتِها، أو رجلٌ امرأةً في أخوَّةٍ وتُحسَبُ كشقيقته، مِمَّن ليسوا إخوةً بالجَّسد، أو كإخوة غير أشقاء- المعروف بـ «أديلفوبويا» *(adelphopoiesis)* ليس له أيَّة علاقةٍ بالاقتران المِثلي، ولا هو تطقيسًا لزواج المِثليِّين، فهو يختلف كلِّيَّةً عن الزَّواج والمِثليَّة. الأخوَّة الرُّوحيَّة طقسٌ تمارسه الكنيسة متى أراد شخصان،

(١١٠) «ذكرًا وأُنثى خلقَهم، باركَهم، وأسماهم إنسانًا «آدمَ» يومَ خُلِقا» (تك ٥: ٢ الترجمة العربية اليسوعية - الكاثوليكية).

مِن نفس الجِنْس أو مختلفي الجِنْس، أن يرتبطا رسميًا وعلنيًا، أمام جماعة الكنيسة، رباطًا روحيًا مساوٍ لأُخوَّة القرابة. وكان يُمارَس لأغراضٍ قانونيَّةٍ أو عمليَّةٍ، وهو يُمارَسُ إلى الآن في بعض الكنائس الأرثوذكسيَّة، وإن كان غير شائعٍ. مَن يتَّخذ «أخًا أو أُختًا» لَا يتزوَّج به أو بها، إذ قد يكون أحدُهما أو كلاهُما أزواجًا وزوجات لآخرين. وعليه، لا سماح في هذا الطَّقس بأيِّ اتصالٍ جنسيٍّ «بينَ أخوين» بأيِّ شكلٍ كان.(١١١)

(١١١) للمزيد عن طقسِ الأخوَّةِ الرُّوحيَّة، راجع:

Peter Drobac, *Christian Friendship and Adelphopoiesis*, unpublished Master of Divinity thesis (St. Vladimir's Orthodox Theological Seminary, Crestwood, NY, 2004).

Robin Darling Young, "Gay Marriage: Reimagining Church History," *First Things* 47 (1994): 43-48.

-٢٠-

المِيول والتَّوجُّهات المِثليَّة والموت

تسبَّب انتشار وباء نقص المناعة المكتسبة «إيدز» في موت ملايين النِّساء والرِّجال والأطفال. أكثرهم مَن انتقل إليهم بالاتِّصال الجِنْسيِّ، أغيريٌ كان أم مِثليٌ. هذا الانتشار بتبعاته يقدِّمه بعض المفسِّرين المسيحيِّين «وغير المسيحيِّين» كمثالٍ على أن مَن «أكلَ مِن شجرةِ معرفةِ الخيرِ والشَّرِّ» جلب الموت على نفسه جزاءً على كسر وصيَّة الله ومُخالفة الطَّبيعة. ومهما كانت الرؤية وما يتبعها مِن تفاسير، مِن جهة ما إذا كانت الإصابة بالإيدز نتيجةً أو عقوبةً، فلا جدال حول ارتباط انتشار الإصابة بالإيدز بالنَّشاط الجنِّسيِّ، وبالأخصِّ الممارسات الفمويَّة والشَّرجيَّة بين الرِّجال المِثليِّين. وهنا تلحُّ علينا الحاجة إلى تفسيرٍ مسيحيٍّ يتعرَّض لارتباط انتشار الإصابة بالإيدز بالمُمارسات الجِنْسيَّة.

يتَّفق بعض دُعاة لاهوت المِثليَّة حديث النَّشأة مع نُقَّاده على لوم هذا اللَّاهوت على فشله في التَّعاطي المناسب والكافي مع ظاهرة انتشار الإيدز مِن ناحيةٍ، والعنف الذي يتعرَّض له المِثليُّون مِن ناحيةٍ أخرى. ويذهبون حتى إلى الادِّعاء بأن مفكري المِثليَّة، عند تعرُّضهم لقضيَّة الموت بالبحث، تخرج معالجاتهم هزيلةً وتتعامل مع قضيَّةٍ مصيريَّةٍ بسطحيَّةٍ تفتقر إلى الاقناع، ولا تسهم ولو بقليلٍ في حياة النَّاس الحقيقيِّين.[١١٢]

(112) Elizabeth Stuart, *Gay and Lesbian Theologies*, pp. 65-77.

يجب على المسيحيِّين الأرثوذكس، وهم يقدِّمون ما يقدِّمون عن رؤيتهم لسبب تفشِّي الإيدز وتصاعُد العنف الموجَّه نحو المِثليِّين مِن الرِّجال والمِثليَّات مِن النِّساء، العنف الآتي أكثره مِن قِبَل أُناسٍ يدعون أنفسهم مسيحيِّين، أن يضيفوا هذا المرض الخطير ومعه الجَّرائم المُرتكبَة ضدَّ المِثليِّين إلى القائمة الطَّويلة التي ترتصف فيها شرور عالمنا المعاصر المميتة. يجب عليهم الانتباه إلى هذه الفظائع، والتَّصدِّي لها بشجاعةٍ وأمانةٍ أكثر مِن التي يواجهونها به الآن.[١١٣] والقول بـ «يجب عليهم» يعني ألَّا يفشل المسيحيِّون الأمناء في المهمَّة الموضوعة عليهم بالتَّصدِّي للعنف والموت، وإلَّا صار «إيمانهم» بقيامة المسيح وغلبته على الظُّلم موضع استهجانٍ، بل إدانةٍ لهم، كأنّ يصير إيمانهم بهذا كلِّه لا أكثر مِن مجرَّد ادِّعاءٍ.

تؤمن الأرثوذكسيَّة بأنَّ الإنسان خُلِقَ قابلًا للخلود. وقد فشل الإنسان في تفعيل دعوته إلى الخلود بانفصاله عن الشَّركة مع الله، وقطعه لذاته عن مصدر حياته وسبب سعادته. ومِن جهة الطَّبيعة، فالإنسان قد فقدَ سيادته عليها بتمرُّده على الله، وانعكس الأمر، فصار الإنسان تحت تأثير قِوى الطَّبيعة الغاشمة. وهكذا، صارت «القوى الطَّبيعيَّة» المدعوَّة زعمًا وتقُّولًا «أعمالَ الله» كالأعاصير والفيضانات وموجات المدِّ العملاقة،

(١١٣) أرى أنَّ بحث أمر الموت يتطلَّب انتباها جادًا مِن الأرثوذكسيَّة المعاصرة، وخصوصًا في الغرب، حيث يبدو كما لو أنَّ أكثر أعضاء الكنيسة «وثنيِّون» قبلَ موت أحدٍ ما، ويتحوَّلون «فلاسفةً أفلاطونيِّين» بعد مماته. أعني بقولي هذا ما يرجونه مِن الكنيسة بأن تُبقي النَّاس على قيد الحياة، وموفوري الصِّحَّة، وسعداء طالما أمكن، ثمَّ يطالبون الكنيسة بأن تضمن لأولئك خلودَ أرواحهم في «حالٍ أفضل، ينعمون في نعيم السَّماوات» بغضِّ النَّظر عن حياتهم كيف عاشوها وما عملوه فيها.

التي تجلب الدَّمار الشَّامل والموت على الإنسان، مسؤوليَّة الإنسان، لأنَّه لم يضطلع بممارسة سلطان السِّيادة على الطَّبيعة الذي أعطي له، فخرجت قِواها غاشمةً بلا ضابطٍ. وجملة القول في هذا الشَّأن إنَّ فشل الإنسان في السِّيادة على الطبيعةِ وإدارة قِواها وتوجيهها نحو الصَّلاح -ناهيك عمَّا يتسبَّب به اعتداء الإنسان على الطَّبيعة مِن تدميرٍ وإفسادٍ للطَّبيعة- يتحوَّل عليه معاناةً وينتهي به إلى الموت.

تضعنا رؤية الأمر على هذا النَّحو أمام موقِف الله، الذي يتدخَّل مباشرةً في مجريات الأحداث كمُرَبٍّ مؤدِّبٍ، إذ تُحسب «أعماله» مهيبةً وهي أعمال رحمةٍ، لأنه كمُرَبٍّ يُدرِك حاجة الخليقة، الإنسان والطَّبيعة، إلى الخلاص والانعتاق مِن الفساد. الأرواح ليست خالدةً بالطَّبيعة، إذ هي مخلوقةٌ. وأيضًا، ليس مِن عالم روحيٍّ يدخله الإنسان بعبور الموت ليضمن لروحه الخلود، مهما كان نبيلًا أو عاش حياة المحبَّة؛ الموت شرٌّ لا خيرٌ في حدِّ ذاته، وق. بولُس وصفه بـ «العدوِّ الأخيرِ» الذي يُبطَلُ. (١ كو ١٥: ٢٦). إلَّا إنَّ «المحبَّةَ قويَّةٌ كالموتِ» كما يصفها الكتاب المقدَّس، (راجع نش ٨: ٦)، ولكنَّ المحبَّة الإنسانيَّة تحتاج التَّنقية والتَّطهير والخلاص، مِن قِبَل الله الذي هو «محبَّةٌ» لتقتدر أن تقوى على الموت وتبلغ إلى خلودها الذي خُلِقَت له.

ونخلُص مِن هذا إلى أنَّ الرُّؤية المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة لا ردَّ لها على الموت إلَّا المسيح يسوع، آدم الجَّديد الحقيقي والباقي إلى الأبد. فهو وحده مَن يغلب قِوى الشَّرِّ التي أفسدت الطَّبيعة. وهو مَن يغلب الموتَ. وهو وحده مَن يتسلَّط على الطَّبيعة بالصَّلاح، «يُفَلِّحُها» ويقود قِواها

إلى الصَّلاح والإيجابيَّة، فيقدِّسها بكلِّيَّتها. وهو قد مارس هذا السُّلطان، ولكن على عكس كلِّ توقُّعٍ، بقبول الموت على الصَّليب، في عمل محبَّةٍ كاملةٍ لله أبيه وللإنسان أخيه. موته حوَّل «أُجرَةَ الخطيَّةِ» وهي «المَوتَ» إلى خلاصٍ وانفكاكٍ مِن الفساد إلى الحياةِ الأبديَّة، (راجع رو ٦: ٢٠-٢٣). هذا هو الإيمان المسيحيُّ الذي تقدِّمه الأرثوذكسيَّة سبيلًا وحيدًا لفهم الموت مع تبعاته المأساويَّة فيما يتعلَّق بالمِثليَّة خصوصًا، والجِنْسانيَّة عمومًا.

-٢١-

المِيول والتَّوجُّهات المِثليَّه واللَّاهوت

صارت المباحث الأنثروبولوجيَّة، ولا سيَّما المهتمَّة بالجنْسانيَّة والجِّندريَّة، مِن ركائز تقديم التَّخريج اللَّاهوتي للمسيحيِّين في مجتمعنا المعاصر، مجتمع ما بعد الحداثة. فلا نجد كاتبًا أو متكلِّمًا معاصرًا يقدِّم تعليمًا، أكان عن المسيح، أو الله، أو الإنجيل، أو اللِّيتورجيا، أو الأخلاق، أو الرُّوحانيَّة إلَّا ويتعرَّض إلى مباحث الأنثروبولوجيا ويعرض لها. فلذلك، أرى أنَّ تعاطي المسيحيِّين المعاصرين مع الأنثروبولوجيا يردِّد صدى تعاطي الأوائل مع الغنوسيَّة في وقتهم، وكما تردَّد صدى جدالات الكنيسة ودفاعاتها عن شخص المسيح وطبيعته ومشيئته وعمله بالنِّسبة للمسيحيِّين الحقبة اللَّاحقة مِن تاريخ المسيحيَّة.(١١٤)

إنَّ تقديم «قانون الإيمان» المسيحيِّ وشرحه هما مهمَّة اللَّاهوت الأرثوذكسيِّ وشغله الشاغل، مشهودًا له مِن الإنجيل، بحسب بشارة العهد الجَّديد، التي تفسِّر العهد القديم في ضوء المسيح. لذا يلزم للَّاهوت المستقيم أن يكون مُلِمًّا بمقاصد كتابة النَّصِّ المقدَّس بخلفياته اللُّغويَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، لكي يتمكَّن مِن تقديمه تقديمًا معاصرًا مشروحًا قابلًا للتَّطبيق ومتمثِّلًا التَّقليد المقدَّس -التَّقليد، وليست التَّقاليد؛ لدينا

(١١٤) تؤمن الأرثوذكسيَّة إيمانًا راسخًا مؤسِّسًا بأنَّ يسوع المسيح هو ابن الله، الكلمة المُساوي لله في الجَّوهر، إلهٌ مساوٍ للهِ الآب أبيه. وأنَّ الله الكلمة تجسَّد إنسانًا كامل الإنسانيَّة، شابهنا في كلِّ شيءٍ خلا الخطيَّة وحدها. وهكذا اعتُرِفَ بيسوع شخصًا واحدًا بطبيعتين وإرادتين وفعلين: إنسانيَّة وإلهيَّة.

تقليدٌ واحدٌ. وليست للكنيسة «شهادةُ إيمانٍ» رسميَّةً سوى اللّيتورجيا، بصلواتها وألحانها، وأيقوناتها، وطقوسها، شهادةً حيَّةً لقوانين المجامع المسكونيَّة المقبولة في الأرثوذكسيَّة. وهي أيضًا شهادةٌ لسيرة القدّيسين المُعترَف بقداستهم، ولكن ليس لكلِّ قولٍ أو عملٍ، بل للأساس الذي بنوا عليه حياتهم وجهادهم وتعليمهم: حياة القدّيسين التي نشهد لها، وتعليم القدّيسين الذي نعترف به، وجهاد القدّيسن الذي نمتدحه.

وإن قلنا بالتَّقليد، فلا خلاف على إيمان الأرثوذكسيَّة بالتَّواصُل الحيويِّ بين الإيمان النَّظري (منطوق القوانين والاعترافات الإيمانيَّة) والحياة الواقعيَّة للإنسان المؤمن. وعليه، لا تُعارِض الأرثوذكسيَّةُ الخبرةَ الإنسانيَّة، بما فيها الخبرة الجِنْسيَّة، بعكس ما يتقَّول به المُدَّعون على الأرثوذكسيَّة. بهذا تُشَكِّل الرؤية اللَّاهوتيَّة الأرثوذكسيَّة للإنجيل وللتَّقليد الخبرة المُعاشة التي هي بذاتها عنصرٌ جوهريٌّ في تكوين الرُّؤية اللَّاهوتيَّة.

تؤمن الأرثوذكسيَّة بأنَّ لا انفصال بين الثاؤريا «الرؤيا - الاستنارة» والبراكسيس «الأعمال - الخبرة»، إذ يتحدان في تواصلٍ؛ لا تُذكَر الواحدةُ مِنهما دون الأخرى إلَّا للتَّمييز بينهما، لا للفصل أو التَّقسيم. وإذ تؤمن الأرثوذكسيَّة أيضًا بأنَّ الرؤيا والخبرة الإنسانيَّتين قد تشوَّهتا وفسدتا بفعل الخطيَّة، ولزمَهما التَّقديس الإلهي ليُستعادا إلى صحيحهما -كما سبق وأوضحنا، في الفصل الثالث مِن الكتاب، «الخبرة ثلاثيَّة الأبعاد»- كمكوِّنٍ أساسيٍّ في الرؤياَ والخبرة التي تقدِّمها المسيحيَّة فهمًا وتعليمًا وشهادةَ حياةٍ. وبناءً على ما سبقَ، سيظلُّ المؤمن الأرثوذكسيُّ، كما كان،

مقدِّرًا للخبرة الإنسانيَّة ومحتاطًا مِنها، إذ يفنِّد الخبرة الإنسانيَّة ملتزمًا الحذر، يقيسها قياسًا أمينًا على التَّقليد، ليتَّخذ موقفًا يتناسب وحساسيَّة المهمَّة الموضوعة عليه في ضوء الشَّركة الفعَّالة في السَّرائر والخبرة الرُّوحيَّة في جسد «جماعة المؤمنين».

ولكن، لماذا القياس على التَّقليد؟ لأنَّ الإنسان يميل إلى تبرير ما يستحسنه لنفسه، ولاسيَّما في حالة الإنسانيَّة الحاليَّة، مِن أغراضٍ وضلالاتٍ وأوهامٍ. لذلك يقيس المسيحيُّون خبرتهم الشخصيَّة، بما فيها مِن خبرةٍ جنسيَّة، على خبرة الكنيسة ككلٍّ، مُبتدئين بخبرة الرَّبِّ يسوع المسيح المُسجَّلة في الإنجيل، ثمَّ على خبرة الرُّسُل والشُّهداء والقدِّيسين الذين يحفُل بهم تاريخ الكنيسة. المسيحيُّون لا يتَّبعون هواهم، ولا ميل قلوبهم، ولا يُسلِّمون لثقل جسدهم، بل بالعكس، يُبقون في وعيهم الإرادة الحاضرة ليقوِّموا فِكرَهم، وينقُّوا قلوبهم، ويضبطوا جسدهم كما يليق بـ «أعضاءِ جسدِ المسيح»، طالبين دومًا أن يقتنوا لأنفسهم «فِكرَ المسيحِ» و«روحَ الله» (راجع ١ كو ٢: ٩-١٦؛ ٦: ١٥-٢٠)[١١٥]

أمَّا مِن جهة العلم، فإنَّ القياس على التَّقليد وخبرة الكنيسة يسري عليه دون استثناءٍ. ولا مزايدة أو تخوُّف على المنطق أو العقلنة، إذ في الإيمان الأرثوذكسيِّ لا تُضاد حقيقةٌ -أكانت علميَّةً، أدبيَّةً، ماديَّةً، غير ماديَّةٍ، حرفًا أو روحًا- الحقيقة المسيحيَّة، بل بالعكس، لا توجد لدي

(١١٥) راجع حوار القدِّيس سارافيم ساروفسكي مع نيكولاي موتوفيلوف في:
Treasury of Russian Spirituality, George Fedotov, ed. (London: Sheed and Ward, 1952), pp. 265-279.

الأرثوذكسيَّة حقيقةٌ «مسيحيَّةٌ» منفصلةٌ عن أي نوعٍ آخرٍ مِن الحقائق؛ الحقُّ حقٌّ، كلٌّ واحدٌ، لا اجتزاءَ فيه، ولا خلاف فيه لأحدٍ مع آخرٍ، بل واحدٌ عند كلِّ أحدٍ. وهكذا لا تقتصر الرؤيا على استعلان الله، بل تستعلن كلَّ شيءٍ في الخليقة. والخليقة بدورها تستعلن الله الذي أنشأها، إذ هي تشهد عن أعمال الله في العالم. لذا، يسمح لنا هذا الإيمان بأن نُخضِع معرفتنا اللَّاهوتيَّة عن الله، ومعرفتنا العلميَّة عن الخليقة، لخبرة الكنيسة، قياسًا وضبطًا على ما تؤمن به مِن جهة اتحاد الله بالإنسانيَّة في التَّجسُّد. لذا لا يشُقُّ علينا القول بأنَّ اللَّاهوت والعلم مُتَّحِدان اتِّحادًا بلا انفصالٍ ولا انقسامٍ، بلا اختلاطٍ، ولا امتزاجٍ، ولا تغييرٍ لواحدهما إلى الآخر، فلا يَنسِبُ أحدهما لنفسه استعلان الآخر عن الحقيقة.(١١٦)

تقبل الأرثوذكسيَّة الدِّراسات العلميَّة التي تتعاطى بجديَّةٍ مع الميول والتَّوجهات المِثليَّة وما يعتمل فيها مِن مشاعرٍ، ولكنها تحتفظ لنفسها بتحفُّظين. أوَّلهما، مِن جهة موضوع العلوم الطبيعيَّة، فهو اقتصار العلم على التَّعاطي مع الطبيعة الماديَّة والسُّلوك الإنساني. وعلَّه هذا التَّحفُّظَ أنَّ العلم الطَّبيعي لا يمكن له أن يدرس «دراسةً ماديةً» الأمور الماورائيَّة الفائقة للطَّبيعة، ولا أعمال الرُّوح، ولا «الله» بل يحلِّل العلم مستويات النَّشاط الطَّبيعي للعالم والحياة، ليَنفذ، أو يحاولَ النَّفاذ إلى طيَّاتها العميقة المُستعصيَّة على الوصف والتَّجريد. الإنسان وسلوكه ليسا استثناءين

(١١٦) تَستخدِم الكنيسة في صياغتها للاعتراف باتِّحاد اللَّاهوت والنَّاسوت في شخص يسوع المسيح أربع صفاتٍ منفيَّةٍ، إذ تشهد أن اتِّحاد أقنوم الكلمة بجسدٍ في «شخص» يسوع المسيح هو اتِّحادٌ بلا انفصالٍ، ولا انقسامٍ، ولا اختلاطٍ «امتزاجٍ»، ولا تغييرٍ.

أمام العلم، بل يُفتَنُ العلمُ بتفرُّد الإنسان ويحتفظ لنفسه بجرأةٍ لا تخلو مِن تواضعٍ في تعاطيه مع الإنسان، ولكنَّه يدرك حدود مصداقيَّته ويلتزم الصَّمت تجاه علَّة الوجود الإنساني، ومصيره، ومعناه. وثانيهما، مِن جهة الحالة التي يدرسها العلم الطَّبيعي، فهو اهتمام العلم بدراسة موضوعاته في حالتها الحاضرة، أي في واقع السُّقوط، لا في حالة الخلقة الأولى قبل السُّقوط، ولا في مصيرها الآيلة إليه في ملكوت الله. وعليه -على سبيل المثال- لا يمكن قبول القول بأنَّ نسبةً معيَّنةً مِن البشر «ثَبُتَ» أنَّهم «ذوو توجُّهٍ مِثلي» قبولًا لاهوتيًا أو أخلاقيًا في التَّعاطي مع المِثليَّة. لأنَّ حالة السُّقوط -التي يدرس فيها العلمُ الإنسانَ- لا تُخبر بشيءٍ عن الكيان الإنساني والحياة التي دُعيَ الإنسان إليها وفق قصد الله وعلى قياس المسيح، ولا تخبر بشيءٍ عمَّا قُصِدَ للإنسانيَّة منذ البدءِ ولا عمَّا ستؤول إليه الإنسانيَّة في غايتها، أي في القيامة خارج حدود هذا العالم. بيانات .. لا يقدِّم العلم سِوى بياناتٍ، هذا هو كلُّ ما في الأمر. والبيانات مرحَّبٌ بها، وتستحقُّ الانتباه والاعتبار وتوضع موضع المناقشة لا الحتميَّة، إذ هي عن ومِن الإنسانيَّة السَّاقطة في عالمٍ يعاني الفساد ويعوزه الخلاص.

ويلزم أيضًا تمييز تحفُّظٍ آخرٍ، أو الانتباه إلى تحذيرٍ آخرٍ، ألا وهو ضغط الصَّوابيَّة السِّياسيَّة -أو قُل النِّفاق السِّياسي- المدفوع بالمعطيات العلميَّة والمصالح المُقَنَّعة لرفض أيِّ طرحٍ علميٍّ يخالف الهوى الاجتماعي-السياسي، فتُبكِم صوته ولا يُطرَح بموضوعيَّةٍ لائقةٍ لئلَّا يجد له أُذنًا مُصغيَّةً.

-٢٢-

الميول التَّوجُّهات المِثليَّة والدِّين

المسيحيَّة ليست دينًا عند الأرثوذكس (إلَّا بالمعنى المُتَّفَق عليه للكلمة)؛ المسيحيَّة غاية سعي الأديان جميعها نحو الحقيقة الإلهيَّة والمعنى الإنساني المكتوبين بيدِ الله كختمٍ على قلب الإنسان. لذا يصير إنجيل (استعلان) الله في المسيح يسوع هو الغاية التي تبتغيها الأديان كبناءٍ إنسانيٍ، التي على الرغم مِمَّا وصلت إليه مِن صلاحٍ -كنتيجةٍ حتميةٍ للوعي الإنساني- سعيًا لاتخاذ موقفٍ مِن غوامض الحياة أو في محاولة فهم أو استشفاف إرادة الله «أو الآلهة» أو الرَّابط بالمخلوقات، لم تستطع وحدها الفكاك مِن تشويش الشياطين وضلالاتهم، ولا مِن الموت الذي ساد عالمها.

لا تنتمي الحياة المسيحيَّة ولا الإيمان المسيحيُّ، بشهادة الوصيَّة الرَّسوليَّة وفي حياة القدِّيسين وتعليمهم، إلى هذا الـ «دَّهر» الذي «صورتُه تزولُ» (١ كو ٧: ٣١)، بل بالأولى إلى الـ «خليقة الجَّديدة» (راجع غل ٦: ١٥؛ ٢ كو ٦: ١٧).[١١٧] إذ إنها حياةٌ تُعاش كـ «مِن الأعالي» وتصيرُ

(١١٧) تَستخدِم ترجمات الإنجيل الإنجليزيَّة أحيانًا كلمة «العالم» لِما ورد في النَّصِّ الأصلي بـ «الدَّهر» وهذا حدث أيضًا في ترجمة نصِّ قانون الإيمان: «وننتظر حياة «الدَّهر» «لا العالم» الآتي». لأنَّ لا عالم إلَّا هذا العالم، إلَّا أنَّ دهرًا جديدًا يأتي على هذا العالم. وأيضًا، وبحسب التَّعليم الأرثوذكسيِّ، إنَّ «السَّماء الجَّديدة والأرض الجَّديدة» اللَّتين نترجَّاهما هما هذه الأرض وهذه السَّماء ذاتهما لكن تُجَدَّدا، على مِثال «الخليقة الجَّديدة» إذ هي تجديدٌ وخلق التَّجديد في العالم الحالي «الصَّالح» الذي قد أُفسِدَ. فالإنجيل لا يقول بأنَّ الله سيخلق خليقةً بديلةً عن الأصليَّة، بل إنَّه سيجدِّد كلَّ الخليقة، (راجع رؤ ٢١: ١-٥؛ إش ٦٥: ١٧؛ ٦٦: ٢٢). لذا أنا أستخدم صيغة

إلى «العتيدِ أن يكونَ» حياةٌ ليست إطرادًا إنسانيًّا، بل تسبق وتفوق التاريخ الإنسانيَّ. حياةٌ لا تُضاد الطَّبيعة ولا المنطق، بل توسِّع تخومهما وتعبر محدوديتهما. لأنها تستعلِن بهاء الطَّبيعة الأصليَّ الذي خُلِقَت عليه، وغائية الخليقة، فتنير قلب الإنسان ووعيه على «معرفةِ الحَقِّ» مِن جهة الله وكلِّ الخليقة فيه.[118] لذلك، لا تُفهَم ولا تُقبَل الحياة المسيحيَّة والإيمان المسيحيُّ إلَّا كعطيَّةَ حقٍّ ونورٍ وحكمةٍ وقوَّةٍ مِن الله لخليقته، وبحسب ما تحتمل، كأكمل ما يمكن لها في حالتها الحاضرة تحت الفساد، وبما تتمخَّض به على رجاء العتق الكامل في الدَّهر الآتي.

إذا تعاطى المسيحيُّون مع إنجيل المسيح كواحدٍ مِن ديانات البشر العديدة -ولا فرق إذا ما اعتبروه الأفضل أو الأعظم أو حتى الذي يُرتَّبُ على رأس البقيَّة، فسيتعطَّل الإنجيل، إذ يفقد ماهيَّته، كلا أكثر مِن مجرَّد واحدٍ ممَّا أنتجته الإنسانية المعطَّلة بالخطية في واقعٍ يرزح تحت ثقل الفساد. هذا، ولن يشفع له ما فيه مِن صلاحٍ وحقٍّ وجمالٍ، إذ يبقى غير مكتملٍ، ويتحوَّل ضلالًا خادعًا. ولن يؤخذ كأكثر مِن خرافةٍ أيديولوجيةٍ مشوَّهةٍ، يتحصَّن فيها «الإنسان الضَّعيف» الذي سيخطئ حتمًا، وفساد الخطيةِ سيسود حياته ومجتمعه. ولن ينتهِ الأمر عند ذلك، بل ستدافع هذه الأيديولوجيَّة المشوَّهة عن أصالة الخطيَّة في الإنسان وستمرِّر وتبرِّر كلَّ

المفرد في الكلام عن الحياة المسيحيَّة والإيمان المسيحيِّ؛ هما واحدٌ.

(١١٨) راجع (١ تي ٢: ٤؛ ٢ تي ٣: ٧؛ عب ١٠: ٢٦): تستخدم «مَعرِفَةِ الحَقّ» أكانت بأداة تعريف أو لا، بحسب التَّرجمة الإنجليزيَّة -ولكنها في الثَّلاثة مواضعَ المُشار إليها تأتي «معرفة» كنكرةٍ مضافةٍ إلى «الحقِّ» في التَّرجمات العربيَّة- كمصطلحٍ تِقنيٍّ في الليتورجيا الأرثوذكسيَّة. وكمثالٍ على هذا، راجع صلاة الأنتيفونا الأوَّلى، وصلاة الإفخارستيا الأولى في ليتورجيا ق. باسيليوس الكبير.

أغراضه المشينة؛ إنسانٌ فاسدٌ أصلًا! وهكذا، لن ترى المسيحيَّة نفسها لا أفضل ولا أسوأ مِن سواها، ولا فرق أكانت ديانةً أصوليةً طائفيةً أم جمعيةٍ، كمتغيِّرٍ مِن متغيِّرات «الدِّيانات» .. لا أكثر ولا أقلّ.

ومَن يعتبروا مسيحيَّتهم دينًا، سواء كان طائفيًّا أم نسبويًّا، يروا في ذواتهم تفوُّقًا ما على الآخرين الذين ينظرون إلى الأمور نظرةً مختلفةً. إذ هم موقنون بأنَّهم مدعوون دعوةً خاصَّةً ليقنعوا الآخرين بالحقيقة التي «يمتلكونها» ولا فرق عندهم في فرض الحقيقة على سواهم أكانت الحقيقة تلك أُعطيت لهم هبةً مجَّانيَّةً أم تشكَّلت كاكتشافٍ شخصيٍّ جاء ثمرةً لبحثٍ أمينٍ. حالهم كحال مَن يرى ذاته «المُخلِّصَ» المدعوَّ ليخلِّص الآخرين مِن الشُّرور .. الشُّرور التي لا تملك على الآخرين أصلًا!

هؤلاء لا يعدُّون ذواتهم «واحدًا» مع الآخرين الذين هم أنفسُهم أُرسِلوا إليهم. فلا يقدِّمون أنفسهم كـ «مربوطين» مع الآخرين، كلِّ الآخرين، في أغلال الجَّهل والاستعباد، تلك التي الله وحده هو مَن يقدر أن يقطعها ويحرِّر الجَّميع مِنها. ولا يرون أنفسهم كخُدَّام الله الخاطئين غير المستحقِّين، الذين هم بالنِّعمة مدعوون لإعلان حقيقة أنَّ الله وحده «هوَ مُخلِّصُ النّاسِ جميعًا، وعلى الأخَصّ الذينَ يُؤمِنونَ» (١ تي ٤: ١٠). فهؤلاء يرفضون الاعتراف بأنَّ «المَسيحَ يَسوعَ جاءَ إلى العالَمِ ليُخلِّصَ الخاطِئينَ، «وهُم» أوَّلُهم» (راجع ١ تي ١: ١٢-١٧).

جملة القول في مِثل هؤلاء أنَّهم لا يرون أنفسهم على واقعهم، ألا وهو كونهم هم -لا الآخرين- الأكثر عوزًا واحتياجًا للخلاص

بالإنجيل الذي هم يبشِّرون به ويدافعون عنه. وأيضًا، هم لا يميِّزون في أنفسهم أنَّهم المديونون للحقِّ الإلهيّ، الذين لا يحقّ لهم الافتخار عليه كأوصياء، قبل حتَّى أن يتجاسروا على الكرازة به. وهم في هذا كلِّه لا يتركون لأنفسهم فسحةً ليعيدوا التَّفكير فيما إذا كانوا مخطئين -وهُم بالفعل كذلك- في قناعةٍ ما أو رُبَّما جملة القناعات التي يتشدَّقون بها. لذا لا يقبلون الحوار؛ لا يتحاورون ولا يسمعون. ولا عجب، فلا سلام حقيقيٌّ لهم مع أنفسهم أو مع الآخرين. هم في حربٍ لا تخمد؛ حربهم حربٌ «دينيَّةٌ» -حملةٌ صليبيَّةٌ- لا يمكن إلَّا أن ينتصروا فيها مهما كلَّفهم الأمر، كحربٍ (هم بالتَّحديد، وليس الله) مَن ينتصرون فيها.

ولا نعدم الأمثلة ولا النَّماذج المتكرِّرة، وفي كلِّ دوائرنا، لمَن يعدُّون أنفسهم مُفرزين مكلَّفين مُرسلين مِن قِبَل الله لـ يتسيَّدوا على الآخرين بموجب اختيار الله لهم. ولقارئ الكتاب المقدَّس، لا مثال أوضح مِن إسرائيل، شعب الله، الذي اختاره الله اختيارًا لا رجعة فيه ليكون خادمه لخلاص الأُمَم. فما كان مِنهم إلَّا أن أخذوا هذه الدَّعوة لحساب كبريائهم وغطرستهم خطأً بما لا يخدم برَّ الله مِن جهة خلاص الأُمَم. والتَّاريخ المسيحيُّ أيضًا مَلآن بمثلٍ أولئك أشخاصًا وجماعات. وأمَّا على الجَّانب الأرثوذكسيِّ تحديدًا، فلا يلزم الأمر إلَّا نظرةً متفحِّصةً إلى أيديولوجيات بيزنطة وروسيا ومبالغاتهما الأسطوريَّة بعقليَّةٍ رفضت قدِّيسين الكنيسة خُدَّام الله الحقيقيين واضطهدتهم.

يسهل على المسيحيِّين الغربيِّين، وفق مفهومهم الخاص لـ «الاختيار مِن قِبَل الله والتَّعيين المسبق» لأحدٍ ما، أن يميِّزوا النموذج الغربي

لذلك الضَّلال المُحزن. فخُذ مَثَلًا المسيحيِّين الأمريكيِّين في نظرتهم إلى المجتمع الأمريكي، المجتمع الذي طالما اعتبر مواطنوه أنفسهم «شعب الله المُختار» المخوَّلون مِن الله ليُخضِعوا كلَّ الآخرين في شتَّى بقاع الأرض لمقاييس «نمط الحياة» الحقِّ والصَّحيح والكامل.. حقٌّ وصحيحٌ وكاملٌ، نعم، هو كذلك، لأنَّه نمط الحياة «الأمريكي». ولا ننسى الـ «مُختارين» الخُطباء المفوَّهين المدافعين عن السُّود «الأفارقة الأمريكيين»، الذين الله رفعهم وقت المناداة بالحقوق المدنيَّة في ستينات القرن العشرين ليعلِّموا كلَّ أحدٍ كيف يُمارس العدل والإحساس بالآخر والشَّفقة وكيف تُعاش المحبَّة ويُرسى السَّلام. وفي وقتنا المُعاصِر، تستقبل عيوننا ألق النِّساء الغربيات والمتعلِّمات تعليمًا غربيًّا مِن غير الغربيَّات، اللَّواتي زعمن «اختيار الله لهم» ليرفعهن على نواصي النَّسويَّة، هُنَّ والنِّساء عامَّةً. وأحدث ما يأتي علينا هو زعم بعض المِثليين والمِثليَّات «اختيار الله لهم وتعيينه إيَّاهم» هم ومزدوجي التَّوجُّه الجِنْسيِّ ومُغايريِّ الهويَّة الجِنْسيَّة ليقدِّموا «الحقَّ» الذي عندهم.

لذا لن يقبل المسيحيُّون الأرثوذكس، إذا كانوا حقًّا مسيحيِّين وأرثوذكسيِّين، ودون أيِّ تذبذبٍ أو تردُّدٍ، أيَّ تعريفٍ لكيانهم وحقيقتهم إلَّا كخطاةٍ غير مدعوِّين إلى إدانة أحدًا مَن كان (راجع مت ٧: ١-٥)[١١٩]

---

(١١٩) الحدث أن جاء إليه صبيٌّ عليه شيطانٌ، ليُشفى. واتَّفق أن وصل إليه بعض الإخوة مِن أحد أديار مصر. وإذ خرج الشَّيخ ليقابلهم، رأى أحد الإخوة يُخطئ مع الغُلام، ولكنَّه لم يُدِنه، بل قال: «إذا كان الله الذي خلقهما، يراهما هكذا ولم يُرسل نارًا عليهما، فمَن أنا حتَّى أدينهما؟» الأب يوحنَّا الفارسيُّ (١).

وأيضًا، «قيل عن الأب يوحنَّا الطِّيبيِّ الصغير تلميذ الأب أموي إنَّه أقام اثنتي عشرة

فرؤيتهم لأنفسهم تتشكّل بالكلّيّة على حقيقة كونهم شهودًا، وشهادتهم هذه ليست عن استحقاقٍ كأن يتباهوا بما يخصُّهم، لما رأوه وسمعوه لا لشيءٍ إلّا ليطبّقوه أولًا على أنفسهم.[١٢٠] بمعنى أنهّم يُدركون كونهم «خُدّام كلِّ أحدٍ» في المسيح ومعه، لكي «بكلِّ وسيلةٍ يخلُص بعضُ النّاس» لاسيّما «الضُّعفاء» وهم أنفسهم يخلصون معه، (راجع ١ كو ٩: ١٩-٢٣).[١٢١] وهم «يقمعون» أجسادهم و«يستعبدونها» لئلّا بعد أن «كرزوا لآخرين» يصيرون هم أنفسهم «مرفوضين،» (راجع ١ كو ٩: ٢٧). وذلك حتّى إلى أنّهم يتمنّوا لو صاروا هم أنفسهم «محرومين» ومقطوعين عن المسيح لكي يخلص إخوتهم وأخواتهم بإتيانهم إلى «معرفة الحقّ» الذي الله يريد بها أن «يخلُص جميع النّاس» ويبلغوا إلى الحياة الأبديّة، (راجع رو ٩: ٣؛ ١ تي ٢: ٤).[١٢٢] المسيحيُّون الحقيقيُّون يخشون أكثر ما يخشون أن يكونوا

سنةً في خدمة أبيه عندما كان مريضًا. فكان يجلس جواره على الحُصَر، والأبُّ غير مكترث به، رغم انتباهه لتعب الأب يوحنّا الكثير في خدمته، حتّى أنه لم يقل له ولو لمرّة: «أرجو أن تخلُص». إلّا إنّ الأبَّ لمّا حانت ساعة مغادرته هذا العالم، أخذ بيد الأب يوحنّا بيده بينما كان جميع الآباء مجتمعين وقال: «أرجو أن تخلُص، أرجو أن تخلُص، أرجو أن تخلُص». وسلّمه إلى الآباء قائلًا: «هذا ملاكٌ لا إنسان»». الأبُّ يوحنّا الطّبيُّ (١).

(١٢٠) (راجع غل ١: ٦-١٧؛ أف ٢: ١-١٠؛ ١ يو ١-٤؛ وغيرها).

(١٢١) يُقرأ الفصل (١ كو ٩: ١٩-٢٣) في خدمة غروب عيد الظُّهور الإلهي في الكنيسة الأرثوذكسيّة.

(١٢٢) قال ق. سلوان الآثوسي: «لا معجزة أعظم ولا أعجب مِن أن تحبَّ الخاطئ وهو ساقطٌ». وأضاف أيضًا: «إذا وقعت عيناك على إنسانٍ وهو يخطأ ولم تُشفق عليه، تفارقك النِّعمة». وكثيرًا ما قال إن الاثبات الوحيد على أنَّ الإنسان يعرف الله ويحبُّه هو محبّة هذا الإنسان لأعدائه. راجع:

Archimandrite Sophrony (Sakharov), *St. Silouan the Athonite* (Essex, England: Stavropegic Monastery of St. John the Baptist and Crestwood,

هم أوَّل مَن يرمون «أيَّ أحدٍ» بالحجر «ولأيِّ سببٍ». (راجع يو ٨: ٧).

هذا، وإن كانوا ثابتين على الإيمان بألَّا يدينوا أحدًا، هم يدركون بوعيٍ يقظٍ أنَّ الخطأ واردٌ عندهم، واردٌ حتَّى في أعمق قناعاتهم القلبيَّة. هذه مفارقةٌ بين الثِّقة الثَّابته ومعاودة تمحيص الذَّات، ولكنها -كمفارقةٍ- متَّفقةٌ تمامًا مع الإيمان القويم. لذا لا يكفُّون عن الصَّلاة ضارعين إلى الرُّوح القدس لكي يرشدهم إلى الحقِّ كلِّه ويذكِّرهم، بوضوحٍ وتحديدٍ، بما أعلنه المسيح لهم وللعالم كلِّه، عن الله، (راجع يو ١٦: ١٢-١٥). إذن، هم يعرفون جيِّدًا أن لا أحدَ معصومٌ مِن الخطأ. تجعلهم هذه القناعة مستعدِّين دائمًا، بل مسرعين إلى التَّحاور والتَّجاوب وقبول النَّقد، لكي يؤول بهم هذا كلُّه إلى التَّوبة متى لزمت.

لا أسوأ ولا أضنى إخفاقًا مِن أن يعمى المسيحيُّون الأرثوذكس عن رؤية واقعهم كخُطاةٍ يخدمون خلاص جميع النَّاس وشفائهم، إذ هم محسوبون معهم، كمحتاجين الخلاص والشِّفاء أوَّل مَن يحتاج. إخفاقٌ كذاك هو خيانةٌ للإيمان الذي «يزعمون أنَّهم» يكرزون به. وأقول إخفاقًا، بل بالأكثر «تجديفًا على الرُّوح القدس» تجديفًا «لا يُغفَرُ، لا في هذا الدَّهر ولا في الآتي» (راجع مر ٣: ٢٨-٢٩؛ مت ١٢: ٣١-٣٢؛ لو ١٢: ١٠).

NY: SVS Press, 1991), pp. 346, 348, and throughout.

يعلِّم الكتَّاب الرُّوحيُّون الأرثوذكس -وبالإجماع- بأنَّ الله يترك الإنسان الذي أدان آخرًا في شيءٍ أو على خطيَّةٍ ما ليُجرَّب بنفس الخطيَّة التي أدان الآخر بالوقوع فيها.

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة ومجتمع الكنيسة

يشهد الإيمان الأرثوذكسيّ لكنيسة المسيح الواحدة الوحيدة المقدَّسة الجَامعة الرَّسوليَّة بأنَّها هي جماعة المؤمنين المعمّدين المتماسكة المتَّصلة والمتأصِّلة تاريخيًّا والمؤتمن عليها الأساقفة خلفاء الرُّسُل، الذين يعلِّمون تعليمًا رسوليًّا ويمارسون العبادة المستلمَة مِن الرُّسُل، ويحفظون التَّقليد الرَّسولي كما تسلَّموه. وهو ما يعني أنَّ الأساقفة أُقيموا في الكنيسة لكي «يحفَظوا الوَديعَةَ، «التي» ائتُمِنوا عليها، بعَونِ الرّوح القُدُس الذي يَسكنُ فينا(ـهم)، مُفَصِّلينَ كَلِمَةَ الحَقّ باستِقامَةٍ» (راجع ١ تي ٦: ٢٠؛ ٢ تي ١: ١٢-١٤؛ ٢: ١٥). إنَّ كلَّ جماعة مؤمنين محليَّةٍ ويرأسها أسقفٌ أو كاهنٌ هي ذاتها الكنيسة الواحدة كنيسة المسيح المقدَّسة في كلِّ ملء جامعيَّتها، فُلك نجاة الخطأة، الذين يعترفون، ابتداءً بأسقفهم أو كاهنهم، بأنه «أوَّل الخاطِئين» (١ تي ١: ١٥).[١٢٣] ومِن ثمَّ، لا أسقف أو بطريرك معصومٌ،

(١٢٣) يقصد الإفشين التاسع للقدّيس يوحنَّا الدِّمشقيّ من خدمة صلاة الميطالبسي، تلك التي تُصلَّى جماعيًّا جهرًا في بعض الكنائس قبل المناولة.

«لَقَدْ وَقَفْتُ تُجَاهَ أَبْوَابِ هَيْكَلِكَ وعَنِ الأَفْكَارِ الرَّدِيئَةِ لَمْ أَبْتَعِدْ، لَكِنْ أَنْتَ أَيُّهَا المَسِيحُ الإِلَهُ، يَا مَنْ زَكَّيْتَ العَشَّارَ، ورَحِمْتَ الكَنْعَانِيَّةَ وفَتَحْتَ لِلِّصِّ أَبْوَابَ الفِرْدَوْسِ، افْتَحْ لِي حُنُوَّ مَحَبَّتِكَ لِلبَشَرِ، وَاقْبَلْنِي مُتَقَدِّمًا إِلَيْكَ ولامِسًا إِيَّاكَ، كَمِثْلِ الزَّانِيَةِ والنَّازِفَةِ الدَّمَ؛ لأَنَّهُ أَمَّا تِلْكَ فَبِلَمْسِهَا هُدْبَ ثَوْبِكَ نَالَتِ الشِّفَاءَ بِأَيْسَرِ مَرَامٍ، وأَمَّا الأُخْرَى فَبِضَبْطِهَا قَدَمَيْكَ الطَّاهِرَتَيْنِ نَالَتْ مَغْفِرَةَ خَطَايَاهَا؛ وأَمَّا أَنَا الَّذِي يُرْثَى لِي، فَبِتَجَاسُرِي عَلَى أَنْ أَقْبَلَ جَسَدَكَ بِجُمْلَتِهِ، لا تُحْرِقْنِي، بَلِ اقْبَلْنِي مِثْلَ هَاتِيكَ، وأَنِرْ حَوَاسَّ نَفْسِي مُحْرِقًا جَرَاثِيمَ خَطِيئَتِي، بِشَفَاعَاتِ الَّتِي وَلَدَتْكَ بِغَيْرِ زَرْعٍ والقُوَّاتِ السَّمَاوِيَّةِ، لأَنَّكَ مُبَارَكٌ

ولا عصمة تجعل مِن أحدٍ تجب طاعته طاعةً عمياء، بل كنيسة المسيح تحيا بحضور الله وفعله فيها، اللذين يمارسهما بواسطة الإنسان دون أن يعتدي على حريَّته أو يسلبها، لأنَّ نعمة الله وقوَّته، اللتين تحيا بهما الكنيسة وتؤثِّر بهما في العالم ليستا سحرًا أو عملًا آليًّا.

كنيسة المسيح هي كنيسة كلِّ مَن يؤمن بالإنجيل ويعترف بالإيمان المسيحيِّ ويجاهد حسنا في التَّوبة عن خطاياه ومقاومة شهواته الرَّديئة وهو يعرف أنَّه سيجاهد هذه وتلك حتَّى النَّفس الأخير.[١٢٤] ولهذا السَّبب لن تصِر أيُّ كنيسة بيئةً آمنةً كليًّا وتمامًا ليقاوم فيها أحدٌ مَن كان

إلى أبَدِ الدُّهُور، آمين».

(١٢٤) قال الأب أنطونيوس الكبير للأب بيمن «بيمن هذا مختلفٌ عن الأب بيمن الذي تحتل أقواله القسم الأكبر مِن أقوال الآباء الشُّيوخ، والفرق بينهما يناهز مئتي سنة»: «هذا هو العمل العظيم أن يحمل الإنسان خطيئته ويضعها أمام الله منتظرًا حتَّى نسمته الأخيرة». الأبُّ أنطونيوس (٤). هو نفسه قال: «لا أحد يقدر أن يدخل ملكوت السَّموات بدون تجارب، لأنَّه قال: ارفع التَّجارب، فلا يخلُص أحدٌ». الأبُّ أنطونيوس (٥)» وأيضًا «جاهدوا لكي تدخلوا مِن الباب الضَّيِّق. لأنَّه كما أن الشَّجرة إذا لم تتعرَّض للرياح والعواصف والأمطار، لا يمكنها أن تأتي بثمرٍ، هكذا الحال بالنِّسبة إلينا أيضًا. هذا الدَّهر شتاءٌ قاسٍ. وبدون ضيقات وتجارب متنوِّعةٍ لن يمكننا أن نرث ملكوت الله». الأمُّ ثيئودورا (٢) وأيضًا قالت الأمُّ سنكليتيكي: «هنا في الدُّنيا، لا نُعفى مِن التَّجارب. لأنَّ الكتاب يقول «فلينتبه مَن يظن أنَّه قائمٌ لئلَّا يسقُط» (١ كو ١٠: ١٢). إذ نحن نُبحر كما في ظلمةٍ. المرنِّم في المزمور يدعو حياتنا بحرًا، والبحر إمَّا مملوءٌ بالصُّخور، أو هائجٌ أو هادئٌ. نحن «الرُّهبان والرَّاهبات» كمَن يُبحر في بحرٍ هادئٍ، والعلمانيون كمَن يُبحر في بحرٍ هائجٍ. فونحن نوجِّه دفَّتنا بواسطة شمس البرِّ ونحوها، قد يُخلِّص العلمانيُّ في الهياج والظَّلام، لأنَّه ينتبه لوجهته كما ينبغي عليه، بينما نرسخ نحن إلى العمق بالتَّهاون، ونحن على ما نحن فيه مِن إبحارٍ في الهادئ، لأنَّنا فقدنا وجهة البرِّ». (٢٥). الاقتباس عن الأمِّ سنغليتيكي غير مُعرَّب في «أقوال الآباء الشُّيوخ».

شهواته الرَّديئة وخطاياه علانيَّةً، فهي جماعة خطاة يتوبون «بمَن فيهم الرُّعاة» كلٌّ في رتبته وطوره ومرحلته مِن النُّموِّ إلى الكمال الرُّوحيّ. إلَّا أنَّ هذا لا يعني -أو ينفي- وجود مجموعات معيَّنةٍ، ضِمن جماعة الكنيسة، بها أعضاءٌ على درجةٍ مناسبةٍ مِن النُّضج الرُّوحيّ، تستوعب أن «يُفصِح» *(come out)* فيها وإليها مجاهدو الميول المِثليَّة بمجريات حياتهم وجهادهم، بما فيتضمَّن نشاطهم الجِنْسيَّ، دون خوفٍ أو تحفُّظٍ. (١٢٥) فنحن نرى هذا يحدث الآن، حيث يتواصل المؤمنون الشُّجعان معًا

---

(١٢٥) يكثر اللَّاهوت المدافع عن المِثليَّة الكلام بأنَّ الإعلان عن التَّوجُّه/ الإفصاح/ الخروج *(coming out)* هو بمثابة خبرة «خروجٍ شخصيٍّ». (راجع: *Stuart, Gay and Lesbian Theologies.*) أمَّا الخروج الذي يعرفه ويقدِّمه التَّعليم الأرثوذكسيُّ فليس هو «تحريرًا مِن عبوديَّةٍ» حدثًا يُنتِج آليًّا وآنيًّا حياةً رغدةً في «أرضِ الموعِد» بل مسيرةً إلى «بريَّةٍ» لا ماء فيها ولا غذاء، وما فيها هم الأعداء والشَّياطين، وهي بعينها «الموضِع» الذي فيه الشَّعب الذي خلَّصه الرَّبُّ يعبد الرَّبَّ وحدَه، ويقبل مِنه الوصيَّة، ويحارب فيه أعداء الرَّبِّ بقوَّة الرَّبِّ، (راجع خر ١٤: ١٤). لذا لا يمكن لخبرة «الخروج» الشَّخصيَّة أن تكون اجتماعيَّةً أو سياسيَّةً أو قوميَّةً أو ثقافيَّةً، إذ هي في حقيقتها تحرُّرٌ مستمرٌّ مِن الشَّرِّ والخطيَّة والموت شركةً في «الخروج - الموت» الذي المسيح «كان مُزمعًا أن يتمِّمه في أورشليم» والذي تحدَّث فيه المسيح مع موسى وإيليَّا على جبل التَّجلِّي. (راجع لو ٩: ٣١). الخروج الذي تعرفه الأرثوذكسيَّة وتعيشه وتعلِّم به هو «فصح المسيح» خروج موت المسيح وقيامته إلى مجد الله.

تعليق: نشأ مصطلح *(come out)* المستخدم والمترجَم بـ «الخروج» في البيئة الثقافيَّة الاجتماعيَّة الغربيَّة، وروِّج له مِن قِبَل كلِّ المدافعين عن حقوق المِثليَّة كحدثٍ يُحتفى به، يُخرِج صاحبه مِن دائرة الظِّل، أي يحرِّرُه مِن القلق والحيطة والتَّوجُّس فيما يعلنه أو يمارسه مِن تعبيرٍ عن الذَّات وفق ما يراه في هويَّته الجِنْسيَّة. ومِن حيث التَّعريف، فإن الـ *(coming out/come out)* هو الإفصاح العلنيُّ عن الهويَّة الجِنْسيَّة، ويترتَّب عليه تفاعل المجتمع مع المُفصِح عن توجُّهه الجِنْسيِّ بالقبول أو الرَّفض أو الاستغلال أو الإتجار بالقضيَّة أو توظيفها اجتماعيًّا أو سياسيًّا. لذا يشير الأب هوبكو هنا إلى أنَّ

تحت توجيه وقيادة متمرِّسين ذوي خبرةٍ لـ «يحمِلوا أثقالَ بَعضِهم بعضًا، مُتمِّمينَ ناموسَ المسيحِ» (غل ٦: ٢)

ولا يفوتنا أن نعي، ونحن نتكلَّم عن النُّضج الرُّوحي، إنَّ الشِّفاء الرُّوحي التَّام والكامل للإنسان يندر أن يحدث في زمن حياة الإنسان على الأرض -هذا إن كان «الكمال والتَّمام» مُمكِنًا أصلًا- حتَّى مع ما عندنا مِن شهادة سير القدِّيسين الذين فاقوا في الجِّهاد والقداسة؛ ما بالك إذن بشفاء الجَّسد والنَّفس والوجدان؟! وأيضًا نقول هذا ونحن لا نعدم أمثلةً لأُناسٍ حقَّقوا شفاءً عظيمًا قبل نهاية حياتهم على الأرض. فلا عجب إذن فيما يحقِّقه الله مِن مجدٍ في مَن يأخذون حياتهم بجدِّيَّةٍ، وأمام هذا المجد في أولئك، لا تخُر عزيمتنا ولا يضعُف قلبنا نحن الذين نجاهد بعد ونبتغي لذواتنا واقعًا أفضل، فإنهم موضوعين كمثالٍ نسعى إليه لا كحدٍّ بعيد يُحبِطنا.

ويبقى لنا أن نعي جيدًا حقيقة الشِّفاء كما تقدِّمه المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة. يتحقَّق الشِّفاء، لنا ونحن بعد على هذه الأرض، في الإرادة والمقدرة على تمييز الشَّرَّ والأوجاع،[١٢٦] والاعتراف بوجودهما، لندرك بوضوحٍ ما نقاومه ونجاهد ضِدَّه، فتكون لنا شجاعة الوعي والرَّجاء، ونميز كيف نغفر لمَن أساءوا إلينا وجلبوا علينا الشَّرَّ والمرض. ومَن يجاهد، يجاهد لأنَّه

مجتمع الكنيسة المستعد لاستيعاب مَن يفصح عن هويَّةٍ جنسيَّةٍ مِثليَّةٍ يجب أن يكون مجتمعًا ناضجًا روحيًّا مؤهَّلًا للرعاية ومأمون الجَّانب ولا يستغل الإخوه المفصحين عن هويَّاتهم الجِنسيَّة أو يرفضهم لئلَّا يحرمهم فرصة التَّغيير والشِّفاء. (المُعرِّب)

(١٢٦) «الأوجاع» هو لفظٌ يصف أمراض النَّفس والأهواء في لغة الجِّهاد الرُّوحيِّ والأدبيَّات النُّسكيَّة، وقد وردت في النَّص الإنجليزي بـ (*Diseases*). (المُعرِّب)

يعرف أنه ينال كمال القداسة لا في هذا الدَّهر بل في الآتي.[١٢٧]

(١٢٧) يقول ق. يوحنَّا الذهبيُّ الفمِّ قولًا -فيما كتب- عمَّن يُشفى في هذا الزَّمان مِن سَقم ما أو مرضٍ ما إنَّه يُشفى إلى «صلبان عديدةٍ» والتَّعليم الآبائيُّ يقول -عامَّةً- إنَّ الشِّفاء في زمن الحياة على الأرض إنَّما هو لمجد الله وتثبيت المؤمنين وجلب غير المؤمنين إلى الإيمان وإثمار التَّوبة، وإتاحة الوقت لمَن شُفي، لكي يكرز بالإنجيل شاهدًا للمسيح ومجاهدًا ضِدَّ الخطيَّة، يخدم الإخوة في تكميل توبتهم. وها المزيد مِن تعليم الآباء المملوء عجبًا عن الشِّفاء: «قال الأب بيمن عن الأب يوحنَّا القصير إنَّه صلَّى إلى الله، فرفع الله عنه أتعابه وتحرَّر مِن الهمِّ». عندئذ ذهب إلى أحد الشُّيوخ وقال له: «إنِّي أرى نفسي في راحةٍ لا حربٍ». فقال له الشَّيخ: «اذهب تضرَّع إلى الله لتعاودك الحرب وانسحاق القلب والتَّواضِع التي كانت لك فيما مضى. فالنَّفس بالحروب تنمو وتتقدَّم». فتضرَّع يوحنَّا إلى الله، ولمَّا جاءت الحرب، لم يصلِّ لتفارقه، بل كان يقول: «يا ربُّ أعطني الصَّبر على الحرب». الأبُّ يوحنَّا القصير (١٤). وأيضًا «مرضَ الأبُّ اسحق مرضًا خطيرًا وطال مكوثه فيه، فأعدَّ له أخٌ قليلًا مِن الحساء جاعلًا فيه فتاتًا مِن الخبز اليابس. فرفض الأب اسحق أن يأكل». فرجاه الأخُ قائلًا: «خذ مِنه قليلًا لأجل المرض يا أبتِ». فأجابه الشَّيخ: «في الحقيقة يا ولدي، كنت أريد لو أبقى في مرضي ثلاثين سنةً». الأبُّ إسحق كاهن القلالي (١٠). وأيضًا قال الأب يوسُف الطِّيبيُّ: «ثلاثة أمورٌ مكرَّمةٌ في عيني الرَّبِّ: الأول، عندما يمرض الإنسان فتأتيه التَّجارب ويقبلها بشكرٍ. والثَّاني، عندما يتم الإنسان أعماله كلَّها أمام الرَّبِّ بدون أي أمرٍ بشريٍّ. والثَّالث، عندما يعيش المرء في طاعة أبيه الرُّوحيِّ، ويرفض كلَّ مشيئةٍ ذاتيَّةٍ. هذا له إكليلٌ خاصٌّ ينتظره. أمَّا أنا فقد اخترت المرض». الأبُّ يوسُف الطِّيبيُّ (١).

-٢٤-

الميول المِثليّة وأسرارُ الكنيسةِ

نال العديدون مِن ذوي الميول المِثليّة المعموديّة في الصِّغر، وآخرون مِنهم قبلوا الإيمان في الكِبَر، لأنّهم قرّروا ألّا يتصرّفوا على هواهم منساقين بالميول الجِنْسيّة بطرقٍ يعرفون أنّها ضِدّ مقاصد المحبّة الإلهيّة. هم بهذا، مرّةً أُخرى، لا يختلفون عن أخوتهم وأخواتهم الغيريين في المسيح.

فكل مَن يقبل موته وقيامته شركةً في موت المسيح وقيامته في معموديّته، ويجاهد حسنًا ليحفظ «عطيّة الرُّوح القدس» التي بها «خُتِم» في سِرِّ التّثبيت بالميرون، فله أن يشترك في الإفخارستيا بانتظامٍ في تتبُّع مواسم الكنيسة الطقسيّة، ويحضر خِدَم الكنيسة، ويحفظ يوم الرَّبِّ، والصَّوم، ويحتفل بالأعياد كما بالطاعة والإجلال وشركة الفرح؛ هو في هذه كلها يختبر ملكوت الله اختبارًا حيًّا وفعّالًا. لأنّه بدون هذه الخبرة، لن يقدر أن يقاوم الملذّات أو يهجر مباهج العالم السّاقط، إذ لن يجد سببًا ولا حافزًا ولا قوّةً للمقاومة، بل كشريكٍ يكون له أن «يذُوقَ وينظُرَ مَا أطيَبَ الرَّبَّ» (مز ٣٤: ٨).[١٢٨] فبدون مُذاقة حلاوة الرَّبِّ، على نحوٍ أو

(١٢٨) وأيضًا في النصّ القائل: «الذينَ أُنيروا مرّةً وذاقوا الهِبَةَ السّماويّةَ وصاروا مُشارِكينَ في الرّوحِ القُدُسِ، واَستَطابوا كَلِمَةَ اللهِ الصالِحَةَ ومُعجِزاتِ العالَمِ المُقبِلِ، ثُمّ سَقَطوا، يَستَحيلُ تَجديدُهُم وإعادَتُهُم إلى التّوبَةِ لأنّهُم يَصلُبونَ ابنَ اللهِ ثانِيَةً لِخسارَتِهِم ويُعَرّضونَهُ لِلعارِ» (عب ٦: ٤-٦)؛ وأيضًا في «إنْ ذُقتُم ما أطيَبَ الرّبّ، كما يَقولُ الكِتابُ» (١ بط ٢: ٣). يعلِّم القدّيسون بأن بلا خبرة الفرح الأبدي والتّمتُّع بالمجد الإلهي، لن يترك أحدٌ عنه مسرّات هذا العالم. راجع: ق. يوحنّا السُلّمي، السّلّم إلى

آخرٍ، لن يمكن لأحدٍ أن يعرف أو يختبر ملكوت الله ولا أن يثبت أمام العالم السَّاقط.

الشرط الواجب لتقدُّم أحدٍ ما إلى شركة الإفخارستيا في الكنيسة الأرثوذكسيَّة هو نوال المعموديَّة والتَّثبيت، والإرادة غير المنثلمة للسُّلوك بأمانةٍ مِن جهة تلك الأسرار التي نالها المؤمن. هذا، ولا يلزم المؤمنين أن تكون حربهم الروحيَّة بلا هزائم أو أن تكون مسيرة جهادهم بلا كسرات، ليشتركوا في الأسرار. لأنَّ، كما سبق وقلنا، لا أحد كاملٌ، لا أحد ينجو بالكليَّة مِن الشَّهوات الرَّديئة طالما هو باقٍ في الجَّسد. والمهم في الأمر، وما يعوَّل عليه حقًا، هو أنَّ المؤمن يجاهد «الجِّهاد الحسن» بفكرٍ ثابتٍ موجَّهٍ لـ «يُكملَ السَّعي» ليوضَع له «إكليلَ البرِّ» الذي الله يجازي به «الذين يشتاقون إلى ظهوره» (٢ تي ٤: ٧-٨).[١٢٩] أمَّا الذين تركوا الجِّهاد، أو أسوأ، الذين لا يصدِّقون أنَّ الحرب قائمةٌ وأنَّ عليهم أن يقاوموا ويحاربوا، فليس لهم أن يشتركوا في الأسرار.

في الأرثوذكسيَّة، يلزم المشتركين في الأسرار أن يكونوا ثابتين في

الله، مقالة ٢٢: ٢٩. وأيضًا في الغرب، ق. يوحنَّا الصَّليب يُعلِّم هكذا: «مَتى ذاقت نفسٌ ما هو للرُّوح، أبغضِت ما هو للجَّسد». راجع:

Living Flame of Love, III, 39 (Garden City, NY: Doubleday Image Books, 1962), p. 231.

(١٢٩) يُقرأ هذا الفصل أكثر من مرّة في خِدَم عيد الظهور الإلهي اللِّيتورجية « خدمتيّ الغروب والسَّحر». وأيضًا يسأل ق. يوحنَّا الذهبيُّ الفمِّ المتقدِّمين إلى الزَّواج مِن أين أتتهم الجَّرأة ليلبسوا تيجانًا «علامة النَّصر» في طقس الزَّواج، إن كانوا قد «هُزِموا» بالشَّهوات والزِّنا قبلًا. راجع عظات ق. يوحنَّا الذهبيِّ الفمِّ على الرِّسالة الأولى إلى تيموثاوس، عظة ٩. وأيضًا على الرِّسالة الثَّانية إلى تيموثاوس، عظة ٩.

الإيمان المسيحيِّ، وبالأخصِّ تائبين عن سقطاتهم، ولا يتوقَّف الأمر عند الالتزام، بل يضطلعون بمسؤوليتهم نحو حفظ تعليم الكنيسة وعوائدها، وأن يكونوا مستعدين، عل الأقلِّ بالنيَّة، للدفاع عنها حتَّى الموت. لذا، لا يمكن لمَن يجهر بالسَّماح بالسُّلوك المِثلي أو يروِّج له «ومعهم مَن يدافعون عن الحقِّ في الإجهاض» أن يشترك في الأسرار في الكنيسة الأرثوذكسيَّة.[١٣٠]

بعضٌ مِن ذوي الميول المِثليَّة الذين تعمَّدوا في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، أكانوا معمَّدين صغارًا، أم قبلوا الإيمان كبارًا، لا «يثبتون إلى المُنتهى» في الكنيسة الأرثوذكسيَّة؛ إيمانهم يفتر إلى أن يفقدوه، فيسقطوا مِن الكنيسة بأسبابٍ شتَّى، ولعلَّ السَّبب الأرجح هو افتقاد أعضاء الكنيسة الإيمان بالحياة الآتيَّة، فيهملوا الجِّهاد في ضبط النَّفس والتَّنسُّك والتَّحفُّظ.. أقول أعضاء الكنيسة، ولكن هذه تُفتقد لاسيَّما بين الإكليروس والأساقفة. ويحدث حينًا وأحيانًا أن يترك ذوو الميول الجنسيَّة المِثليَّة الكنيسة الأرثوذكسيَّة إلى كنائس أُخرى تقرُّ السُّلوك المِثلي كسلوكٍ متوافقٍ مع الإيمان المسيحيِّ والمحبَّة -وفق رؤيتها وفهمها للإيمان. ولعلَّ سبب ذلك أنَّ مَن يتركون الكنيسة الأرثوذكسيَّة لا يرون فرقًا «حقيقيًّا» بين المسيحيِّين الأرثوذكس وأعضاء الكنائس الأُخرى في سلوكهم وحياتهم اليوميَّة. «الفرق الوحيد الذي قد يرونه -وكمُفارقةٍ- هو في سلوك بعض الأرثوذكس الذين يبدون ملتصقين بليتورجيا الكنيسة وطقوسها، ومتعصِّبين لعاداتهم وتراثهم الثقافيّ، بالإضافة إلى الاستعلاء الزائف على

(130) T. Hopko, "Eucharistic Discipline in the Orthodox Church," *in Speaking the Truth in Love*, p. 115-117.

سِواهم وازدرائهم؛ هم ينافقون فيما يؤمنون به ويعملونه، ولا تُستثني الممارسات والتَّوجُّهات الجنسيَّة مِمَّا ينافق «هؤلاء المحسوبين أرثوذكس» فيه».

أمَّا في شأن الحرم مِن الشَّركة، فتحفظ الكتابات الرسوليَّة الرَّجاء في أن يخدم حرمُ عضوٍ مِن أعضاء الكنيسة مِن شركة الأسرار خلاصَ هذا العضو -مهما كانت أسبابه وطريقة توقيعه- فـ «تخلُصَ روحُه في يوم الرَّبِّ» (١ كو ٥: ٥). ورجاء الكنيسة يتوقَّع خلاص كلِّ عضوٍ، أكانَ ترك الكنيسة برأيه، أو حُرِم مِن شركة الأسرار مِن قِبَل مدبِّري الكنيسة، لرفضه قبول مفهوم الكنيسة لماهيَّة الإيمان المسيحيِّ والحياة المسيحيَّة. لذا يجب على مدبِّري الكنيسة أن يعوا جيدًا، جيدًا جدًّا، أنَّ مَن يحرمونه شركة الأسرار، إنما يحرمونه تأديبيًّا وللمنفعة لا عقابيًّا للنقمة. وأن يدركوا جيدًا جدًّا أن تدبيرهم الرَّعائي «بالحرم» تعبيرٌ «ضروريٌّ» عن محبَّتهم لكلِّ أعضاء الكنيسة لمنفعة الجَّميع، وأوَّل الجَّميع، هو الأخُ المؤدَّب بالحرم، لمنفعته وخلاصه.[١٣١]

---

(١٣١) نعي كم يسهُل على الآباء والأمَّهات إيذاء الأبناء، ومِثلهم المدبِّرين في تأديب رعاياهم، متعلِّلين بدفاعٍ ملتوٍ واهمٍ مريضٍ: إنَّهم يعملون لـ «صالح» الأبناء والرَّعيَّة. راجع:

Alice Miller, *For Your Own Good: Hidden Cruelty in Child-Rearing and the Roots of Violence* (New York: Farrar, Strauss and Giroux, 1990).

«لا يمكن للمسيحيِّين الأرثوذكس ألَّا يميِّزوا المِثالين الواردين عند د. ميلر لسلوكٍ وحشيٍّ لأُناسٍ أساءوا إساءةً بالغةً إلى آخرين لأجل «صالحهم» ومِن ضمنهم ملايين الأطفال الذين عُمِّدوا في الكنيسة الأرثوذكسيَّة صغارًا. فمثلًا: كان نيكولاي كوسكو ابنًا لكاهنٍ سكيرٍ مُنتحرٍ. وأيضًا: كان چوزيف ستالين ملتحقًا بمدرسةٍ لاهوتيَّةٍ أرثوذكسيَّةٍ في شبابه». هذه المحن، رغم ما فيها، لا تغير مِن واقع أمر التَّأديبات المؤلمة،

يحيا المسيحيّون حسنو الإيمان الرَّجاء بأنَّ الله سيخلِّص كلَّ إنسانٍ بحسب قدرته، وفق تعليم وتقليد الأرثوذكسيَّة عن حُسن الإيمان، إذ قد خلَّص الله بالفعل كلَّ أحدٍ في المسيح. وهم يعرفون أن لهم أن «يدينوا» الذين في الكنيسة، لا أن يحكموا على سلوك أحدٍ مِن الذين هم خارج الكنيسة، (راجع ١ كو ٥: ١٢-١٣). وهم لا يسلِّمون بأنَّهم يعرفون حكم الله النهائي في أحدٍ مَن كان، بالرغم مِن معرفتهم بمقتضيات الدَّينونة الإلهيَّة، تلك التي يدينون أنفسهم بمقتضاها قبل أن يطبِّقوها على أيِّ أحدٍ آخرٍ. ويؤمنون إيمانًا ثابتًا بأن الوقت لا يتأخَّر أو يفوت على أحدٍ -كائنًا مَن كان- ليتوب مهما كان حاله، إذ يؤمنون أنَّ أحدًا لن يُدن مِن قِبَل الله دينونةً غير عادلةٍ أو مغلوطة الحكم.

وجملة القول في شأن المسيحيِّين المؤمنين إيمانًا حقيقيًّا صحيحًا إنَّهم ينسبون كلَّ الحقِّ لله، الله وحده، في أن يدين في اليوم الأخير في ابنه يسوع «لأنَّه ابنُ الإنسانِ» وأنَّ دينونة المسيح دينونةٌ عادلةٌ: «حُكمي عادِلٌ لأنّي لا أطلُبُ مَشيئَتي، بل مشيئَةَ الذي أرسَلَني» (يو ٥: ٢٧-٣٠).[١٣٢] وإلى أن تأتي دينونة الله في يوم مجيئه الثَّاني، تحفظ الكنيسة شركة الأسرار وتداوم عليها في «وحدة الإيمان» لكلِّ مَن يقبل الإيمان لـ «شركة الرُّوح القدس» بين أعضائها الذين لهم فكرٌ واحدٌ، وقلبٌ واحدٌ، ولسانٌ واحدٌ.[١٣٣]

التي وإن بدت عقابيَّةً، ليست إلَّا تعبيرًا عن «المحبَّة الصَّارمة» التي لا شفاء بدونها. لذا، الحاجة إذن هي إلى التَّمييز، تمييز ما يخدم صالح المؤدَّب والتزامه، وتمييز النِّقمة والرَّغبة في العقاب وتجنُّبها تمامًا.

(١٣٢) يُقرأ نصُّ (يو ٥: ٢٤-٣٠) في خدمة صلاة جنّاز الراقدين في الكنيسة الأرثوذكسيَّة.

(١٣٣) ليست في الكنيسة الأرثوذكسيَّة «سلطةٌ للتَّعليم الكنسيِّ» (*Magistarium*)

ولا يغِب عنَّا كمسيحيين أرثوذكس أنَّنا لن نعرف مَن مِن الخراف ومَن مِن الجِّداء إلَّا في اليوم الأخير، وأنَّه يجب علينا، قبل كلِّ شيءٍ آخرٍ، ألَّا ننسى كلام الرَّبِّ القائل: «ومَنْ أُعطيَ كثيرًا يُطلَبُ مِنهُ الكثيرُ، ومَنِ ائتُمِنَ على كثيرٍ يُطالَبُ بأكثَرَ مِنهُ» (لو ١٢: ٤٨)، ولا القول الرَّسولي: «حانَ الوَقتُ الذي بِه تَبتَدِئُ الدّينونَةُ بِأهلِ بَيتِ الله» (١ بط ٤: ١٧). (١٣٤) فها المسيح بعد أن غسل أرجل رسله وقت العشاء الأخير، بمَن فيهم يهوذا الإسخريوطي، قال: «والآنَ عَرَفْتُم هذِهِ الحَقيقَةَ، فهَنيئًا لكُم إذا عَمِلْتُم بِها» (يو ١٣: ١٧)، مخاطبًا إيَّانا واحدًا واحدًا. فها نحن المسيحيِّون الأرثوذكس نُسرع لنقِر بإنَّنا «نعرف هذه الأمور» وتبقى

كلمتها نهائيةٌ فاصلةٌ، بل الإكليروس يقودون الكنيسة بنعمة الله وقوَّته المؤتمنين عليها، وقيادتهم ليست قيادةً آليَّةً أو سحريةً أو غير قابلةٍ للخطأ والنَّقد أو النَّقض. وإن كان الإكليروس «يدينون» سلوك المؤمنين، لاسيَّما في شأن الاشتراك في أسرار الكنيسة، فأحيانًا هم أنفسهم خُطِّئوا في حكمهم. فمثلًا: رفض ق. مكسيموس المعترف التَّناول في كنيسته، إذ كان مقتنعًا بأن قادتها كانوا على خطأٍ ما مِن جهة الإنجيل. وقد ناله العذاب مِن جرَّاء قناعته، إلَّا إنه اعتُرِفَ به قديِّسًا بعد انتقاله. وصارت تعاليمه عن المسيح اعترافا رسميًّا قانونيًّا في الكنيسة الأرثوذكسيَّة في المجمع المسكوني السَّادس.

التعبيرات: «وحدة الإيمان»، «شركة الرُّوح القُدُس» في غِنى الإفخارستيا هي بـ «فكرٍ واحدٍ» و «قلبٍ واحدٍ» و «فمٍ واحدٍ» مأخوذةٌ مِن ليتورجيا ق. يوحنا الذهبيّ الفم، وليتورجيا ق. باسيليوس المستخدمة في الكنيسة الأرثوذكسيَّة.

(١٣٤) في السَّطر الأخير مِن إفشين الذكرى في أنافورا ق. باسيليوس الكبير، يُدعى المسيحيِّين الأرثوذكس «أهل بيت الله» إذ «يعطيهم» الله كلَّ شيءٍ: «اقبَلْنا جَميعًا في مَلَكوتِكَ جاعِلاً إيَّانا بَني النُّورِ وبَني النَّهارِ. هَبْ لَنا سلامَكَ ومَحبَّتَكَ أيُّها الربُّ إلهُنا، فإنَّكَ قَدْ مَنَحتَنا كُلَّ شيءٍ». هذا الإقرار هو إعلان قبولهم مسؤوليَّة المجاوبة عن «كلِّ شيءٍ» قبلوه مِن الله.

القضيَّة حاضرةً أمامنا، إذ يجب أن تكون لنا جرأة المجاوبة عن «الكيفيَّة» التي عملنا بها «ونعمل بها» ما نعمل، بقدر ما كانت لنا جرأة الفعل «مِن جهة الدينونة والحرم»، فاليوم آتٍ، يومَ نقف أمام الدَّيَّان العادل لنُعطي جوابًا.[١٣٥]

(١٣٥) رتَّبت كلُّ ليتورجيا أرثوذكسيَّة الطِّلبة التي تُرفع إلى الله، ليعطي كلَّ واحدٍ «جوابًا حسنًا لدى منبر المسيح المرهوب».

الميول والتَّوجُّهات المِثليَّة والرعاية الكهنوتيَّة

لكي ينال المسيحيِّون الأرثوذكس ذوو الميول المِثليَّة الغلبة في الحرب الرُّوحيَّة «غير المنظورة» التي يجاهدون فيها، يلزمهم أن يكشفوا رغباتهم الجنسيَّة للكهنة رعاتهم، وآباء اعترافهم، وآبائهم المرشدين الرُّوحيِّين، وأصدقائهم المترفِّقين بهم. لذا يجب على رعاة الكنيسة والمدبِّرين أن يكونوا أمناء ومحبِّين ومجاهدين حسنًا ضدَّ خطاياهم الخاصة، وأن يعترفوا مقرِّين بتعدِّياتهم، وأن يقدِّموا توبةً يتحوَّلون بها عن سقطاتهم، وأن يقبلوا مشورة مشيريهم وآبائهم الرُّوحيين لصلاح حياتهم الرُّوحيَّة وأصالتها، ليصيروا بأمانتهم لحياتهم الرُّوحيَّة آباءً وأُمَّهات حقيقيِّين، وإخوةً وأخوات أمناء لإخوتهم، وأصدقاء صادقين حقيقيِّين كمعينين نافعين للذين «يعملون «معهم» ليكمِّلوا خلاصهم «معهم» بخوفٍ ورعدةٍ،» لأنَّ الله «يَعمَلُ فيكُم لِيجعَلَكُم راغِبينَ وقادِرينَ على إرضائِهِ» (في ٢: ١٢-١٣).

يُلزِم التَّقليدُ الأرثوذكسيُّ الأسقفَ أن يكون إنسانًا مشهودًا له بصحَّة الإيمان وحُسن السِّيرة، يلتزم كلَّ حيطةٍ وحذرٍ فيمَن يُشرطِنهم كهنةً ورعاةً وخُدَّامًا في رعيَّة الله الذي استؤمن عليها.[١٣٦] وأيضًا مِن

(١٣٦) «اخبروني: مِن أين تصدُر اضطرابات الكنيسة؟ أرى أن مصدرها هو العشوائيَّة وعدم التَّدقيق في اختيار الرُّعاة». راجع:

St. John Chrysostom, *On the Priesthood*, Book 3.10; see also Book 4.1-2 (Crestwood, NY: SVS Press, 1984), pp. 79, 104-113.

جهة اختيار شعب الكنيسة رعاته وكهنته، يعلِّم التقليد الأرثوذكسيُّ بوجوب توخِّي الحذر في اختيار الكاهن والمعلِّم وأب الاعتراف ومقدِّم المشورة، لأجل صالح أعضاء الكنيسة، ولمنفعة حياتهم وحياة بنيهم وبناتهم. لذا ينبغي على أعضاء الكنيسة ألَّا «يعلنوا عن ميولهم الجنسيَّة وهويَّتهم الجنسيَّة» (*come out*) بما يعتمل في نفوسهم وأفكار قلوبهم، أمام شخصٍ، كائنٍ مَن كان، ليس محلَّ ثقةٍ أو مورد محبَّةٍ موثوقةٍ ومأمونةٍ، أو يسمحوا لبنيهم وبناتهم أن ينفتحوا على غير الموثوق أو غير المؤتمن[١٣٧] لأنَّ الانفتاح وكشف الأفكار والميول والتَّوجُّهات يكون لطلب المعونة

وأيضًا، تلتزم القوانين الأرثوذكسيَّة شروط الأهليَّة للكهنوت الواردة في (١ تي ١:٣-١٣؛ طي ١: ٥-٩).

أمَّا بخصوص متطلَّبات السُّلوك الجِنْسيِّ، فإنَّ القاعدة الأرثوذكسيَّة هي أن يُختار الأسقف والكهنة مِن الرِّجال المتزوِّجين مرَّةً واحدةً والملازمين العفَّة، ومِن القرن السَّادس، صارت البتوليَّة شرطًا للأسقفيَّة. وأيضًا المدعوُّين للكهنوت غير المتزوجين إلى وقت الاختيار مِنهم، يجب أن يكونوا بتوليِّين، والمتزوِّجون «وزوجاتهم» يجب أن يكونوا قد حفظوا بتوليَّتهم إلى وقت زواجهم. واليوم، ولأسبابٍ لا تخفى على أحدٍ، يُفعَّل التَّدبير ذاته، ولكن باشتراط العُذريَّة على المتقدِّمين أو المدعوُّين ليُختار مِنهم إكليروس. فيمكن بذلك الشَّرط أن يُرسَم كهنةٌ مِن ذوي الميول المِثليَّة ما دامت ميولهم تحت التَّحكُّم ولا تدفع بهم إلى سلوكٍ خاطئٍ، وهم باقون على عُذريَّتهم. والشَّرط نفسه يُطبَّق على الغيريِّين مِن ذوي الاضطرابات الجِنْسيَّة نحو النِّساء. ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى أن الرِّجال والنِّساء مِن ذوي الميول المِثليَّة تُعقَد زيجاتهم على آخرين «مِن الجِنْس الآخر» ما داموا حافظين عفَّتهم غير مدفوعين إلى نشاطٍ جنسيٍّ مِثليٍّ، ومستندين على دعم ومساندة شركائهم «زوجاتهم وأزواجهن» لهم في جهادهم في حياتهم الجِنْسيَّة بجانب باقي المشاعر التي تصاحب الاضطرابات الجِنْسيَّة كالشُّعور بالخزي والذَّنب والغضب واليأس والإحباط، بل حتَّى التي قد تصل بهم إلى الانحصار في الذَّات.

(١٣٧) راجع: يوحنَّا السُّلَّمي، السُّلَّم إلى الله، ٤: ٦، ١٢٠. (المرجع بنصِّه).

والمشورة والشِّفاء مِن الفكر والفعل الخاطئ.[١٣٨]

الرِّعاية الكهنوتيَّة في الأرثوذكسيَّة، وبحسب تعريفها، هي ممارسة الإيكونوميا «التدبير» (*oikonomia*)[١٣٩]. لا أحد يحفظ كلَّ مقتضيات الإيمان المسيحيِّ دون نقيصةٍ، لذا وجبت الاحتياطات، ولكن ليس بدون المرونة الكافية في التَّعاطي مع مَن يجاهدون ويسقطون. هذا يعني أَن التَّدبير الرَّعائي لازمٌ لكلِّ عضوٍ في الكنيسة، على نحوٍ أو آخرٍ، وفي وقتٍ أو آخرٍ، ودون استثناءٍ بحسب ما يوافق ويعمل لخلاص كلِّ أحدٍ.[١٤٠] ويعني أيضًا وجوب ممارسة الرُّعاة ومقدِّمي المشورة «الإفراز

---

(١٣٨) لا أقول هنا بأن يكتم النَّاس خطاياهم عن آباء اعترافهم، ولا يجدر بهم هذا، بل ألَّا يذهبوا للاعتراف على آباءٍ لا يثقون بهم. ويصدُف أن يحدث استثناءٌ، كأن يذهب معترفٌ إلى أب اعترافٍ ولا يخفي عليه أيَّ شيءٍ مِن خطاياه، ولكنه لا يدخل إلى التَّفاصيل العميقة، لا سيَّما تفاصيل الخطايا الجِنْسيَّة «الآباء القدِّيسون يعلِّمون بإجماعهم بألَّا يخوض أحدٌ عميقًا في تفاصيل خطاياه الجِنْسيَّة وهو يعترف» وهو يميِّز أنَّ الأب الذي يعترف عليه غير قادرٍ على احتمال اعترافاته أو التعامل معها كما يجب. في هذه الحالة النَّادرة، يلزم التَّائب أن يجد، وبسرعةٍ، أبًا للاعتراف يطمئن له ويثق به لينفتح عليه «ولكن، مرَّةً أُخرى، دون أن يخوض عميقًا في تفاصيل خطاياه الجِنْسيَّة وهو يعترف، بحسب وصيَّة الآباء».

(١٣٩) للأسف، ليست في الإنجليزيَّة [لغة وضع الكتاب] كلمةٌ تساوي كلمة (*Oikonomia*).

(١٤٠) ليس «التَّدبير» (*Oikonomia*) استثناءً مِن شريعة الله أو إلغاءً لوصاياه، بل هو بالفعل التَّفعيل العملي المناسب لوصايا الله على أُناسٍ في ظروفٍ ما، ولأسبابٍ عِدَّةٍ، لا يمكن لهم فيها أن يتمِّموا القانون والوصيَّة بحذافيرهما؛ التَّدبير يبتغي، أوَّلًا وأخيرًا، خلاص الإنسان وحياته. وهو يُطبَّق مِن قِبَل الآباء الحُكماء المتمرِّسين الذين لهم الحواس مُدرَّبةٍ على التَّمييز، ليعينوا ويقوُّوا ويمكِّنوا الذين يرعونهم للتَّقدُّم خطوةً خطوةً على درب نموِّهم الرُّوحيِّ «والنَّفسيِّ والعاطفيِّ والجسمانيِّ والجِنْسيِّ» الخاص والشَّخصيّ للكمال في الحياة والمحبَّة الإلهيَّة.

والتَّمييز» (*diakrisis*) فيما يرتجونه مِن أحد أعضاء الكنيسة وفق واقع حياته ومجرياتها، إذ يجب أن يكون الرُّعاة ومقدِّمو المشورة نائلين نعمة التَّمييز، ومهارة تقديم المشورة التي تنفع المستشير والمخدوم نفعًا واقعيًا إلى استنارةٍ روحيَّةٍ ونموٍّ.[١٤١] وهذا يقتضي مِن الرُّعاة ومقدِّمي المشورة أن يتحلُّوا بالصَّبر مليًّا ويعطوا وقتًا لمَن يجاهد حسنًا ضِدَّ عمل الخطيَّة. فإذا كانوا يصبرون، فإنهم لا يبرِّرون الخطيَّة أو السُّلوك بالخطيَّة، بل يميِّزوا للنَّاس ما يصعب عليهم تمييزه، فيقبلوا مشورة رعاتهم ومشيريهم ويكرِّسوا بدورهم -كفاهمين بعد جهلٍ وتخبُّطٍ- وقائع حياتهم ومجرياتها

---

(١٤١) تُترجم كلمة (*diakrisis*) في الأدب والتَّقليد الأرثوذكسيِّ إلى الإنجليزيَّة بـ (*discrimination*) و (*discernment*) بما يقابل «التَّمييز والإفراز» في العربيَّة. والآباء القدِّيسون يعلِّمون بأنَّ فضيلة التَّمييز هي الفضيلة الأهم على سائر الفضائل، إذ تُقتنى بالتَّعب الكثير والجِّهاد المثابر لنوال نعمة الله والثَّبات فيها، وهي ثمرة الاتِّضاع التي «للقلبِ المتواضع والمنكسر». فهكذا علَّم الآباء بأنَّ أحدًا لا يقتني التَّمييز إلَّا بالقلب «المنكسر والمنسحق والمتألِّم». وإن كان كذلك، فكثيرين نالوا فضائل بالجِّهاد في النُّسك، أمَّا التَّمييز، فلم يُعطَ إلَّا لقليلين. ويقول ق. يوحنَّا السُّلَّمي إنَّ المعلِّمين يُقامون للتعليم مِمَّا في الكتب، ولكن ليس لأحدٍ، بدون نعمة التَّمييز، أن يمارس دورًا رعويًّا ولا تؤخذ مشورةٌ أو تدبيرٌ روحيٌّ مِمَّن ليست له فضيلة التَّمييز والإفراز. راجع:

St. John Climakos, *The Ladder of Divine Ascent*, Step 26. See also Anthony the Great, 8, and Syncletica, 17, in *The Sayings of the Desert Fathers*.

وأيضًا «عن آباء الإسقيط القدِّيسين» للقديس يوحنَّا كاسيان وخطابه «عن فضيلة التَّمييز» المكتوب إلى الأب لوانتيوس، «التَّمييز الحقيقي» للقديس بطرس الدِّمشقي في «كنوز المعرفة الإلهيَّة» هذه النُّصوص يمكن الرُّجوع إليها «بالإنجليزيَّة» في التَّرجمة البريطانيَّة للفيلوكاليا:

(London: Faber and Faber, 1979, 1984), Saints Barsanuphios and John, *Guidance Toward Spiritual Life* (Platina: St. Herman of Alaska Brotherhood, 1990), pp. 262-264.

للنموِّ إلى «إلى الإنسانِ الكامِلِ، إلى مِلءِ قامَةِ المَسيحِ» (أف ٤: ١٣).

لذا تتطلَّب رعاية أعضاء الكنيسة الذين يجاهدون الميول المِثليَّة، في وقتنا هذا، وفي إطار معطيات عالمنا المشوَّه، قدرًا كبيرًا مِن التَّمييز والصَّبر والشَّفقة الواعية والمحبَّة المترفِّقة؛ الأمر يستلزم سِعة صدرٍ وقدرةً على الإنصات والتَّواصل، ونظرةً مُميِّزةً فاحصةً، ليكون الردُّ بمحبَّةٍ صادقًا أمينًا، فلن يخلُ حمل ثقل المتألِّم مِن شركة الألم وبصبرٍ وبلا تململٍ، بل حتَّى التَّوجُّع معه ومِن أجلِه بجهادٍ في صلاةٍ ورجاء يستتر في الصَّمت ويُفعَّل في القبول وطول الأناةِ. الأمر يتطلَّب رغبةً صادقةً مِن جهة الرَّاعي والمدبِّر والآباء والأُمَّهات ومقدِّم المشورة والأصدقاء، إذ ليس الأمر مجرَّد مساندةٍ أو تشجيعٍ للإخوة والأقراب ذوي الميول المِثليَّة على قياس «الميل الثاني» بل الالتزام بهم حتَّى المنتهى، ودونما يأسٍ مهما كان الحال. إن رعايةً كهذه تأتي بما يختبر إيمان الرَّاعي ومحبَّته، وما يقيس مدى التزامه بعدم الإدانة التي بالازدراء والاستعلاء، لتبرهن على استعداد الرَّاعي لبذل ذاته وحياته لأجل حياة الآخرين وخلاصهم. ومِن جهة الإخوة المسيحيِّين ذوي الميول المِثليَّة، يتطلَّب الأمر أن يحبُّوا مشيريهم ويصبروا معهم، وأن يسمعوا لهم بانتباهٍ وقبولٍ، وأن يطلبوا بصلاةٍ بلجاجةٍ مِن أجل أن يطيعوا رعاتهم ومشيريهم بما يليق كمؤتمنين عليهم وألَّا يلحقوا بهم أذى.

يندر في وقتنا هذا الرَّاعي المتمرِّس على التَّمييز والذي به يدبِّر الرعية. هذا لأنَّ غالبيَّة مَن يعدُّون أنفسهم مسيحيِّين، والأرثوذكس ضمنًا، لم يُكرَز لهم كما يجب، ولم يُتلمَذوا حسنًا في الإيمان المسيحيِّ. ولسببٍ آخرٍ

أيضًا، ألا وهو انقياد النَّاس بمشاعرهم الشَّخصيَّة؛ لا يحكمون في أنفسهم أو سلوكهم إلَّا كما يروقهم، ولا يبنون خبراتهم ورؤاهم للعالم وذواتهم إلَّا على ما يعتبرونه أحدث ما توصَّل إليه العلم الحديث، بينما الرِّعاية الرُّوحيَّة والصَّداقة الخالصة الأمينة، حتَّى التي بين الإنسان وأبويه أو راعي كنيسته، مفتقدةٌ وصعبة البناء، وإن كانت، فهي لا تُشبع كأنها غير موجودةٍ كليَّةً.

تحفظ الارثوذكسيَّة لطالبي المعونة والإرشاد في طريق المسيح بالرُّوح القدس الحقَّ كاملًا في توفير وتقديم المشورة والدَّعم. ولعلَّ القولين: «عندما يستعد التِّلميذ، يظهر المعلِّم،» والآخر «لحاجة السَّائل تفتح فمَّ الحكيم «الشَّيخ» يعبِّران عن قناعةٍ أرثوذكسيَّةٍ مبنيَّةٍ على وعد الرَّبِّ الثَّابت، والذي تشهد لحقيقته وصدقه خبرات وحيوات أشخاصٍ لا حصر لهم. وأيضًا، وبشهادة الشُّيوخ والمدبِّرين، فإنَّنا كلَّنا عندنا الإنجيل وخِدَم الكنيسة وسير وكتابات القدِّيسين وتقليدهم، هذه التي بها كلَّها ابن الله اللوغوس والرُّوح يقدران أن يعيننا متى غاب المدبِّر الحكيم أو إذا لم يوجد واحدٌ ليُسأل. ونخلصُ مِن هذا كلِّه إلى أنَّ التَّبعيَّة وقبول المشورة والرِّعاية لهم شرطٌ، وهو التَّواضع، لا بصلابة رأيٍ ولا بعنادٍ، بل بإرادةٍ حاضرةٍ أمينةٍ لقبول التَّعليم والانقياد والتَّأديب مِن الله للشِّفاء[١٤٢]

(١٤٢) راجع (مز ٢٥: ٩). وأيضًا، مرَّةً أُخرى، راجع:

St. Ignatius Brianchaninoff, *The Arena,* throughout.

-٢٦-

الميول المِثليَّة وطلب وتقديم المشورة

عندما أُسأل عن الجانب العمليِّ في رعاية المسيحيِّين مِن ذوي الميول المِثليَّة، وبغضِّ النَّظر عمَّا إذا كانوا يقاومون الميول أم لا، أجيب بما عندي مِن قناعاتٍ، والتي أنا موقنٌ باتِّفاقها التَّام مع تعليم التَّقليد الأرثوذكسيِّ ومنهجه في الخدمة العمليَّة.

يجب على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن يحبَّ الآتين إليه طالبين العون في هذا الأمر. يجب على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن يوحِّد ذاته معهم كمساويين بلا تمييزٍ. يجب على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن يحترم ذوي الميول المِثليَّة. يجب على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن يصغي ويحسن الإنصات والتَّفهُّم. يجب على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن يضع ذاته مكان طالبي الدَّعم والمعونة والمشورة مِن ذوي الميول المِثليَّة، ليحسَّ ألمهم ويدرك عمق ما يقاسونه أو يجوزونه أكثر مِن انشغاله بمتاعبه الخاصَّة. يجب على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن يشفع لهم أمام الله. يجب على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن يعي جيدًا كمَّ الضغط -أو قُل الصَّدمة- الذي يقاسيه طالبو المشورة مِن ذوي الميول المِثليَّة عندما يدركون مِثليَّتهم أو يمارسونها، لأنَّ هذا الشعور بالذَّات هو افتقادٌ إلهيٌّ وتعبيرٌ مغبوطٌ عن مشيئة الله الصَّالحة لهؤلاء المتألِّمين ليقودهم لمنفعتهم وصالحهم وصالح الآخرين الذين يقاسون مِثلهم. ويبقى أن ينتبه الرَّاعي أو مقدِّم المشورة جيدًا وبوعيٍ إلى الحيل والمغالطات التي غالبًا ما تُصاغ صياغات خادعةً

مُقنَّعةً لتُوظَّف للدِّفاع عن الميول المِثليَّة -النَّشاط الجنسيِّ المِثليِّ- فتقدِّمها كحقٍّ شخصيٍّ أو كمتغيِّرٍ مِن صُنع الله لا كشرٍّ، ولا يُستثنى مِنها ما يُفسَّر به الإنجيل ليدافع عن هذه الميول ولا يُخطِّئ تلك الممارسات.

وأيضًا، يجب على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن يدرك صعوبة انفتاح ذوي الميول المِثليَّة لمصارحة «واحد بتاع كنيسة» بمشاعرهم وميولهم، الأمر صعبٌ ويظلُّ صعبًا رغم ما فيه مِن شجاعةٍ وحملٍ للذَّات على الانفتاح والمكاشفة.. صعبٌ حدَّ التَّغصُّب! ولعلَّ أهمَّ ما في الأمر هو أن يبيِّن الراعي أو مقدِّم المشورة «ومِن بداية التَّواصل مع طالب المشورة» أنَّ الشَّخص أولى بالاهتمام والتركيز معه أو معها أكثر جدًا مِن الاهتمام بأسرته أو أسرتها. وجملة القول هي استناد الرَّاعي أو مقدِّم المشورة المسيحيِّ الأرثوذكسيِّ إلى قناعاته وإيمانه بمسؤوليَّةٍ أمينةٍ واعيةٍ، وهو يقدِّم المعونة أو الرِّعاية أو المشورة، لكي يحفظ حريَّة طالب المعونة أو المستشير الكاملة، وتمامًا، في قبول أو رفض هذه القناعات، وبالتَّبعيَّة قبول أو رفض المعونة والمشورة بوعيٍ ومسؤوليَّةٍ.(١٤٣)

ومِن جهة عمليَّة طلب وتقديم المشورة في حدِّ ذاتها، فإن الهدف الأوَّل والأهم هو توصُّل المستشير مِن ذوي الميول المِثليَّة -حالهم حال

(١٤٣) نجد نموذجًا مثاليًّا لهذا لتوجُّه حفظ القناعات بما يؤثِّر في السُّلوك في سيرة حياة ق. مكسيموس المعترف: فعندما طُلِب إلى القدِّيس أن يدين خصومه -بمَن فيهم الأباطرة والأساقفة الذين رفض الاشتراك معهم في الذَّبيحة المقدَّسة- رفض ولم يقل فيهم إنَّهم أشرارٌ، بل أجاب قائلًا إنَّ الله هو مَن يدينهم. وإنَّ ما عرفه وتيقَّن مِنه، بل ما أصرَّ عليه، هو ألَّا يقبل رأيهم ولا يتواصل معهم، بمقتضى قناعته بأنَّهم كانوا يخونون الإنجيل وتعليم المجامع المقبول في كلِّ الكنائس الأرثوذكسيَّة.

كلّ طالب مشورةٍ في أيّ أمرٍ أو سلوكٍ- إلى قناعةٍ -بدون حملٍ- تجعله يتوقّف عن سلوكه أو سلوكها الخاطئ. توقُّف المستشير عن «الممارسة - السُّلوك وفق الميول» هو الأمر الحاسم في العمليّة كلّها. والتَّوقُّف هذا، أو على الأقلّ الوعد بمحاولة التَّوقُّف، هو قرارٌ يؤخذ غالبًا -إن لم يكن دائمًا- على أساسٍ إيمانيٍّ أكثر مِنه على قناعةٍ فكريّةٍ جدليّةٍ. والأساس الإيمانيُّ هذا هو ثقة المستشير بنصيحة مشيره، التي يقبل بها أن التَّوقُّف عن الممارسة الخاطئة هو -بحسب الإيمان المسيحيّ- الشَّرط الضَّروري لإدراك ما بها مِن خطأٍ.

التَّوقُّف عن الممارسة هو شرط فهم الخطأ في الممارسة! الأمر واضحٌ بسيطٌ لا لبس فيه. لأنَّ المُنخرط في سلوكٍ مدمِّرٍ، لا يقدر أن يرى بوضوحٍ ليعقِل ما يعمل، وهذا بدوره يمنع فهمه لسبب الخطأ في سلوكه، ويمنع تبيُّنه أسباب وجود الخطأ في حياته وتملُّكه عليه؛ استمرار ممارسة السُّلوك الخاطئ يعمي عين التَّمييز ويربط الإرادة ويقطع كلَّ فُرَص مناقشة السُّلوك مناقشةً بنَّاءةً. فعلى سبيل لمثال، أن «تحاور» شخصًا يُدمِن الخمر أو شخصًا يُفرط في الأكل أو شخصًا متعدِّد العلاقات الجِنْسيَّة لهو وقتٌ ضائعٌ وجهدٌ مُهدرٌ لا يؤول إلى أي نتيجةٍ. لذا كانت الكلمة الأولى التي تشكِّل هدف المشورة جملةً وتفصيلًا هي تغيير السلوك لا التَّجادُل في الرَّأي أو الانطباع؛ الأمر أمر تغيير سلوكٍ لا تغيير إيمانٍ.

إنَّ جلسة المشورة ليست وقتٍ للوعظ أو للإدانة أو لإطلاق الأحكام، وقطعًا لا تبدأ بأيٍّ مِن هذه، ولا تنطلق مِنها ولا إليها، بل تركِّز على التَّعليم والتَّوعية والتَّشجيع كركنٍ أساسيٍّ مِن عمليَّة تقديم المشورة. هذا لأنَّ

الرَّاعي ومقدِّم المشورة المسيحيِّ الأرثوذكسيِّ يتعاطيان مع الفكر والقلب والإرادة، الأمر الذي يتطلَّب الوقت الكثير، وقد يطول إلى سنوات، ولا مشكلة في ذلك، فلا داعي لاستعجال النَّتائج، بل يأخذ حراك المشورة ما يلزمه مِن الوقت ليثمر منفعةً وتغييرًا. قلنا إنَّ المشورة ليست وقت وعظٍ، وإنَّ الأمر أمر تغيير سلوكٍ لا تغيير إيمانٍ. هذا لأنَّ ما المنفعة مِن الحوار حول الجِنْس والمتحاورين على خلافٍ -أو قُل على عدم تفاهمٍ- بشأن الإيمان المسيحيِّ؟ وقلنا أيضًا إنَّ التَّوقُّف عن الممارسة الخاطئة هو شرط إدراك ما بها مِن خطأٍ، وإلَّا فما المنفعة مِن الكلام النَّظري عن الخطيَّة؟

أمَّا مِن جهة التَّنظيم، فإنَّ جلسة المشورة المقدَّمة لمستشيرٍ مِن ذوي الميول المِثليَّة -شأنها شأن أيِّ جلسة مشورةٍ تقدَّم لغيره- يجب أن تخضع لضوابط ومعايير تحديد مُدَّة الجَلسة، وترتيب محتواها بما يناسب مدى التَّفاعل وتدرُّجه بين مقدِّم المشورة والمستشير، وأن تُرَتَّب على مواعيد منتظمةٍ. ويجب أن يكون التَّواصل فيها بلطفٍ، ولكن مع حفظ كامل الحريَّة الشَّخصيَّة والخصوصيَّة والحدود الشَّخصيَّة. ويجب أن يسودها جوٌّ مِن المحبَّة والثِّقة المتبادلتين. وأضيف إنَّني أتَّفق كليًّا مع مَن يصرِّون على أن يكون طرفا المشورة مِن نفس الجِنْس.

وأيضًا، ينبغي على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن يُبقي المستشير في حياة شركة أسرار الكنيسة قدر ما يمكن وبطول عمليَّة المشورة. وكما قلنا قبلًا إنَّ المشورة ليست لتغيير الإيمان، وتعقيبًا على إبقاء المستشير في شركة الكنيسة، قد تلحُّ الضَّرورة على أن يُمنَع المستشير مِن الشَّركة في الإفخارستيا عندما تُضاد قناعاته الواعية والطوعيَّة إيمان الكنيسة أو

تخالف عقيدتها. فإن كان مِن شكٍّ في نضج قناعة المستشير التي تخالف إيمان الكنيسة، أي إن شكَّ الرَّاعي أو مقدِّم المشورة أن المستشير يرفض قناعات وإيمان الكنيسة رفضًا واعيًا تمامًا وعن إدراكٍ وبحريَّةٍ، تُفترَض صِحَّة إيمان المستشير بما يؤول إلى منفعته. وأيضًا، إذا كان الشَّخص يسقط في الممارسات الخاطئة كثيرًا فيقوم دومًا مقدِّمًا توبةً صادقةً، فإنَّه يُقبل في شركة الكنيسة كالمجاهد حسنًا وكالواضع رجاءه في غنى مغفرة الرَّبِّ وجزيل رحمته.

وقد يتبيَّن المستشير، في مرحلةٍ ما مِن عمليَّة المشورة، أنَّه لا يؤمن الإيمان المسيحيَّ كما تقدِّمه وتعيشه الكنيسة الأرثوذكسيَّة. في هذه الحالة، نعيد ما قلناه سابقًا، يجب على الرَّاعي أو مقدِّم المشورة ألَّا يدين المستشير أو يحكم عليه بأي شكلٍ كان، بل يبقي المستشير مُرحَّبًا به لحضور اجتماعات الكنيسة الرعويَّة بمحبَّة وقبولٍ. ويجب أيضًا التَّأكيد على عدم غلق باب الحوار مع المستشير، إذا رغب في استمرار الحوار مع مقدِّم المشورة. ولا يقطع الرَّاعي أو مقدِّم المشورة علاقته بالمستشير أو يمنعه مِن شركة اجتماعات الكنيسة، إلَّا بسببٍ واحدٍ وحيدٍ، ألا وهو نشره تعاليم أو ممارسات تخالف الأرثوذكسيَّة، لأنَّ هذا الأمر قد يضرُّ الآخرين، لاسيَّما الشَّباب الصَّغير. فلا تفرِّق الكنيسة -في مَن يضرُّ الإخوة- في حكمها بين شخصٍ مِن ذوي الميول المِثليَّة وآخرٍ غيريٍّ مِن جهة كلِّ تعليمٍ أو سلوكٍ تجده الأرثوذكسيَّة مخالفًا لقصد الله الصَّالح، كما تقدِّمه وتعيشه، حفظًا وتفعيلًا لمسؤوليَّة الكنيسة عن سلامة الشَّعب.

-٢٧-

الميول المِثليَّة والشَّهادة للإيمان المسيحيِّ في عالم اليوم

يتعيَّن على كلِّ إنسانٍ -مِن ذوي الميول المِثليَّة كان أو غيري، لا استثناء لأحدٍ- أن يقرِّر إلى أيِّ مجتمعٍ ينتمي، ولأجل أيِّ مجتمعٍ يبذل ذاته بذلًا كما مِن القلب. فإذا كان الإنسان هذا مسيحيًّا، يجب عليه أن يقرِّر أيَّة كنيسة هي الأمينة للإله الحقيقي ويسوع الحقيقي، حيث الرُّوح القدس حاضرٌ ويعمل بقوَّةٍ وسلطانٍ، ليختار فيها مَن يقبله أبًا وراعيًّا ومعلِّمًا وأخًا وأختًا وقريبًا وقريبةً في المسيح، ثمَّ مَن مِن القدِّيسين يكرِّمهم ويقتدي بسيرتهم ليتشبَّه بهم. هذا كلُّه هو أن يقرِّر الإنسان أين يجد الحياة التي يريد عيشها، ليختبر «ملء الحياة» ويكون له «الأفضل» (راجع يو ١٠: ١٠)، الذي المسيح يعطيه، أي أن يختبر الحياة «الحقيقيَّة» (راجع ١ تي ٦: ١٩). فيعني قراره هذا أنَّه يعرف ويختبر ماهيَّة المحبَّة الإلهيَّة، وكيف تكون، ومَن تكون، وما تتطلَّبه مِمَّن يؤمنون بأنَّ الله محبَّةٌ.

تتطلَّب الشَّهادة للمسيحيَّة الأرثوذكسيَّة في عالم اليوم وجود مؤمنين ومؤمنات يقاومون بنعمة الله التَّعبير عن محبَّتهم لأُناسٍ مِن نفس جنسهم بالممارسات الجِنْسيَّة، تلك التي يُقال إنَّها أفعال محبَّةٍ، إلَّا إنَّهم يعرفون حقيقتها ويدركون أنَّها (خيانةٌ) للمحبَّة الإلهيَّة. الإنسانيَّة تحتاج إلى نموذج الشَّجاعة هذا الآن واليوم أكثر مِن أيِّ وقتٍ مضى بطول تاريخها. وهؤلاء الذين دعاهم الله لهذا الجِّهاد الملحمي هم المختارون للصُّفوف الأولى في الحرب الرُّوحيَّة التي تدور رحاها في زمننا هذا. هؤلاء هم

المدعوُّون ليكونوا شهداءً ومعترفين للمسيح أمام حالة الإنسانيَّة الرَّاهنة. وهم الذين نالوا بركة الشَّهادة -ربَّما أكثر مِن سواهم- عن حقيقة وجود عدوِّ الإنسانيَّة في كلِّ مكانٍ وتربُّصه بكلِّ أحدٍ.

وعدوُّ الإنسانيَّة ما هو إلَّا محبَّة الذَّات، وتسلُّط الذَّات على الإرادة، وفرض الذَّات على حساب الآخر، وهذيان الذَّات الذي يسود على الكيان الإنساني والحياة الإنسانيَّة في هذا العالم الفاسد الفوضوي الذي وضِع في الشِّرِّير.[١٤٤] العدوُّ هو «حِكمَةُ العالمِ وحِكمَةُ البَشَرِ» (راجع ١ كو ١: ٢٠؛ ٢: ٥)، الحكمة الدُّنيويَّة النَّفسانيَّة «البشريَّة» الشَّيطانيَّة، الحكمة المضادَّة لحكمة الله «النَّازِلة مِن فَوقُ» (يع ٣: ١٥-١٧). وهي أساسًا «بشارةٌ صادِرةٌ عَن البَشَرِ، «المأخوذة» عَن الإنسانِ» للذين يعبدون «إلَهَ هَذا الدَّهرِ» الإله الذي اخترعوه، أو الذي فُرِض عليهم لا الإله الحيَّ الحقيقي الذي خلقهم، (راجع غل ١: ١١؛ ٢ كو ٤: ٤).

عدوُّ الإنسانيَّة هو أصلًا الشَّيطان، كما يُعرِّفه الإنجيل: «قتَّال النَّاس مُنذُ البَدءِ، وأبو الكَذِبِ، ولا يَثبُت في الحقِّ، لأن لا حقَّ فيه» (يو ٨: ٤٤). عدوُّ الإنسانيَّة هو «الشِّرير» الذي العالم «وضِعَ فيه» (١ يو ٥: ١٩)،

---

(١٤٤) محبَّة الذَّات المقصوده هنا هي الـ «فيلوتيا» (*philautia*) وهي ليست المحبَّة الإيجابيَّة التي بحسب قصد الله، والتي كان ينبغي على الإنسان أن يحبَّ بها ذاته كونه خليقة الله الصَّالحة والحسنة جدًّا والذي المسيح مات لأجله، بل الفيلوتيا هي المحبَّة الخاطئة للذَّات، المتوجِّهة ضِدَّ محبَّة الله ومحبَّة القريب. وهي التي يعلِّم عنها ق. مكسيموس المعترف أنَّها هي خطيَّة الإنسانيَّة الأولى، وسبب بقيَّة الخطايا وصنوف البؤس. راجع على سبيل المثال:

St. Maximus the Confessor, *Third Century on Love*, 7- 11, 56-57.

الذي يطلب المسيحيُّون إلى الله أن ينجِّيهم مِنه في الصَّلاة التي سلَّمهم إيَّاها الرَّبُّ، (راجع مت ٦: ١٣).[١٤٥] عدوُّ الإنسانيَّة هو «الشَّيطان وكلُّ أعماله وكلُّ ملائكته وكلُّ عبادته وكلُّ سلطانه» الذي يجحده المسيحيُّون ويزدرون به في معموديَّتهم.[١٤٦] عدوُّ الإنسانيَّة هو الذي المسيح أتى ليسحقه على الصَّليب: «وإنَّما ظهَرَ ابنُ الله ليَهدِمَ أعمالَ إبليسَ» (١ يو ٣: ٨).

يؤمن المسيحيُّون الأرثوذكس بأنَّ كلَّ إنسانٍ مدعوٌّ لسحق عدوِّ الإنسانيَّة بقوَّة الله. فهم يؤمنون بأنَّ هذا ممكنٌ بالمسيح «قُدرةُ الله» الغالبة.[١٤٧] لأنهَّم يُفعِّلون في أنفسهم قوَّة الله التي في المسيح بقبولهم أن يصلبوا ذواتهم مع يسوع لأجل العالم، ليُقاموا معه إلى «جِدَّة الحيَاةِ» (راجع غل ٦: ١٤؛ رو ٦: ٣-٤)، موقنين بأنَّ هذا هو ما يريده الله مِنهم ولهم. وليست لهم في مُراد الله هذا لهم إلَّا صلاةٌ واحدةٌ، ألا وهي صلاة المسيح

---

(١٤٥) يرى أكثر آباء الكنيسة ودارسيّ الكتاب المقدَّس المعاصرين أنَّ (*tou apo ponirou*) الواردة في نهاية الصَّلاة الرَّبَّانيَّة لا تصحُّ ترجمتها إلى الإنجليزيَّة بـ (Evil) الشَّرِّ بل بـ (*The evil one*) الشِّرِّير. راجع:

Thomas Hopko, *The Lord's Prayer* [Audio recordings on CD] (Crestwood, NY, SVS Press, 2004).

(١٤٦) راجع طقس جحد الشَّيطان في المعموديَّة الأرثوذكسيَّة:

New York: Department of Religious Education, Orthodox Church in America, 1972, 1983), p. 39.

(١٤٧) كلمة العبريَّة بمعنى يُنقذ – يُخلِّص לְהַצִּיל هي ذاتها بمعنى ينتصر – يغلِب לְהַצְלִיחַ، ومِن ثمَّ أن يخلُص – يُخلَّص أحدٌ هو أن يغلب وينتصر بلغة الكتاب المقدَّس. راجع ما يرد في (رو ٨: ٣٧؛ ١ يو ٥: ٤-٥)، وأيضًا ما يرد في سفر الرؤيا في الرَّسائل إلى الكنائس، وأيضًا الصُّورة التي رسمها السِّفر لحرب الحَمَل.

الخاصَّة: «أبي، يا أبي! أنتَ قادِرٌ على كُلِّ شيءٍ، فأبْعِدْ عَنّي هذِهِ الكأسَ. ولكِنْ لا كما أنا أُريدُ، بَلْ كما أنتَ تُريدُ» (مت ١٤: ٣٦).

ينتظر المسيحيُّون الأرثوذكس «قيامة الأموات وحياة الدَّهر الآتي،» (قانون الإيمان النِّيقاوي)، متوقِّعين وراجين أن يفرحوا فرحًا أبديًّا مع الذين عاشوا وحفظوا وصيَّة الرَّبِّ كما تقبَّلوها؛ هم يوقنون بأنَّ كلَّ الذين خُلِّصوا، وبكلِّ نوعٍ تمجَّد الله فيهم، إنَّما خُلِّصوا بجسد يسوع المكسور ودمِّه المسفوك،[١٤٨] إذ أدركوا كم كانوا «أشقياء وبائسين وفقراء وعميان وعرايا» في حياتهم في هذا العالم، وكم كان احتياجهم شديدًا إلى الخلاص والشِّفاء.. هم الذين مِن كلِّ قبيلةٍ وأمَّةٍ «خرجوا مِن الضِّيقةِ العظيمةِ، وبيَّضوا ثِيابَهم في دمِّ الخَروفِ» ولعلَّهم لم يعرفوا أنَّ هذا هو ما كانوا يعملونه عندما قاوموا شهواتهم واحتملوا الآلام لأجل المحبَّة والحقِّ والصَّلاح، (راجع رؤ ٣: ١٧؛ ٧: ١١-١٤). وسيدخلون إلى خِدر عُرس الحمل، وسيجلسون إلى مائدة عرسه كـ «أبكارٍ» (راجع

(١٤٨) يُرتَّل البروكيمينون* الخصوصي (الكبير) في خدمة الغروب، للأعياد السيّديّة الكبيرة -الظهور الإلهي، الفصح والعنصرة- في الكنيسة الأرثوذكسيَّة «أيُّ إلهٍ عَظيمٌ مِثلُ إلهنا؟ أَنتَ هو الله الصَّانعُ العَجائب وحدك» (مز ٧٧: ١٤). والمزمور كلُّه يُعلِن أن أعظم عجائب الله هو ما يصنعه الله في تخليص الضُّعفاء والمتوجِّعين والتَّعابى والخائري القوى والمضطربين والذين ليس لهم أحد يذكرهم والمرذولين والمتروكين مِن شعبه.

* بروكيمينون: لفظة يونانيّة Προκείμενον تعني «ما قبل النص» وهو آية من مزمور تُرتَّل قبل قراءة من الكتاب المقدَّس. في خدمة الغروب -عادةً- قبل النبوات، وفي القدَّاس الإلهيّ قبل قراءة الإنجيل.

رؤ ١٤: ١-٥)، الذين يصيرون «عروس» الحمل في الأبديَّة التي «لا يُزَوَّجون فيها ولا يَتزوَّجون». يكون هذا حيث الأرض الجَّديدة والسَّماوات الجَّديدة لخليقة الله الجَّديدة في المسيح، الذي يجدِّد كلَّ شيءٍ، حين يتَّحد كلُّ مَن عاش بالمحبَّة الإلهيَّة مع الله إلى واحدٍ بالرُّوح القدس في شركة المحبَّة التي تنمو أبديًّا إلى كمالٍ وعمقٍ ومجدٍ.[١٤٩]

«يَقولُ الرّوحُ والعَروسُ: «تعالَ!» مَنْ سَمِعَ فَلْيَقُلْ: «تعالَ»» (رؤ ٢٢: ١٧)

«آمين. تَعالَ، أيّها الرّبّ يَسوعُ» (رؤ ٢٢: ٢٠)

«ونَعرِفُ أنّ اَبنَ الله جاءَ، وأنّهُ أعطانا فَهمًا نُدرِكُ بِه الحَقّ. ونَحنُ في الحَقّ، في اَبنِهِ يَسوعَ المَسيح. هذا هوَ الإلهُ الحَقّ والحياةُ الأبدِيّةُ. فيا أبنائي، تجنّبوا الأوثانَ!» (١ يو ٥: ٢٠-٢١)

---

(١٤٩) راجع (رؤ ٣: ١٧؛ ١٤: ١-٥؛ ١٩-٢٢: الإصحاحات كاملة). وعن التَّعليم عن النُّموِّ الأبدي والدَّائم التَّكمُّل في المجد الإلهي، راجع كتابات ق. غريغوريوس النِّيسي، لاسيَّما شروحاته على التَّطوبيات، وعلى نشيد الأناشيد، وعلى حياة موسى، كما وردت مختارات مِنها بالإنجليزيَّة في:

From Glory to Glory: Texts from Gregory of Nyssas Mystical Writings, selected and with an introduction by Jean Danielou, translated and edited by Herbert Musurillo (New York: Scribners, 1961).

إصدارات دار رسالتنا للنشر

دراسات كتابيَّة

١. المصادر اليهوديَّة في المسيحيَّة المبكّرة، ديفيد فلوسير، ترجمة/ أندرو، موريس وهيب.

٢. يسوع التّاريخ؛ مُقدمة ورؤية تاريخيَّة في حياة يسوع، إعداد وترجمة/ أندرو، وموريس وهيب.

٣. يسوع التّاريخ، دراسة تاريخيَّة في الأسبوع الأخير من حياة يسوع، إعداد/ أندرو، موريس وهيب.

٤. يسوع التّاريخ، دراسة تاريخيَّة في أقوال وأمثال يسوع، إعداد/ أندرو وموريس وهيب.

٥. النص تحت الفحص، إعداد/ د. مارك ألفونس.

٦. التاريخ والإنجيل، دراسة تاريخيَّة في الأناجيل، سي. إتش. دودّ، ترجمة/ بيشوي جرجس.

٧. سوء اقتباس الحقيقة (الرد على بارت إيرمان)، تيموثي بول جونز، ترجمة/ أمجد بشارة.

٨. دراسة الأناجيل الإزائيَّة، إي. بي. ساندرز، مارجريت دايفس، ترجمة/ باسم سمير فرج.

٩. الليتورجيَّة الكونيَّة، دراسة في الأصحاحات الأولى من سفر التكوين وإشكاليَّة الصراع بين العلم والدين، أمجد بشارة.

١٠. رؤية شرقيَّة لقانون الكتاب المُقدَّس، يوئيل كالفسماكي، ترجمة/ وائل مكرم.

١١. مدخل إلى النقد النصيّ للعهد الجديد، أ/ أمير يعقوب.

١٢. ما بين الله وستيفن هوكينج، من خلق الكون؟، چون لينوكس، ترجمة/ عصام وجيه حسين، كيرلس إبراهيم سعد

١٣. ذبائح العهد القديم، أ/ أيمن فايق.

١٤. المعنى النقديّ للكتاب المُقدَّس، الأب/ رايموند براون، ترجمة/ د. فينيس نيقولا، وماريو متّى.

سلسلة أربع وجهات نظر

١٥. أربع وجهات نظر عن آدم التاريخيّ، مجموعة من اللاهوتيّين، ترجمة/ مايكل حنا.

١٦. أربع وجهات نظر عن جهنم، مجموعة من اللاهوتيّين، ترجمة/ بيشوي شكري.

١٧. أربع وجهات نظر عن العصمة الكتابيَّة والوحي، مجموعة من اللاهوتيّين، ترجمة/ د. فينيس نيقولا، وتوماس نبيل.

١٨. أربع وجهات نظر عن العناية الإلهيَّة، مجموعة من المؤلفين، ترجمة/ القس مينا إسحق.

دراسات آبائيَّة

١٩. قصّة الحب العجيب، قراءة في لاهوت الخلق والسقوط والفداء، إعداد/ أمجد بشارة.

٢٠. الثالوث القدوس قبل نيقيَّة، مُراجعة لاهوتيَّة/ نيافة الأنبا هرمينا، إعداد/ أمجد بشارة.

٢١. مدخل إلى تاريخ العبادة، إعداد/ د. عادل مجدي.

٢٢. التفسير عند الآباء الرسوليّين والمدافعين، جوزيف تيجر، ترجمة/ د.عادل زكري.

٢٣. منظورات الخلاص، جون كيلي، والأب كاليستوس وير، ترجمة د. عادل زكري.

٢٤. ورثة المسيح، قراءة في مفهوم التألُّه وفقًا لآباء الكنيسة، إعداد/ أمجد بشارة.

٢٥. مدخل إلى اللاهوت المسيحيّ، إعداد/ أمجد بشارة.

٢٦. لاهوت الجمال، مدخل إلى لاهوت الأيقونة، اللاهوتي الروسي بول إفدوكيموف، ترجمة/ مجدي ميخائيل.

٢٧. عن النفس والقيامة، محاورة بين القديس غريغوريوس النيسي وأخته القديسة ماكرينا (مع دراسة عن الأبوكتاستاسيس)، ترجم/ د. عادل زكري.

٢٨. لخطيئة الجدّيَّة: دراسة مُقارنة لخطيئة آدم وحواء بحسب نماذج وعقيدة الكنيسة في القرنين الأوّل والثاني، والصياغة الأوغسطينية للخطيئة الأصليّة، الأب يوحنَّا رومانيذس، تعريب/ الأب أنطوان ملكي - وائل مكرم.

٢٩. اللّاهوت الآبائي: المحاضرات الجامعيَّة، الأب يوحنَّا رومانيذس، تعريب/ چولي عطيّة ومراجعة الأب أنطوان ملكي.

٣٠. المثليّة الجنسيّة - رؤية أرثوذكسيّة للأب توماس هوبكو، تعريب زوسر حنّا.

٣١. أبجديّة الإيمان - مدخل إلى اللّاهوت الأرثوذكسيّ للّاهوتي والفيلسوف اليوناني خريستوس ياناراس، تعريب جرجس كامل يوسف.

٣٢. الروح والمادة، إشكالية الصراع بين الدين والعلم، أمجد بشارة.

مشورة

٣٣. الطبائع الإنسانيَّة وقيادة الروح، تيم لاهاي، ترجمة/ أندرو، موريس وهيب.

٣٤. جواهر خامدة، إعداد/ مارينا محسن.

٣٥. ربِّ ولدك، جيمس دبسون، ترجمة يوسف قسطة.

٣٦. رفيقي في عالم الأبوَّة، مُراد مكرم.

٣٧. التحرُّر من الخزي، شفاء الأطفال البالغين من الأسر المضطربة، ساندرا ويلسون، ترجمة/ موريس وهيب، بولا نبيل.

٣٨. : التشكيل الروحيّ، على خطى الحركات الروحيَّة، هنري نووين، ترجمة/ د. جوليا حنّا.

٣٩. حولت نوحي إلى رقصٍ، التحرك بأمل عبر أزمنة الألم، هنري نووين، ترجمة/ القس مينا القمص إسحق سعد، وموريس وهيب.

٤٠. عودة الابن الضال: قصّة العودة للوطن، هنري نووين، ترجمة/ القس مينا القمص إسحق سعد، وموريس وهيب.

٤١. حياة المحبوب: العيش الروحيّ في عالم علمانيّ، هنري نووين، ترجمة/ القس مينا القمص إسحق سعد، وموريس وهيب.

٤٢. صلوات خطيرة: اتباع يسوع لا يعني مطلقًا أن تكون آمنًا، كريج جروشيل، ترجمة/ د. فنيس نقولا.

٤٣. رفاق رحلة منتصف العمر، دليلك عن طبيعة المرحلة وتحدياتها والاستفادة منها في النمو الشخصي لكلّ من الرجل والمرأة، مراد مكرم.

دراسات تاريخيَّة

٤٤. تاريخ الأمة القبطيَّة (جزأين)، مسز بوتشر، مراجعة وتنقيح وإعداد للنشر/ أمجد بشارة، أندرو وهيب، موريس وهيب.

٤٥. المسيحية عبر العصور، إيرل إي. سيرنس، تنقيح ومراجعة وإعداد للنشر/ أمجد بشارة.

٤٦. العمل المُرسلي في مصر: دراسة تاريخيَّة حول التفاعل بين الإرساليَّة الأمريكيَّة والكنيسة الإنجيليَّة بمصر ١٨٥٤ - ١٩٧٠م، تأليف/ ثروت وهيب بولس وهبة.

٤٧. الأراضي المقدسة في زمن يسوع، جاك فينجِن، مراجعة وتقديم/ أ. جرجس صالح، ترجمة/ الأبيذياكون أستيف لطيف.

لِّيتورجيًا

٤٨. الأصول التاريخيَّة للصوم الكبير، نيكولاس روسو، ترجمة/ القس مينا القمص إسحق.

٤٩. لِّيتورجيًّا الحياة، دراسة في اللاهوت الليتورجيّ لكنيسة الإسكندريَّة، إعداد/ ديفيد فاروق.

الروايات

٥٠. الصمت (روايَّة)، شوساكو إندو، ترجمة/ موريس، أندرو وهيب.

٥١. هل أنت هنا يا الله؟ إنّه أنا.. مارجريت! (روايَّة)، جودي بلام، ترجمة/ موريس، أندرو وهيب.

٥٢. أيوب (روايَّة)، الأخ/ ماهر فايز.

٥٣. مخبول صيدا (روايَّة)، تأليف خليل عيد.

٥٤. المتسوِّل، إعداد/ عماد نبيل.

٥٥. بُزوغ النور، روايَّة عن زمن المسيح، تأليف ليو ولس، ترجمة/ كرنيليوس فان دايك.

٥٦. العِلية، مغامرات تلاميذ المسيح، تأليف/ د. جوزيف رفعت فلتس.

٥٧. أزمة بداية! رواية واقعيَّة لكنها تفوق الخيال، تأليف/ رامز يسري، أمجد بشارة.

سي أس لويس

٥٨. الطلاق العظيم.

٥٩. الله في قفص الاتهام.

٦٠. عودة الرحال.

٦١. ثقل المجد.

٦٢. ليلة العالم الأخيرة.

٦٣. السلوك المسيحيّ.

٦٤. إلى أن نمتلك وجوهًا.

الأب توماس هوبكو

المثليّة الجنسيّة

رؤية أرثوذكسيّة

"قد سبق وعَرَّفَ الأبُ هوبكو النَّشاط الجنسيَّ الإنسانيَّ بالاهتمام اللّاهوتي الأبرز في جيلنا. وهنا يقاربُ موضوع التَّوجُّه الجنسيِّ المِثليِّ بصعوبته وحساسيَّته، بشكلٍ استثنائيٍّ دون انحيازٍ أو فرزٍ. يكوِّنُ ربطُ النَّصِّ والحواشي غنيَّة المحتوى اللّاهوتيّ بالخبرة الرِّعائيَّة صورةً -ولا أوضح- للأناسيَّة الأرثوذكسيَّة (Orthodox Anthropology). والنَّتيجة عملٌ يقدِّم توجُّهًا واضحًا يلتزم الرِّقَّة والحنوَّ نحو المِثليِّين والذين يخدمونهم. تستحق هذه الدِّراسة أن يُحتفى بها، وتُقرأ على أوسع نطاقٍ مِن قِبَل الكهنة والمختصِّين مِن الأطباء، وممَّن اختبروا الميل المثليَّ بمشاعره وفعلِه."

الأرشمندريت چون بريك

أُستاذٌ بمعهد القديس سرجيوس اللّاهوتي، باريس، فرنسا.

رسالتنا للنشر والتوزيع

Θεολογία
منشورات ثيولوجيا